بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الأدب والنقد



خطب الخلفاء الراشدين

(دراسة وصفية أدبية تحليلية)

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد

إعداد الطالب:

الهادي عبد الله أبكر آدم

إشراف الدكتور /

صلاح عبد اللطيف محمد أحمد

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

(وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ). سورة التوبة: الآية (١٠٠).

صدق الله العظيم

الإهــــــــداء

إلى والدي الكريم متعه الله بالصحة والعافية .

إلى والدتي الكريمة التي أشعلت السعادة.

اللهم اغفر لهما وبارك فيهما(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً). سورة الإسراء : الآية (٢٤).

إلى أساتذتي الكرام اُهدي ثمرة جهدي.

الشكر والتقدير

الحمد لله رب، العالمين والصلاة والسلام علـــى أشـــرف الأنبيـــاء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين ومن اهتدى بهدية إلى يوم الدين، وبعد:

قال رسول الله ﷺ: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله والشـــكر لله) . سـليمان الأشعث أبو داود السجستاني لأذري، سنن أبي داود، باب في شكر والمعـروف، دار، بيـروت، مـج٤، ص:٢٥٥.

. من قبل ومن بعد، الحمد لله الذي وفقني على إنجاز هذا الجهد المتواضع. وفي البدء أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكلية الدراسات العليا في جامعة أم درمان الإسلامية مشعل العلم والمعرفة والتحية لربانها الكرام. ثم لابد لـــي أقف تعظيماً وتقديراً لجهد ذلك العالم الذي تكرم بالإشراف على هذا البحث **الدكتور/ صلاح عبد اللطيف** محمد أحمد، حيث كان لـــه فضـــل كبيـــر بالدعم والإرشاد والتوجيه فله التحية والتقـــدير. وأشـــكر أســـرة المكتبـــة المركزية بجامعة أم درمان الإسلامية، وأسرة مكتبة كلية اللغة العربية بأم درمان. ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل مـــن دعمنـــي، وأخـــص بالشكر **الأخ المهندس/ عبد المحمود عبـــد الله، والأخ آدم بشـــار**، فلهـــم الفضل في الدعم مادياً ومعنوياً. والتحية لزوجتي العزيزة التي وقفت وقفة مشرفة بجانبي. ثم لا يفوتني أن أشكر أولئك الأعلام الذين سيقفون علـــى مناقشة البحث وتقويمه فلهم مني خالص الشكر والعرفان.

المقدمة

الحمد لله رب، العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبيـــاء والمرســـلين ســـيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين من اهتدى بهديته إلى يوم الدين ....وبعد

نشأت الخطابة عند العرب لتؤدي دورًا مهماً في حياتهم وحياة الأمة التـــي تعـــيش معهم إن كانوا أفراداً أوجما عات،وعندنا نتناول الخطابة،ينبغي علينا أولاً أن نحـــدد مفهوم الخطبة التي هي أساس هذا العمل،ثم الخطابة نفسها باعتبارهـــا فـــن يحمـــل رسالة معينة،ولها أسس وقواعد.

أسبا ب اختيارا الموضوع:

هنالك أسباب دفعتني لاختيار هذا الموضوع وهي:

أولا: معظم الدراسات التي قدمها الباحثون في الأدب تركزت حول الشـــعر فقـــط، فأفردت له الدراسات الشاملة، والمستقصية، أما الذين يهتمون بالنثر فقله.

وحتى الذين عنوا بدراسة النثر اهتموا ببعض فنونه مثل المكاتبات، والرسائل. أما الخطابة فحظها ضئيل، أو يتحدثون عنها بصورة عامة، يعرضون خلالها نتفاً مـــن خطب مختلفة تمثل عصراً من العصور، أو اتجاهاً من الاتجاهات، وهذا مما حفزنيٍّ إلى تقديم هذه الدراسة المتواضعة، والمستقلة لهذا الفن الأدبي.

ثانياً: شدة إعجابي بملكة العرب الخطابية وأســـاليبهم فـــي العمـــق، والترغيـــب، والترهيب، والوصف الأشياء، فقد كانوا يتصرفون في اللغة بطريقـــة تـــدعو إلـــى الإعجاب، وأنت كل الظروف في هذا العصر مواتيه لتبلغ هذه الأساليب البيانية.

ثالثاً: رغبتي الصادقة في تقديم دراسة حول موضوع ذي نفع للأجيال الآتية،ويعـــد إسهام وللمكتبة العربية، ولو بقدر ضئيل إلى الأجيال الناشئة، حين يجـــدون الســـبل أمامهم ممهدة في مختلف الدراسات، مما به إلى السير على النهج الســـليم منفعـــة أممهم، وأوطانهم، وخدمة العلم.

أهمية البحث

تأتي أهمية للبحث إنه تسلط الضوء على كلام الله عز وجل ،وأيضا تأتى أهميته باعتبار:أن الدراسة خطب الخلفاء تعد وجهاً من وجوه البحث عن الكشف إعجاز القرءان الكريم ، أيضاً إحصاء خطب الخلفاء بصوره الثلاث ــ الدينية، السياسية،الاجتماعية ــ التي أوردت خلفاء الأربعة في صدر الإسلام.

أهداف البحث:

١:يهدف الباحث من خلال دراسته هذه إلى تسليط الضوء على الخطب الواردة من الخلفاء الراشدين.

٢:يسعي هذا البحث إلى الكشف عن مدى فائدة علم الخطابة ؛ بأقسامه الثلاثة في نشر الدعوة .

٣:يسعى هذا البحث إلى تحليل (وصفي) من خطب الخلفاء الأربعة.

٤:البحث عن دلالة الأساليب الخطب في خدمة القرءان التي أراد إثباتها أو نفيها .

حدود البحث

أمانة العلمية واجهت الباحث صعوبة تحديد الإطار الزمان والمكان للبحث ،ومنبع هذه الصعوبة هو الاختلاف في مبتدأ الخطب اختلافا واضحاً قي كتاب الفقه والسيرة ففي حين بعضهم بداية الخطب عام الثالث للبعثة مع بداية هجرة، والدعوة ،ويرى منهم غير ذلك منها الإمام البخاري.

منهج البحث:

نظراً لتعدد المناهج فإن طبيعة الهدف من البحث هي التي تحدد المنهج الذي ينبغي إتباعه.

المنهج الوصفي: هو الذي يصف الظاهرة ويسجل ما مضي من وقائع وأحداث الماضي، ولا يقف عند مجرد الوصف، إنما يدرس هذه الوقائع والأحداث ويحللها ويفسرها على أسس منهجية علمية، على فهم الحاضر بل التنبؤ بالمستقبل[١]. والنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة هو النهج الصفي التحليلي، حيث استعرضت بعض

---

(١) جابر عبد المجيد، أحمد خيري كاظم: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار النشر، القاهرة، دار النهضة العربية، دون رقم الطبعة، سنة ١٩٩٢م، ص١٠٢.

الحقائق التاريخية حول هذا العصر فيما يتعلق بالنواحي الخطابة السياسية، والدينية، والاجتماعية لأجل ربط هذه الحقائق بعملية علمية، وتحليل للنصــوص الخطابيـــة، والاستعانة بالمنهج التاريخي في مثل هذه الدراسات ضرورية في عمليـــة التحليـــل، فلابد من الإلمام بصورة العصر من جوانبه المؤثرة حتى نستطيع من خلال ذلك أن نبنيٍّ أحكامنا في التحليل، ونتفادى بذلك القصور المنهجيٍّ الناجم عن إغفـــال لـــركن مهم من أركان الدراسة المنهجية، والله هو المستعان.

الدراسات السابقة

من خلال زيارتي لمكتبات الجامعات السودان لم أجد دراسة سابقة في خطب الخلفاء الراشدين قائمة بذاتها من الناحية الخطب.

هناك جهود سابقة قام بها عدد من الدارسين في ميادين الخطابة،منها خطابة في عصر الأموي،وأيضا وعصر العباسي، ولكنها ليست دراسات خاصة بالخطابـــة في عصر الخلفاء الراشدين بصورة شاملة تضم العوامل المؤثرة، والموضـــوعات، والأساليب، والأفكار، بل كانت دراسات عامة، أصدروا خلالها أحكاماً إجمالية على الخطابة في هذا العصر. والدراسات المقدمة في هذا الشأن من حيث إنه قد تنـــاول خطب الخلفاء الراشدين الخطابة في هذا العصر على حدة مضـــمناً فيـــه العوامـــل المؤثرة، وأهم أنواعها، وموضوعاتها، وخصائصـــها الفنيـــة، والفكريـــة، ومكانـــة الخطبة، والخطيب، وكل ذلك من خلال رؤية تحليلية.

فروض البحث: تتمثل في الأتي :

١:تتركز مشكلة البحث في حصر الخطب الدينية للخلفاء الأربعة (أبو بكر، عمـــر، عثمان، علي)؟ لأنها متداخلة ومتشابها.

٢:هل اختصر خلفاء الخطب بأنواع الثلاثة (الدينية ، الاجتماعيـــة ،السياســـية) أم توسعوا ؟.

٣: متى بدأ خطب الخلفاء الراشدين؟.

٤:كيف يأتي علم الخطابة بأقسامه الثلاثة:الدينية والاجتماعية والسياســـية، وكيفيـــة الربط بينهما .

٥:ما أساليب الخطيب في التبليغ؟

الفصل الأول

مفهوم الخطابة

المبحث الأول: تعريف الخطابة لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: تطور الخطابة وتكوينها

المبحث الثالث: الخطابة وموضوعاتها (الجاهلية)

المبحث الرابع: الخطابة في الإسلام(صدر الإسلام)

المبحث الأول

تعريف بالخطابة(لغةً والاصطلاح)

أولاً: الخطابة لغة

قال الزمخشري[1] : (خاطبه أحسن خطاب وهو المواجهة بـالكلام، وخطـب الخطيب خطبة حسنة واحتطب القوم فلاناً: دعـوة أن يخطـب إلـيهم،.....) [2]. وفي المختار الصحاح (والخطب سبب الأمر) يقال: وما خطبك؟ ما أمرك وجمعه خطوب، وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وخطب على المنبر خطبة (بضم الخاء) [3]. وجاء في لسان العرب أيضا: (خطب فلان على المنبر خطبة (بضم الخـاء) [4]. وخطب الخاطب على المنبر يخطب[5].

(مصدر فعل خطب)[6]. أي صار خطيباً وخطب الخاطب على منبـر خطابـه، وخطبة قرأ الخطبة على من حضروا بكلام الله ووعظ. وخطب الرجـل خطابـة صار خطيباً[7]. قال الجوهري: خطب على المنبر خطبة، ويقال فلان خطب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم، والجمع "**خطباء**."

يقول أبو إسحاق: خطب عند العرب هو الكلام المنثور المسجوع ونحو ذلك. وقال ابن منظور: الخطبة من الرسالة التي لها أول وأخره. أما الخطبـة بكسـر الخاء فهي طلب المرأة للزواج. في الحديث نهى الرسولﷺأن يخطب الرجل على

---

(١) هو أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري، الملقب بجار الله، إمام كبير في تفسير النحو واللغـة والأدب، ٤٦٨– ٥٣٨متعزلي العقيدة سافر إلى مكة وبقى بها زمان حتى لقب بجار النبي ﷺ وأصبح هذا الاسم علماً عليه ، ومن مؤلفاته – الكشاف وهو يتكون من أربعة أجزاء وأساس البلاغة في اللغة.

(٢) جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (الزمخشري): أسـاس البلاغـة، بيـروت، دار بيـروت، (د.ت)، ص:١٦٧،١٦٨.

(٣) مجد الدين بن يعقوب (الفيروز أبادي): القاموس المحيط، بيروت، دار الجيل، ط٢، (د.ن)، ج١، ص:٦٥.

(٤) جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري(ابن منظور): لسان العرب، القاهرة، الـدار المصـرية للتـأليف الترجمة، ج١، (د.ن)، ص:٣٤٨.

(٥) الإمام محمد أبو زهرة: الخطابة، ص:١٩.

(٦) أحمد محمد الجوفي، فن الخطابة، القاهرة ، دار الفكر العربي، ط٤، ١٩٧٢م، ص ٧.

(٧) قاموس المحيط: مادة (خطب)

خِطبة أخيه، خاطبة بالكلام مخاطبة وخطاباً، (وخطب) على المنبر (خطبة بضم الخاء وخطابة) [١]. وخطب الخطاب على المنبر واحتطب يخطب مخاطبة وخطابه واسم الكلام خطبة[٢]. ويقول أبو زهرة: (الخطابة مصدر خطب يخطب، أي صار خطيباً، وهي على هذه الصفة راسخة في نفس المتكلم تقتدر بها على التصرف في فنون القول، محاولة التأثير في نفس السامع ومخاطبة وجدانه، وإثارة إحساسه للأمر الذي يراد منه[٣]. وفي القاموس(خطب الخاطب على المنبر خطابة بالفتح، خطبة، وبالضم، وذلك الكلام خطبة أيضاً.أو هي الكلام المنثور المسجوع نحوه، ورجل خطيب حسن الخُطبة بالضم[٤].

ثانياً:أما الخطابة في الاصطلاح فهناك عدة تعريفات منها:

يقول أرسطو[٥]: الخطابة هي القدرة على النظر في كل ما يفصل في الإقناع من أي مسألة من المسائل[٦]. ويقول ابن رشيد[٧]: الخطابة هي القوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأشياء المفردة [٨]. والملاحظ أن تعريف أرسطو وابن رشد يجد إنهما يدوران حول تعريف الخطب صاحب القدرة على الإقناع وصاحب القدم الراسخة في مجال الخطابة والتأثير.

---

(١) إبراهيم أنيس، وآخرون: معجم الوسيط، (د.ن)، (د.ط)، ١٩٧٩م، ص:٤٣٢.

(٢) المصدر السابق: ص:٣٥٠.

(٣) الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة ،القاهرة: دار الفكر العربي، بدون تاريخ نشر، ص١٩.

(٤) مجد الدين بن يعقوب (الفيروز أبادي): القاموس المحيط، الفيروز أبادي، دار الجيل، بيروت، ص:١٠٢.

(٥) ارسطوا ٣٨٤ــ ٣٢٢ قبل الميلاد وهو أرسطو بن تيفود ما خون ــ طبيب ــ ولد ببلدة سطا غيرا شمال اليونان وتوفى أبوه وهو حدث ــوفي السابعة عشر رحل إلى أثينا تلميذ ا بأكاديه أفلاطون نحو٣٦٧ق ــ م وقض بأكاديمية نحو عشرين سنه حتى وفاة أستاذه أفلاطون .د/ عبد المنعم الفني:موسوعة الفلسفة، دار المعارف للطباعة والنشر، سورية ــ وتونس، ص:٣٥.

(٦) أرسطو طالس: الخطابة ترجمة أمين سلامة، (د.ن)، (د.ت)،(٣٣٢) ق م، ص:٩.

(٧) ابن رشد هو محمد عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن رشيد الغ هرى ألسبتي ،أبوه عبد الله محمد ــ خطيب ــ ولد بشبت ٦٥٧هــ توفي بغاش في ٢٣ محرم ٧٢١هــ . عمر رضاك حاله: معجم المؤلفين، ط١، بيروت مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٤هــ ــ ١٩٩٣م، مج٣، ص٤٦٧.

(٨) ابن رشيد: تلخيص الخطابة، (٣٨٤) ق م، الكويت، وكالة المطبوعات، (د.ت)، ص:١٥.

وهذا ليس هو المراد بتعريف الخطابة بمعني عام.وقيل إنها:هـي الكـلام المنثور مؤلف يخاطب بها الفرد و الجماعة بقصد الإقناع[١].عند عبده سلبي (هـي فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائه تشتمل على الإقناع والاستمالة) [٢]. يلاحظ الباحث **هذا التعريف يقوم على الأتي:**

أولاً: أن يكون الحديث مخاطبة لجمهور الناس، فإذا كان الشخص يتحدث إلى الفرد أو اثنين، فإنه عادة لا يحتاج إلى لهجة خطابية، أن يشرح المعني أو الفكرة التي يريدها، في صوت هادئ وطريقة مألوفة مع كلٍ لأحاديث،فهذا ليس خطبة.

ثانياً: أن يكون بطريقة إلقاء،وهذا يعني إجادة الصوت وتكييفه باختلاف خبراته وتجسيم المعاني التي تتضمنها الخطابة، وأبدأ التأثير بها، ومن مكملات هذه الطريقة التي تصحب إشارات باليد أو بغير اليد كما يبدي الخطيب انفعالاته بما يقول، فكل ذلك يثير السامع ويوجه عواطفه ويجعله أكثر استجابة لرأيه.

ثالثاً: أن يكون الحديث مقنعاً بحيث يشتمل على أدلة وبراهين تثبت صحة فكرته التي يدعو إليها.

رابعاً: أن يتوفر لدى الخطبة عنصر الاستمالة، فإذا وقف متحدثا في جمهور يشرح نظرية علمية...الخ[٣] .

محمد نبي حجاب قال:

تَكلّفُوا الْقَوْلَ والإقْدَامِ قَدْ خَلّفُوا ** وَحَبَرُوا خُطَباً نَاهِيكَ من الخُطَبِ

فَقَامَ مُرّتَجِلاً تَغْلِي مَرَاجِلَهُ ** كَمِرّجَلِ العَيْنِ لَمّا حَفّ اللّهَب[٤].

قيل هي **(فن الكلام الجيد)** [٥] إلا أن هذا التعريف له بعض القصور؛ لأن الكلام الجيد ينتظم الخطابة والكتابة والشعر. ومن السهل أيضاً أن ترى قصوراً في

---

(١) قواعد الفقه لتصميم لإحسان المجد تحت مادة (خطب)، (د.ط).

(٢) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق، السيد محمد رشيد رضا، التعريفات، ٤٧١هـ، المكتبة التوفيقية، مصر، ص:١٠٣.

(٣) عبد الجليل لشلبي : الخطابة وإعداد الخطيب ، مجمع البحوث الإسلامية سابقا ،ط١ ، سنة ١٤١ــ ١٩٨١،لبيروت ،ص:١٣

(٤) محمد نبيه حجاب: روائع الأدب في العصور العربية الزاهرة، مصر، دار المعارف ١٩٨٣م، ط٢، ج١، ص:١٥٥.

(٥) أحمد محمد حوفي: فن الخطابة، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٢م، ط٤، ص:٥.

تعريف الخطابة بأنها القدرة على النظر في كل ما يفصل إلى الإقناع في أي مسألة من المسائل[1]. أو هي قدرة تكلف الإقناع الممكن في كـــل واحـــد مـــن الأشـــياء المفردة[2]. والنقصان في التعريفان هي الترجمة العربية فـــي تعريـــف أرســـطو للخطابة.

---

(1) لأرسو طالس: الخطابة، وترجمة أمين سلامة، دون مكان النشر، دون دار النشر، دون تـــاريخ النشـــر، ص:١٠.

(2) أرسطو أطالس: الخطابة، ترجمة الأمين سلامة، (د.ن)، ص:١٥.

المبحث الثاني

تطور الخطابة

لا يخلو منها أي مجتمع من المجتمعات التي حفظ التاريخ آثارها من أقدم عصور وإلى يومنا هذا. **(ومن أقدم من مارس الخطابة: اليونانيون، كما أنهم أول من كتب فيها فاستنبطوا قواعدها وأقاموا بنياتها،ففي مستهل القرن السادس قبل الميلاد ظهرت النزعة العلمية و"الأيونية" معتمد تحليل العناصر، كما ظهرت نزعة آلية عقلية، فضلاً عن نزعات أخرى عنيت جميعاً بالروح وبالمصير البشري)** [١]. ولقد ظهرت بعدئذ حركة السفسطائيين[٢] الذين كانوا يعتقدون أن كل ما يسميه العلماء ظاهرة علمية، ليس في الواقع إلا ظاهرة وأشكالاً لا حقيقة وراءها. والنفعية تعني عند النفعيين أن مطالب الحياة وحاجاتها قياساً بحقائق الفكر في المرتبة الأعلى منها، فمحور السعادة عندهم هو سعادة البشرية وسبيل الأصول إليها[٣]. " ومن هنا اعتمدوا على الخطابة والمقدرة الكلامية والقدرة البيانية أكثر من اعتمادهم على الدليل والمنطق والبرهنة، فكل كلام عندهم، وكل عبارات متمثلة في رأيهم هي الطريق لكسب المنفعة، أما البحث وراء حقائق الأشياء فعبث باطل ووقت ضائع، ما دامت لا توجد هناك حقائق ثابتة"[٤]. "ولقد كانت الخطابة عند السفسطائيين عملة تجريبية لم يلجأ فيها إلى النظريات والتعريفات والرسوم والحدود والتقسيمات، بل تناولوها بالعمل وملئوا بها محافل اليونان، بها الجماهير

---

(١) إيليا حاوي: فن الخطابة وتطورها عند العرب، مرجع سابق، ص:٢٣.

(٢) السفسطة قياس مركب من الوهميان وتقوم على نفي الحقائق الثابتة والسفسطائيون فرقة ينكرون المحسوسات وهم من أحناف الكفرة الذين قبل الإسلام وهم فلاسفة اليونان وزعيمهم بروتاجوراس ولد سنة ٤٨٠ق.م ونظريتهم تقوم على انه ليس هناك وجودنا خارجي مستقل عما في أذهاننا فيما يظهر للشخص انه الحقيقة يكون هو الحقيقة له . فإذا رأى الشراب ساء فهو عنده حقيقة ماء . أبي عبد الله عامر عبدا لله : معجم ألفاظ العقيد ،ط٢،الرياض مكتبة البنكان ،١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م،ص:٢٢٨.

(٣) وليم ديفيد سون: النفعيون، ترجمة محمد إبراهيم زكي، مصر، دار الثقافة، وزارة التربية والتعليم، سلسلة الألف كتاب، رقم "٢٣"، ص:٣.

(٤) مرجع سابق، ص:٤.

فقويت في أهل أثينا خاصة في عصر بيركليس، وعامة القول اشتدت فيهم داعيته حتى صار يأسرهم القول البليغ دون سواه[1].

أول من اتجه إلى استنباط قواعد الخطابة هو السفسطائيون فإنهم كانوا يعلمون الشباب في أثينا طرق التغلب على خصومهم في الميدان ...وكيف يغالطونهم وكيف يلبسون عليهم الحقائق ويمرونهم على القول المبين واللقاء المحكم"[2].

أول من وصنع هذه القواعد الثلاث من الخطباء السفسطائيون هم :بيريكوس ألقوسي[3]؟ وجورجيا[4] وبرتا غراس[5].

أما أرسطو يجعل الخطابة فناً قائماً بذاته، ويرى أن "الخطابة قد تتحدث عن الأمور الخلقية كما أنها تتحدث عن الأمور الأخلاقية إضافة إلى الأمور التي لا تنتمي إلى أيٍّ منهما[6]. وأهم آراء أرسطو في هذا المجال "أن الخطابة تعد مجالاً مستقلاً للإصلاح لكن الخطب الاستشارية تعتبر ميدان للنصح والإرشاد والتحذير وصولاً للناس إلى السعادة وإلى حياة الأمة الهادئة[7]. وعلى الخطيب إقناع سامعيه واستمالتهم إلى ما يريد بعد معرفته للسعادة ومصادرها، ومظاهرها، ومقوماتها ومنفعتها. أما الرومان فقد نشطت الخطابة عندهم بعد عصر أرسطو.

ولهذا النشاط وجدت عدة مؤلفات أخرى في علم الخطابة ينسب بعضها ، وألف كوني تليان كتاباً سماه: تهذيب الخطيب، وألف لنجينوس ألحمصي كتاباً سماه المطلق[8]

([1]) إيليا حاوي: فن الخطابة، مرجع سابق، ص٢٥.

([2]) الإمام محمد أبو زهرة: الخطابة، مرجع سابق، ص:١٢.

([3]) كان وسفسطائيا يأخذ أجراً باهظاً في تعليم الخطابة، أنفق كل ما جمعة من مال على ملاذه، كلم عليه بالإعدام بالسم لأنه قال إن الإلهة من النحترعات العقول.

([4]) فتح مدرسة تعليم الخطابة فأثري وستشهر وكان يقول لا يوجه إنه وإن وجد لا يمكن معرفته، وإذا مكنت معرفته لا يمكن تعريفه، توفي ٣٨٠ق.م.

([5]) أثرى من الأجور التي كان يأخذها، وكان يقول لا أستطيع أن أعرف أتوجد إلهة أم لا، توفي ٤١١ق.م.

([6]) إيليا حاوي: فن الخطابة، مرجع سابق، ص:٢٧.

([7]) محمد عبد الغني: الخطب والمواعظ، مصر، دار المعارف ١٩٥م، ط١، ص:١١.

([8]) الإمام محمد أبو زهرة: الخطابة العربية، مرجع سابق، ص:١٥.

وقد عرف العرب الخطابة أصولاً من اليونان والرومان إذ أنهم لم يقتصروا على إستنباطهم العربية كما كانوا الأخرى ذلك في استنباطهم ويمدهم بما ليس عندهم[1]. ولم يتصور العرب الموضوع وحدة ذات معان مرتبة كما تصور اليونان والرومان وإنما كانت لهم لفتات ونظرات إلى ما يهمهم من الموضوع، فلا يستقصون ولا يرتبون الأفكار ولعل بسبب ذلك شيوع الارتجال[2].وكل شيء العرب فإنما هو بديهة وارتجال الهام وليس هنالك معاناة ولا مكايدة ولا إجالة فكرة والاستهانة، وإنما هو تصرف وهمة إلى كلام وإلى رجز. بل جد من الشؤون والأحداث ما رفع مكانه الخطابة وهيأ لظهور الخطباء بلغاء رسالتهم في العهد الجديد"[3].

تكوين الخطبة:

جاء في كتاب علم الخطابة[4] **قال: (ابن المعتز) إن البلاغة بثلاثة أمور أن تقرص لحظة القلب في الأعماق إلى ما أعمل الفكر، فيحكم سياق المعاني، ولأدلة ويحسن تنفيذها ثم تبديه بألفاظ رشيقة مع تزيين معارضها واستعمال محاسنها).**

الأول: **الإيجاد**:هو أعمال الفكر لاستنباط الوسائل التي من شأنها الإقناع السامع واجتذابه وإثارة حماسته إلى ما يدعو إليه المتكلم.

الثاني: التعبير: وبعض كتّاب الخطابة يطلق عليه اسم الأساليب الخارجية ويعرفها بأنها مصادر دلالة الخارجية عند ذات الموضوع، وذلك لأن المخاطب أحياناً لا يدرك ما في ذات الموضوع من الخصائص ومزايا.هي ركن ركين في الخطابة القضائية وتلحق بها أيضاً العهود المبرمة، التي يقول فيها ابن سيناء: **(إن الشريعة... فكلاهما مأخوذ بها مقيد بالسير في سبيلها، مفحم إذ قدمت إليه أو**

([1]) أحمد محمد الجوفي: فن الخطابة، مرجع سابق، ص:٢٢٩.

([2]) أبو عثمان عمر بن بحر (الجاحظ): البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٤، ج٣، ص:٢٨.

([3]) علي محمد حسن ألعماري: التاريخ الأدبي للمصريين الجاهلي والإسلامي الأول، مصر، طبعة دار الجهاز ١٩٦٢م- ١٣٨٢هـ- ط١، ص:٩٨.

([4]) لويس شيخوا: علم الخطابة، بدون مكان نشر، دون مكان النشر، دون تاريخ النشر، ص:٥٤.

ذكره بها،... اتخذ أحد الخصمين دليلاً وكان صادقاً لحق بالحجة ووصل إلى الغاية ونال المطلوب) [1].

الثالث: التنسيق: وهو العنصر الثاني في تكوين الخطبة؛ ويعني تنظيم أجزاء الخطبة وبناءها، وقد ذكر العلماء للخطبة ثلاثة مراحل أو جزئيات وهي:

١. المقدمة.

٢. الإثبات.

٣. الخاتمة.[2].

مقدمة:

هي ما يجعله الخطيب صدر الخطبة ليثير الفكرة إليها وليعطي السامعين صورة جمالية لها، ويحصر لهم معانيه ولأفكاره في نطاق لا يعدوه ولا يتجاوزه[3]. ويسمي الأول حسن الافتتاح، والثاني: بيان المقصد، والثالث: تقسيم الخطاب[4].**ومن شروط جودة المقدمة:**

١. أن تكون متصلة بالموضوع نفسه لتخدمه.

٢. أن تكون واضحة مناسبة لعقول السامعين، موزونة المعاني، دقيقة التعبير لأن السامعين في أول الخطبة أبصر بالنقد واقرب إلى العناد.

٣. أن تكون سائغة تجذب السامعين إلى الموضوع، جديدة غير مبتذلة أو صالحة لكل خطبة. **(وقد جاء في تعريف ابن المقفع للبلاغة وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته)**[5]. ويعلق الجاحظ على ذلك بقوله: **(فرُق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد، وخطبة الصلح، وخطبة ...، حتى يكون لكل من ذلك صدر يدل على عجزه؟، لأنه لا خير في الكلام لا**

([1])لويس شيخوا:المرجع السابق، ص:٤١.

([2]) أحمد محمد الجوفي: فن الخطابة، مرجع سابق، ص:٧٢.

([3]) الإمام محمد أبو زهرة: الخطابة، مرجع سابق، ص:٩٦.

([4]) إيليا حاوي، فن الخطابة: مرجع سابق، ص:١٨.

([5]) أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، ص:١٢٢.

يدل معناك، ولا يشير على معزاك، وإلى المواد الذي إليه قصدت والعرض الذي إليه نزعت)[1].

٤. أن تناسب الخطبة طولاً وقصرا لأنها مقدمة لا خطبة وتمهيد لا موضـــوع، ولأنها إن طالت استنفذت جهد الخطيب، وانتباه السامعين، فيحرم الموضوع نفسه نشاطهم ونشاطه[2].

قال حجاج بن يوسف:

أَنَا إِبِنْ جَلَاَء وطلآع الْمَنَايا ** مَتَى أَضَعَ العِمَامَة تَعْرفَونِيَّ [3]

وقد يبدأ الخطيب بتنفيذ حجج خصمه أو يذكر موضوعه على الاحتمال.

الإثبات:

بعض ممن كتبوا في الخطابة يطلقون عليه اسم العرض، وهـــو موضـــوع الخطبة وعرضها، إذ فيه تأييد القضية التي يَدْعو إليها بالدليل الذي يعتبر عمـــود الخطبة وقطبها، لذا فإنه إن استقني الخطيب أحياناً عن مقدمته أو عن الخاتمة، فلن يستطيع أن يستغين عن عرض الموضوع لأنه الخطبة أياً كان نوعها.

أولاً: شرح الأدلة التي يعتمد عليها الخطيب فيما يدعو إليـــه، وتوضـــيح القضـــية بضرب الأمثال ونحوها، ويسمي ذلك القسم تبياناً، وللآخر هـــو لإبطـــال حجـــج الخصم بما يؤيد دعواه ويسمي تنفيذاً[4].

الخاتمة:

هي مؤجزة قصيرة بالنسبة إلى الخطبة ذاتها، لكنها بالرغم من ذلك لا تقل تأثيراً عنها،كما أن المقدمة ُتعِد السامع للتأثر وتجتذب حواسه فإن الخاتمة هي التي تبقي من الخطبة في نفس السامع، لأنها وكما أسلفنا- تكون آخر مرحلـــة يركـــز عليها انتباهه[5]. ولقد دأب الخطباء في نهاية خطبهم على إيجاز ما سبق لهم مـــن

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص:١١٦.

(٢)أبو عثمان عمر بن بحر (الجاحظ):المرجع السابق، ص:١١٨.

(٣) محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر (الطبري): تاريخ طيري، تحقيق محمد أبو الفضل، مصـــر، دار المصارف سنة ١٩٦٣م،ج٧، ص:٢١٠.

(٤)أبو عثمان عمر بن بحر (الجاحظ): البيان والتبيين، مج٢، ص:١١٨.

(٥) أحمد محمد الجوفي: فن الخطابة، المرجع السابق، ص:١٢٤.

المواهب، كما أن قسماً آخر منهم يعمد إلى استخلاص فكرة عامة رئيسية توقظ سائر الأفكار التي تصدى لها الخطيب، وتضاعف عن تأثير السامع بها، لهذا كان من الضروري ألا تتسع الخاتمة إلى الجدل والتنافس كالموضوع، بل تبقى أن تنفجر بالأفكار والعواطف اليقينية مدوية في وجدان السامع[١].

فشروط وجودتها هي:

١. أن تكون موجزة لما ألقاه الخطيب، وتوضح غايته ورماه.
٢. أن تكون مثيرة للعاطفة في الأمر الذي يريده الخطيب، فإن كان تهديد وإنذار كان فيها أقواها، وإن كانت إثارة عاطفة أو حماسة وحفزًا للمهم
٣. ألقى في الخاتمة وأبلغ ما يثيرهما، وإن كان يريد من خطبته إثارة عاطفة لرحمة أتي بأشد ما يثيره في ختام القول.

التعبير:إن العبارة في الأثر الأدبي هي التي تعطي المعاني والعواطف شكلاً مادياً يسهل به التفاهم، ولا توجد حدود بين المعني والمبني إذ ينصهران في وحدة تامة خلال لحظة الإبداع التي يكون فيها الخطيب،والتعبير الخطابي يشمل: اللفظ- الأسلوب- المقاطع.

اللفظ: ألفاظ الخطابة يجدر بها أن تكون واضحة مكسوفة وقريبة ومعروفة من السهل إدراك معناها، والوصول على مرماها، غير متنائية من معروف الجمهور ولا عربية تعلو عن مداركهم. كذلك ألا تكون الألفاظ مبتذلة أو مستقلة إلى درجة العادية، فيذهب وراء الخطبة ويضيع خلال معانيها. كذلك أن تكون في الخطبة ألفاظ مناسبة مثيرة، الخيال موقظة لذكريات حية في نفوسهم، وأن يختار الألفاظ الجزلة القوية في مقامها، والدقيقة لذلك[٢].

الأسلوب: قال النبيﷺ **(إن من البيان لسحرا)** [٣]. والخطيب الحصيف يمكنه أن يسحر الأفئدة بقوة فكرته وحسن إلقائه وسهولة عرضه ووضوح فكرته، وعذوبة

---

(١) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ص :٢١٨ .

(٢) أحمد محمد الجوفي: الخطابة، مرجع سابق، ص:١٢٤.

(٣) أحمد بن علي بن حجر "العسقلاني": فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (دون مكان النشر)، دار الفكر، دون رقم الطبع، ودون تاريخ النشر، ج٩، كتاب "٤٧"، باب الخطبة، ص:١،٢٠.

كلامه، والخطيب يصل إلى الأذهان عن طريق الأذان، وللأذان ذوق في الجمال لابد من مراعاته في اللفظ والأسلوب، والألفاظ جزء مهم في الأسلوب.

فبجانب تخير الألفاظ المتسقة يتبقي اختيار الجمل والفقرات المترابطة والأساليب السهلة. وعلى الخطيب أن يكون ملماً بثروة لغوية كبيرة من الأدب واللغة وأساليبها، وألفاظها. كما على الخطيب أن يكون لسانه معروفاً بآداب اللغة وطريق المرويان، ذواقة للشعر والنثر، حتى يمكّنه ذلك من التعبير عما في ضميره، نقل ما في نفسه إلى نفوس الآخرين بأسلوب رقيق وآراء مستحبة.

والأسلوب الخطابي يتبقي أن تتوفر فيه الكثير من الصفات منها:

١. التصرف في فنون القول بأن بتعاقب على المعني الواحد، أو المعاني، ضروب مختلفة من التعبير من تقرير إلى تعجب على نهلكهم نفي... ، لكي يكسب كلامه وحدة ولئلا يذهب نشاط السامعين ويعتريهم السأم والملل.
٢. وفي سياق الصفة السابقة على الخطيب أن يتجنب التكرار إذ هو عيب محل في الخطبة، لآن الكلام، لا يقاس بطوله بل بمقدار فائدته.
٣. قال النووي يستحب كون الخطبة فصيحة، تلقىَ مرتبة مبينة من غير ولا تقصير، ولا تكون ألفاظاً ملفقةً لأنها لا تقع في النفوس موقفاً ولا تكون وحشيه نافرة فإنها لا تحصل المقصود بتاتاً بل يختار ألفاظاً سهلة جزلة مفهمة.
٤. مراعاة حسن التأليف بين الكلمات وتآخي بحيث تتحدر الكلمات على اللسان في يسر وسهولة ويحسن موقعها لدى السامع.
٥. تنويع الأسلوب المقامات، وتنويع أحوال السامعين، ومراعاة سنن الخطيب ومنصبه وعمله.
٦. الاعتماد على العاطفة والشعور بمعني أن يكون الخطيب يقظ القلب جياش المشاعر، صادق اللهجة، فإنه لا يؤثر إلا المتأثر.
٧. تجميل الكلام في بعض الأحوال بسجع قليل غير تكلف قصير الفقرات[1].

---

(1) مصلح سيد بيومي: الخطابة في الإسلام، مرجع سابق، ص:٢٧.

المقاطع: هي المنوط بها توضيح المعاني المختلفة الكلام وتراكيبه، وهـــي مواقـــع يقف فيها الخطيب عند الانتقال من فكرة إلى أخرى، ومن معني إلى أخر، ويجـــب على الخطيب أن يختار المقاطع التي يقف عليها بحيث يكون وقوفه عنـــد نهايـــة جزء تام في المعني الذي يريده ،وأن يكون المقطع قوي يملأ النفس ويوجهها، نحو الغرض الذي يريده الخطيب(١).

(١) إيليا حاوي: فن الخطابة، مرجع سابق، ص:١٧.

المبحث الثالث

الخطابة وموضوعاتها (الجاهلية)

لم ينل النثر الفني العربي من عناية الباحثين في كثير من المناحي كالتدوين والتدريس والنقد، حيث أمعن القدامى في بحث الشعر من جميع نواحيه تفصيلاً وتدقيقاً على الحد للإفراط أحياناً.

وفي صنعته وخصائصها، وكأن النثر الفني في الأدب العربي قد غدا شكلاً أجوف لا يحمل مضموناً ولا يعبر عنه فكر[1]. **(وأكثر من عرضوا له من النقاد القدامى: الجاحظ والتوحيد)**[2].

وبجدير هنا أن نذكر أن نزعة تفضيل الشعر على النثر لم تكن مقصورة على الشعراء وأنصاره من هواة الشعر، بل هي قد شملت- وهو وجه الغرابة- عدد غير قليل من الكتّاب منهم مثلاً: ابن وهب إذ يقول: **(اعلم أن الشعر اُبلغ بلاغة...)**[3].

وقد ورد في حق النثر الفني من تعريف لا يتعدى التقسيم والتصنيف، فهو باعتبار الشكل الأدبي والفنون الأدبية ينقسم إلى خطب، ورسائل،القصة،المقال[4].

أما الجاحظ فيقول: (**فقد صح أن الكتب أي كتب النثر أبلغ في تغيير المآثر من البيان والشعر...الخ)**. كما أنه خص جانباً من الكتاب: البيان والتبيين لبلاغة النثر مستشهداً عليه بمختلف الألوان والفنون النثرية المتداولة من الخطبة إلى إرساله إلى الحكايات والأخبار والنوادر، والملح، والأمثال، والحكم، والمجادلات، والوصايا، والأدعية[5]. أما أبو حيان التوحيدي فهو أول من اهتدي إلى حقيقة النثر الفنى، وحلل مقاومته الجوهرية تحليلاً يتصف على الإجازة بالدقة والعمق، وبين

---

(1) سعد حسين منصور: القيم الخلقية في الخطابة العربية، القاهرة، مكتبة لأنجلو المصرية، ط١، دون تاريخ النشر، ص:٧.

(2) البشير مجذوب: حول مفهوم النثر الغني عن العرب القدامى، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢م، ص:٩.

(3) ابن وهب: الكاتب البرهان في وجوه البيان، الرياض، دار المريخ، ١٩٨٥م، ط٦، ص:٣٥.

(4) زاد عليها بن وهب الكاتب في كتابه السابق، نوعين آخرين هما: الاحتجاج والحديث.

(5) البشير المجذوب: حول مفهوم النثر الغني عند العرب القدامى، مرجع سابق، ص:١٢.

صورة خاصة أهمية كل من عنصري العقل الموسيقي في النثر الفنى ،ومن آراء التوحيدي أن الشعر لا يخص وحدة الموسيقي والخيال بل هما قدرة مشتركة بين الشعر والنثر الفنى؛ والفرق بين النوعين في الكلام .وأحسن الكلام- في نظر أبي حيان- مارق لفظه ولفظ معناه... وقامت صورته بين نظم كأنه نثر؛ ونثر كأنه نظم[١]. وفي العلاقة بين النثر والشعر يقول (التوحيدي): **(إذا نظرنا في النظم والنثر على استيعاب أحوالهما وشرائهما... كأن المنظوم فيه نثر من وجه، والمنثور فيه نظم من وجه؛ ولولا إنهما يستمعان هذا النعت لما...)** [٢].

وبين هذه الدراسات التي غنيت بالنثر، وأخذت الخطابة العربية نصيباً من الدراسة كان منها ما تناولته كتب تاريخ الأدب في مختلف العصور، ومنها ما اختصت به الخطابة. غير أن دراسة الخطابة العربية قد طبعت في مجموعها بالطابع الذي ذكرناه عن دراسة النثر بوجه عام، فمضت تدرس الخطيب وخطابته وعصره، وسرعة العبارات وتأثيرها في الجماهير وقربها من السجع، أو بعده عنه دون تمس في ذلك جوهر الفكر، وتستخرج من العبارات روح المضمون؛ وترى ما يمكن في هذا فن القولي المؤثر من معني يصل إلى النفس؛ أو فكرة تحرك الإرادة وتعمل في الضمير.

البيئة العربية في الجاهلية

أولاً: الجاهلية لغة واصطلاحاً، لا خلاف على أن الجاهلية من حيث الاشتقاق اللغوي مصدر صناعي مأخوذ من الجاهلي، [٣].

بناء على هذا المعني- للجهل- هو العصر الذي ارتكبت فيه من الأقوال والأفعال التي لا يأتيها إلا الجاهليون[٤].

(١) أبو حيان التوحيدي: الامتناع والمؤاساة، القاهرة ، دار الفكر العربي، ط٥، ج٢، ص:١٤٥.

(٢)أبو حيان التوحيدي:مرجع السابق، ص:٢٤٨.

(٣) عبد الحميد إبراهيم شيح: مدخل إلى الدراسة للأدب الجاهلي ، القاهرة، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، دون رقم الصفحة، ١٩٩٠م، ص:٦.

(٤)عبد الحميد إبراهيم شيح:المرجع السابق، ص:٧٠.

ومن المعاني الواردة- أيضاً- وما كان ضد العلم والقدرة على ضبط النفس في إثبات الأمور [1]. ويرى أصحاب هذا المعني- للجاهلية- أن كلمة الجهل دارت في القرآن الكريم، والحديث النبوي والشعر، والجهل بهذا المعني من الحمية والطيش وسرعة الانفعال والغضب. قال تعالى:﴿ قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [2]. وفي قوله تعالى:﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [3]. وقوله تعالى:﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾ [4]. وفي حديث الرسول ﷺ قال لأبي ذر الغفاري وقد عيّر رجلاً بأمه **(إنك أمرؤ فيك جاهلية)** [5].ويقول عمرو بن كلثوم في معلقته مفتخراً بقومه

لَنَا الدُنْيَا وَمَنْ أمْسَي عَلَيها ** وَبْطشْ حِيَن نُبطِشُ وأَدْرِينَا

إلا لَاَ يَجْـهلنَّ أحد علَـيَنا ** فَنَجْعَل فَوْقَ جُهِل الـجِاَهلينا

وواضح أن الكلمة في النصوص السابقة استخدمت للدلالة على معاني الطيش؛ والحمق والسفه، ولكن ليست هذه هي الجاهلية في جوهرها، وإنما هذه هي الظاهرة الجاهلية. يقول بن عباس إذا أردت أن تعلم جهل العرب فأقرأ قوله تعالى:﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ افْتِرَاء عَلَى اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [6]. وفي قوله تعالى:﴿ وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـذَا لشركائنا فَمَا كَانَ لشركائهم فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شركائهم سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾[7]. وتفسير الآية: (جعلوا لله جزءاً ولشركائهم جزءاً فإذا ذهب ما

([1])عبد الحميد إبراهيم شيح:مرجع السابق، ص:٧١.

([2]) سورة البقرة: الآية (٦٧).

([3]) سورة الأعراف: الآية (١٩٩).

([4]) سورة الفرقان: الآية (٦٣).

([5]) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، دون مكان النشر، دار الفكر، ج١ في كتاب الإيمان، ص:٨٤.

([6]) سورة الأنعام: الآية (١٤٠).

([7]) سورة الأنعام: الآية (١٣٦).

لشركائهم بالإنفاق عليها وعلى سنتها، عوضوا منه ما لله وأراد ذهب ما لله بالإنفاق على الضعفاء والمساكين، لم يعوضوا منها شيئا، وشركاؤنا فقراء، وكان هذا من جهالتهم، وبزعمهم: والزعم الكذب) [1]. والمعني الذي عناه القرآن في هذه الآية، وفي جميع الآيات التي وردت فيها كلمة الجهل أو مشتقاتها هو أن الجاهلية- وكما هي في الواقع الأمر- هي حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدي الله ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزل الله تعالى[2]:﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [3].

إنما قال إن العرب جاهليون، لا لذلك السبب، وإنما أنهم يحملون أهواءهم يرفضون حكم الله وأعطاهم والبديل من الجاهلية، وهو الإسلام[4].

الخطابة الجاهلية:

يقول:(الجاحظ) **(أما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل طريق عليه أمرؤ ألقيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له على أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائه عام، وإذا استظهرنا باقية الاستظهار فمائتي عام)**[5]. ولا تكاد نعرف شيئاً عما قبل ذلك التاريخ الذي حدده الجاحظ ميلاد الشعر العربي، ما كشفت عنه بعض النفوس الحجرية التي استخرجت من شبه الجزيرة العربية، وكلما ساعدت فحسب على تكوين صورة عامة للحياة العربية قبل الإسلام[6].

ثانيا: **موضوعات الخطب**

إن نظام العرب في الجاهلية اجتماعياً- كان نظاماً قبلياً بدوياً إلا أن القبلية كالأمة تدافع عمر حياتها بالسيف، فيها يدفعون شباب القبيلة إلى الغارة والغزو والدفاع،بما ينجح الشيوخ إلى السلم لذا اهتموا بها في اجتماعاتهم الموسمية

---

(1) القرطبي: جامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ص:٨٩،٩٠.

(2) محمد قطب، الجاهلية القرن العشرين، القاهرة، مكتبة وهبه، ط١، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، ص:٩.

(3) سورة المائدة: الآية (٥٠).

(4) محمد قطب: جاهلية القرن العشرين، مرجع سابق، ص:٩٠.

(5) أبو عثمان عمرو بن حجر (الجاحظ): البيان والتبيين، مرجع سابق،ج١، ص:٢٨٥.

(6) عبد الحميد صيحة: مدخل على دراسة للأدب الجاهلي، مرجع سابق، ص:١٩.

وبأسواقهم- التي يجتمعون بها كل سنة فيقيمون شهراً يبايعون ويختارون وينشدون[١].هي التي بناها قصي بن كلاب الجد الرابع للنبيﷺ ؛ وقد بين ابن كثير فقال: (**إذا أعضلت قضية اجتمع الرؤساء: من كل قبيلة فاستغفروا فيها، ولا يعقد عقد لواء ولا عقد نكاح إلا بها**) [٢].

يقول: (القلقشندى)، (**كان للعرب بالخطبة والنثر غاية للاعتناء حتى قال صاحب الريحان ولريعان: إن مات كملت بها العرب من أهل المدن والبدو، من جيد المنثور، ومزدوج الكلام أكثر مما تكملة بها من الموزون إلا أنه لم يحفظ من المنثور إلا عشرة ولا ضاع من الموزون عشرة؛ لأن الخطيب إنما يخطب في المقام الذي يقوم فيه من مشافهة الملوك أو الحملات أو الإصلاح بين العشائر أو خطبة النكاح ،فإذا انقضي المقام حفظه من حفظه ونسيه من نسيه**)[٣]. وكان لكل قبيلة خطيبها أو خطبائها، على أن عدداً من القبائل قد اشتهرت ببلاغة خطبائها ولقد عدد، د. شوقي ضيف[٤] أسماء كثيرة من خطباء القبائل العربية كخطباء قريش بمكة، وخطباء الأوس والخزرج بالمدينة، وخطباء شينان وقطاعه، وعامر وفزارة وإياد، وبنيِّ ضبة وعبس.واستدل بكثرتهم على ما كان للخطبة من أهمية وشان ورقي هو ما يؤكد قيمة الخطابة في المجتمعات العربية حيث تهيمن على ما كان لديهم من المناسبات الاجتماعية العامة[٥].

موضوعات خطب الجاهليين:

إذا نظرنا فيما وصل إلينا من خطب العرب في الجاهلية يمكن إرجاعها إلى مجالين:حالة السلم- وحالة الحرب.

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مرجع سابق، ج٤، ص:١٤٢.

(٢) أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي: البداية والنهاية، القاهرة، دار الريان للتراث، ط٢؛ ١٩٨٨م، ج٢، ص:٢٠٧.

(٣) أحمد بن علي (القلقشندى) : صبح الاعشي في صناعة الإنشاء؛ القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دون رقم الطبعة، ج١، ص:٢١١،٢١٠.

(٤) شوقي ضيف، فن ومذاهبه في النثر العربي، دون مكان نشر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، دون رقم الطبعة، ١٩٤٦م، ص:١٠، ١١.

(٥) شوقي ضيف: فن ألمذاهبه، مرجع السابق، ص:١١.

أولاً: في حالة السلم:

سخرت العرب الخطبة في حالة السلم لخدمة القضايا الاجتماعية والتربوية وتعويد الشباب على القيام بالأعباء التي تعود بالنفع إلى القبيلة، فقد خطبوا عن الصلاح والإصلاح، والحث على التعاضد والتعاطف[1]، والتفاخر، والتنافر، والعزاء، والوصايا والزواج والكهانة[2]. وسنعرض لبعض الأمثلة من هذه الأغراض:

١/ **الدعوة إلى الفضيلة وسمو الأخلاق:** الحلم والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتبين هذا في خطبة لهاشم بن عبد مناف الجد الثاني للنبي ﷺ إذ يقول:**يا أيها الناس الحلم شرف، والصبر ظفر، والمعروف كنز والجود سأدر، والأيام دول، والدهر، والمرء منسوب على فعله، ومأخوذ بعمله فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد...الخ)**[3].

٢/ **الصلح بين المتخاصمين:** وذلك حتى يقضوا على العداوة التي كانت متفشية ولأقل لأسباب وحمسي للداء قبل وقوعه، ومن أمثلة ذلك ما نراه في خطبة المرشد الخير*. إذ يقول: **(لا تنشطوا عقل الشوادر ولا تلقحوا العون القواعد، ففيها المتلفة المستأصلة والجائحة والآلية وعصوا بالحلم البلاد لكم وأثبتوا إلى سبيل الرشد والمنهج لأقصد، فإن الحرب تقبل... الغرور وتدبر بالرعيل والثبور)** [4].

٣/ **الدعوة إلى الوحدة والتضامن:** ويظهر ذلك في خطبة لعبد المطلب جد النبي ﷺ هزم الأحباش* قال: **(أنت أبيت اللعن، رأس العرب وربيعها الذي به تخضب،**

([1]) القلقشندى: صبح الاعشي، مرجع السابق، ج١، ص:٦٠.

([2]) الإمام محمد أبو زهرة: مرجع السابق، ص:٢٢٣ وما يليها.

([3]) أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، القاهرة، مطبعة عيسي ألبابي الحلبي، بدون رقم الطبعة، ١٩٣٣م،ج١، ص:٧٥.

* مرشد سلمه بن معقل من بني الحارث بن كعب جده جاهلي "خير الدين الزر كلي"، الإعلام، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٧٩م، ج٨، ص١٥.

([4]) إسماعيل بن القاسم: الغالي المالي، بيروت، منشورات، دار الأفاق الجديدة، ١٩٨٠م، ج١، ص:٩٣.

* من ملوك اليمن هزم الأحباش الذي غزوا اليمن صار ملكاً لها.

وملكها الذي بها تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعلقها الذي غليه يلجأ...الخ[1].

٤/ الدعوة إلى العظمة والاعتبار والتدبير في الكون: وذلك في مثل خطبة الإمام ألحارثي في نادي قومه، وهي كما رواها صاحب عن جماعة آخرهم أبو عبيدة قال : (قعد الإمام ألحارثي في نادي قومه فنظر إلى السماء والنجوم ثم فكر طويلاً ثم قال: **(أرعوني أسماعكم وأصفوا إلى قلوبكم يبلغ الوعظ منكم حين أريد، قمع بالأهواء الأثر، وران على القلوب الكدر، وإن فيما نرى المعتبر لمن اعتبر، أرض موضوعة وسماء مرفوعة وشمس تطلع وتقرب، ونجوم تسري فتقرب، وقمر تطلعه النحور وتمحقه أدبار الشهور وعاجز مثر، وحول نكد وشاب مختصر، ويفن قد غيره، وراحلون لا يؤولون... إن في ذلك أوضح الدلائل على المدبر المقدر الباري المصور، يأيها العقول النافرة والقلوب الثائرة أني تؤفكون وعن أي سبيل تعموهن، وفى أي حيرة تهيمون وفي أي غاية توفدون، لو كشفت الأغطية عن القلوب، وتجلت الغشاوة عن العيون لصدح الشط عن اليقين،وأفاق في نشوة الجهالة من استولت عليه الضلالة)**[2].

٥/ المفخرة: وقد كان لكل قبيلة خطيبها الذي يزود عنها بلسانه ومفاخراً بها الآخرين، معدداً مآثر أفرادها وسجاياهم وشريف نسبهم، ومن ذلك خطبة حذيفة بن بدر الغزاري عند كسري: قد عملت العرب أن فينا الشرف الأقدم والعز الأعظم، ومآثر لضيع الأكرم فقال من حوله: ولم ذلك يا أخا فزاره؟ قال: ألسنا الدعائم التي لا ترام والعز الذي لا يصاح قيل له صدقت[3].

٦/ السفارة: والسفارة واجب كان الجاهليون يحرصون على أدائه بين بعضهم لبعض ، ومن خطب السفارات خطبة عبد الملك بن هاشم عن وفد قريش على

([1]) أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، القاهرة، دار الفكر، دون مكان النشر، ودون رقم الطبعة، ودون تاريخ نشر، ج١، ص:٢٤٢.

([2]) مصطفي السباعي: تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دون مكان النشر، ودون تاريخ، ودون رقم الطبعة، ص:١٠٠.

([3])مصطفي السباعي:المرجع السابق:أي من ملوك اليمن هزم الأحباش الذين غزوا اليمن وصار ملكاً له، ص:١٠٠.

سيف بن ذي يزن حين ظفر بالحبشة وأتت إليه وفود العرب لتهنئته ومدحه قال: **(إن الله أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً صعباً كمنيع، شامخاً باذخاً، وأنبتك منبتاً طابت أرومته وعزت جرثومته، وتثبت أصله وسبق فرعه في أكرم موطن وأطيب معدن.ونحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته؛ أشخصنا إليك الذي ألهجنا لكشف الكرب الذي فدحتا فنحن وقد التهنئة لا وفد المرنة)**[١].

٧/ **الأملاك:** ومن خطب الأملاك خطبة أبي طالب بن المطلب لرسول الله ﷺ في تزويجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وهي من أقصر خطب الجاهلية قال: **(الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوباً وجعنا المحاكم على الناس، ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخي لا يوازن به فتي من قريش إلا رجح عليه سرداً وفضلاً وكرماً وعقلاً ومجداً ونبلاً، وإن كان في المال قل فإن المال، ظل زائل وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلي)**[٢].

٨/ **الوصايا:** وصية أكتم بن صيفي التميمي لقومه قال:**(يا بني تميم لا يفوتكم وعظمي وإن فاتك الدهر بنفسي، إن بين حيز ومي وصدري لكلام أجدله مواقع إلى إسماعكم ولا مقار إلا قلوبكم فتلقوه بأسماع مصيفة وقلوب واعية تحمدوا مغبته، الهوى يقظان، والعقل رافد، والشهوات مطلقة والخدم معقول، والنفس مهملة والرؤية مقيدة...، يا بني تميم الصبر على جرع الحلم أعذب من حناء ثمرة الندامة، ومن جعل عرضه دون ماله استهدف للدم، وكلم اللسان أنكي من كلم السنان... ورائي الناصح اللين دليل لا يجوز، نفاد الراعي في الحرب أجري من الطفي والضرر)**[٣]. ومن وصايا الآباء للأبناء، وصية ذي الأصبع العدواني حين احتضر لأبنه أسيد قال: **(... ألن جانبك لقومك يحبوك وتواضع لهم يرفعوك وأبسط لهم وجهك يطيعونك، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً فبذلك يتم**

---

(١) مرجع سابق، ص:١٠٢،١٠١.

(٢)مصطفي السباعي:مرجع سابق، ص:١٠٢،١٠١.

(٣)مصطفي السباعي:مرجع سابق، ص:١٠٠-١٠٣.

سؤددك) [١]. ومن الوصاية النساء لبناتهن: وصية زوجة عوف بن محلن لشـيباني لابنتها عندما أرادت أن تحملها إلى زوجها الحارث بن عمرو ملك كنده: **(أي بنية إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت لذلك منك، ولكنها تذكره للغافل، ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استفتت عن الزوج لغني أبويها وشدة حاجتهما إليها كنني أغني الناس عنه ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال...، وأعلمي إنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه إلى هواك فيما أحببت وكرهت والله بخير لكي)**[٢].

٩/ **المنافرة:** هي التحاكم في الحسب والنسب والمفاخرة فيهما[٣].وهي مجال واسع لإثارة الأحسن والأحقاد، ومرتع لزرع بذور التفرقة والتناحر، وكثير ما كانت تنتهي بعراك يمتد أثره ليشمل رجال عدة قبائل[٤]. وكما تكون المتنافرة بين خطيبين ينتمي أحدهما لقبيلة غير التي ينتمي إليها الآخر، فإنها تكون بين اثنين من نفس القبيلة الواحدة أي أن التعصب القبلي تمتد أخطاره لتمزيق جسد، القبيلة ذاتها ،وتفرق كلمة أفرادها ،ولعل أشهر تلك تنافرتا في التاريخ الجاهلية ،ما دارت بين أعوص بن جعفر العامري، وبين عامر بن لطفيل بن مالك بن جعفر العامري أيضاً[٥]. بل أن منفرتهما لم تكن بين اثنين من أفراد القبيلة واحدة وحسب، ولكنها بين الأبناء عموماً وسبب تنافرهما تنازعهما على رئاسة القبيلة، واعتداد كل منهما بأحقيته في الزعامة فتنافرا بدءاً بذاتيهما فقال عامر: **(والله إني لا كرم منك حسباً، واثبت منك نسباً، واثبت منك نسباً وأطول منك قصباً- فقال علقم والله لا نأخبر منك ليلاً ونهاراً فقال عامر: والله لا تأخير منك ليلاً و نهاراً فقال عامر: والله لا نحب على نسائك أن أصبح فيهن منك أنا أنحر منك للقاح وخير منك في**

---

(١)مصطفي السباعي:مرجع سابق، ص:١٠٥.

(٢)مصطفي السباعي:مرجع سابق،ص١١٨.

(٣) زكريا عبد الرحمن صيام: الأدب العربي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، القاهرة، دار النصر للطباعة الإسلامية، ١٩٧٨م، ص:٢٠٠.

(٤)زكريا عبد الرحمن صيام:مرجع سابق، ص:٢٠١.

(٥)زكريا عبد الرحمن صيام:مرجع سابق، ص:٢٠١.

الصباح وأطعم منك في السنة الشياخة. فإجابة علقم: "أنا خير منك أثـــراً واحـــد منك بصيراً، وأعز منك نفر وأشو منك ذكراً)[1].

ثانياً: في حالة الحرب: تفرقت العرب في باديتها مترامية الأطـراف، الواسـعة الأكناف، وتحرص على عزتها وكرامتها، وكانت الخطب وسيلة للتحريض علـى القتال وشن الغارات والأخذ بالثأر وبث الحمية في النفوس، وتحبيب المعرس على الجبان في البيئة تتطلب من ذلك في كل وقت وآن[2]. وقد سخّر العرب الخطابـة في حالة الحرب لإيقاظ الحماسة قبل اللقاء وتثبيت القلوب في أثنائه ليـدفعوا بهـا المقاتلين الحياة الشريفة أو إلى معرس عطر الذكر.

ومن خطب التحريض على القتال والثبات في الحـرب خطبـة ابـو بكـر الصديق قوم يوم ذي قار قال: **(يا معشر بكر هالك معذور، خير من تاج فزور إن الحذر لا ينجي من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، والنميمة ولان، استقبال الموت خير من استدباره ،الطعن في ثغر النحور أكرم منه في الإعجاز والظهور بآل ابو بكر الصديق قاتلوا إنما للمنايا...)**[3]. وقد خلت موضوعاتهم من الخطب القضائية لأن نظامهم القبلي له قوانينه المحددة التي لا جدال فيها، والقاعدة عندهم في الحالة القتل هي الثأر من القاتل، تمكنا من نفسك وأن فيك وفاء من دمه[4].

---

(1)زكريا عبد الرحمن صيام:مرجع سابق، ص:٢٠١-٢٠٥.

(2) مصطفي السباعي: تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص:٩٧.

(3) أبو علي القالي: الامالي، مرجع سابق، ج١، ص:٦٩.

(4) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، مرجع سابق، ج١، ص:٤١.

المبحث الرابع

الخطابة في صدر الإسلام

تدل كلمة الإسلام[١]، باشتقاقها اللغوي على معني الخضوع والانقياد[٢]، وقد ترددت في القرآن الكريم بهذا المعني في مثل:﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[٣]. وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٤]. وفي الاصطلاح فإن كلمة الإسلام أطلقت على الدين الذي رسوله ونبيه سيدنا محمد ﷺ[٥]. وذلك في قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ [٦].وهو دين يكمل الديانات السماوية السابقة وسيطرة على كل ما جاء به الرسل.﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ [٧]﴿ وأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ومهيمنا عليه﴾ [٨]. فالإسلام هو الشريعة الإلهية الأخيرة التي تفرض سلطانها على كل ما سبقها من شرائع سماوية. (أما صدر الإسلام فهو يطلق على الفترة من تاريخ الإسلام منذ بعثة النبيﷺ إلى نهاية الخلفاء الراشدين، ومن هم من يزيد إلى ذلك على نهاية الدولة الأموية ونهاية الدولة العباسية) [٩].... فالمعروف عن العرب أنهم يتميزون بالقدرة على الارتجال والبيان ولهم حظ عظيم من البديهة المسعفة والفصاحة المتوارثة والقول البليغ يجيرون القول إذا تكلموا

---

[١] قال ابن منظور في مادة سلم السلام والتحية معناهما واحد ـــ والسلام في أهل ألسلامه ـــ يقال سلم يتسلم سلاما وسلامة ـــ ومنه قيل ألخنه دار السلام لأنها دار السلامة من الآفات ـــ والسلام : الاستسلام ــ والإسلام والاستسلام : والانقياد ،والإسلام من الشريعة : إظهار الخضوع وانهار والسريعة والتزام اتجه به النبي صلي الله عليه وسلم . جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، ط١، بيروت دار صادر للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م، مج١٧، (مائدة سلم)، ص:٢٤٠.

(٢) شوقي ضيف: عصر الإسلام، نشر القاهرة، دار المعارف، ج١، سنة ١٩٨٦م، ص:١١.

(٣) سورة الزمر: الآية (٥٤).

(٤) سورة الإنعام: الآية (٧١).

(٥) عمر فروع، تاريخ الأدب العربي، نشر، بيروت، سنة ١٠٨٥، ج١، ط٧، ١٩٩٧م، ص:٢٤٧.

(٦) سورة المائدة: الآية (٣).

(٧) سورة سبأ: الآية (٢٨).

(٨) سورة المائدة: الآية (٤٨)

(٩) محمد طاهر درويش: الخطابة في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص:٤

يقدرون على الإيجاز وعلى الأطنان إذا خطبوا[1]. تحدث عمر بن الخطاب عن يوم السقيفة بقوله: " كنت قد زورت كلاماً لأقوله، فقال لي أبو بكر الصديق على رسلك وتكلم، هو فهو لم يترك شيئاً مما كنت أريد أن أقوله وكان يشعر (عمر بن الخطان) بأن لخطبة النكاح بخاصة مشقة بقوله: (**ما تصعدني كلاما كما تصعدني خطبة النكاح. وروي إن عثمان بن عفان صعد المنبر فأرتج عليه فقال: أن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالاً، وأنتم على أمام عادل أحوج منكم إلى خطب، وستأتيكم الخطب على وجهها وتعلمون إن شاء الله)**[2].والتاريخ يذكر لنا تلك الحكاية مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي خطب الناس يوماً فاستنكر وعزم أن يجعل لها حداً، فصاحت امرأة في أخر المسجد قائلة: ليس لك ذلك يا عمر، والله تعالى يقول: ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ [3]. فقد كان الإسلام حدثاً خطيراً في حياة العرب، وكان لابد من السنة محاسنه وتدافع عنه، والعرب أهل السن وفصاحة، فلا يبلغ من نفوسهم إلا الفصاحة وقد كان الإسلام يعتمد في دعوته على الحجة والمنطق ومكانته الخطابة.

ومما ساعد على نهوض الخطابة في الإسلام ورقيها وتطورها مايلى:

١) ظهور دين الإسلام الذي أحدث انتقالاً وانقلاباً دينياً واجتماعياً، وسياسياً، ودعوة الدين الإسلامي وتشريعاته كانت من أهم أغراض الخطابة.

٢) استجابة النبي ﷺ لمنهج الدعوة إلى الله تعالى، كما جاء في القرآن الكريم حين يقول عز وجل: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [4].

(١) شوقي ضيف: عصر الإسلام، مكان النشر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٦م.

(٢) عمر فروع: تاريخ الأدب العربي، ج١، دار النشر، بيروت ١٠٨٥، ط٧، ١٩٩٧م.

(٣) سورة النساء: الآية (٢٠).

(٤) سورة النحل: الآية (١٢٥).

٣) الصراع بين الدعاة إلى الله تعالى وبين المعاندين من الكافرين وغيرهم، فكل منهم يريد أن يجذب الآخر نحوه عن طريق الإقناع والاستمالة، وهذا اعتمد على حد كبير على الخطابة.

٤) الأفكار الجديدة التي عمل الإسلام على بثها بين المدعوين فتقبلها هؤلاء باهتمام بالغ، لأنها كانت تعزيهم دائماً وتأخذ بأيديهم على سبيل الإرشاد.

٥) الاقتباس من القرآن الكريم وترشيح الخطب بآياته[١].

٦) كما ساعد على رقي الخطابة في الإسلام على شيوع مبدأ الحرية التي كفلها الإسلام لأتباعه، غم أنه حد من الحرية الجاهلية التي كانت تلقى في الأعراض وتفخر بالنظم، مع ذلك كفل حرية للمسلمين يستطيعون بها أن يقولوا ما يرونه ضرورياً لصلاح المجتمع.

٧) ومن العوامل- أيضاً- مبدأ الشورى- مبدأ الشورى الذي دعا إليه الإسلام في ضوء ما قاله الشراع الحكيم ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾[٢].وقوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾[٣].

٨) ومما ساعد على النهوض الخطابة في الإسلام أن العرب في عهدهم الجديد- كانوا لا يزالون أميين يعتمدون على السماع، ولم تكن الدولة قد تحضرت تحضراً يسمح للكتابة بأن تؤدي هذا الدور الخطير في إقرار نظام الحكم، ودفع الجيوش المحاربة الاستبسال في سبيل الله والتبشير بالفتح، وما إلى ذلك) [٤]. فكان الخلفاء الراشدون يعنون باختيار ولأنهم ممن عرفوا بالفصاحة، ومضاء اللسان لأن الخطيب الصقع يستطيع أن يستفيض في عرضها منطقاً من القيود، فيتوصل إلى غايته من إقناع الجمهور أكثر مما يستطيع الشاعر المكبل بالوزن واتفاقية[٥].

---

(١) مصلح سيد بيومي : الخطابة في الإسلام، مرجع سابق، ص:٣٢.

(٢) سورة الشورى: الآية (٣٨).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٥٩)

(٤) محمد الطاهر درويش: الخطابة في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص:٣٩.

(٥) محمد رجب اليومي: البيان النبوي، مرجع سابق، ص:١٠١.

أثر الإسلام في حياة العرب

ظهر الإسلام أعظم حدث في التاريخ العرب، وبداية تحول خطير في حياتهم الدينية والاجتماعية والسياسية والفكرية، وتبدل في مقاييسها ونظمها ومرافقها، كما اثر من نفسية العربي وشخصيته ونمط تفكيره[1].

على الصعيد الديني:قضى الإسلام على الوثنية وقرر التوحيد المطلق لله في الذات والصفات والتوجه له بالعبادة وحده، والاستقلال الحرية، فليس لا حد عليه سلطان، واعتقاده أن لا رازق إلا الله. ومن أصول العقيدة الإسلامية الإيمان بالرسل، فمن محبة الله للناس ورحمته بهم أن اصطفي لهم من خلقه أنبياء يوحي إليهم بما فيه سعادتهم في الدارين قال تعالى:﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[2]. وعلى الناس أن يؤمنوا بما جاء به الرسول ﷺ من الكتب السماوية[3].

على الصعيد الخلقي الروحي:كان هناك للعرب بعض الصفات الخلقية كالكرم والشجاعة، والتضحية وإباء الضيم وحماية الجار وغيرها، المال ليس حقاً لمالكه وحدة، بل له شركاء فيه من الفقراء والمساكين وغيرهم، وغاية هذا الكرم ليست أبهة أو مباهاة أو سيادة أو عطفاً مشوباً برياء، بل القربى إلى الله والشوق على ثوابه[4].وبجانب تلك الأصول الأساسية للعقيدة الإسلامية، أعمال من العبادات يجب على المسلم أداؤها، (العبادة هي الخضوع لله على وجه التعظيم وهي تشمل جميع الشعائر الدينية) [5].(وترجع جميع أعمال العبادات تلك شعائر منها الصلاة- الصوم- والحج- الزكاة) [6].

على الصعيد الاقتصادي:ارتكز النظام الاقتصادي في الإسلام على أصلين أساسيين: الأول: هو الاعتراف بمواهب الفرد وحقه المقدس في ثمار عمله

([1]) شوقي ضيف: عصر الإسلام، مكان النشر، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٦م، ج١، ص:١٠

([2]) سورة النساء: الآية (١٦٥).

([3]) سورة البقرة: الآية (١٤).

([4])شوقي ضيف: عصر الإسلام، مكان النشر، القاهرة، دار المعارف، سنة ١٩٨٦م، ص:١٣

([5]) إبراهيم أنيس: ورفاقه المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج١، ص:٥٧٩،

([6]) شوقي ضيف: الأدب العربي، العصر الإسلامي، مرجع السابق، ص٤٥

وكفاحه، والسماح له بحرية ضمن إطار القيم المعنوية والخلقية التي يؤمن بها الإسلام، ولم يكن ذلك التحديد تحديداً للحرية في الحقيقة، وإنما هو عملية إنشاء للمحتوي الداخلي للإنسان الحر إنشاء معنوياً صالحاً[1].

الثاني: تقرير حق المجتمع في كسب الفرد، ووجوب التضامن والتكافل الاجتماعي بين أبناء الأمة، فوضعت الشريعة مبدأ إشراف ولي الأمر على النشاط العام .

على الصعيد الثقافي الأدبي:كان العرب حتى ظهور الإسلام شعباً منعزلاً لم تتح له الفرصة الكافية في الاختلاط بالشعوب المتمدنة فظل متشبثاً بتقاليده وأفكاره، محافظاً على لغته التي تعتبر مظهر حياته ومرآة آدابة، ودليل أخلاقه.

على الصعيد السياسي:قامت دعوة الإسلام على أساس تنظيم الشؤون الدينية والدنيوية للبشر عامة، فالإسلام دين ودولة، وعقيدة وشريعة.

والعقيدة: هي الجانب النظري في الإسلام الذي يتطلب الإيمان بها أولاً وقبل كل شيء؛ وقد أجمع المسلمون عليها. كالإيمان بالله وحده لا شريك له، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله بالبعث والحساب، هذه هي أركان العقيدة التي يقوم عليها البناء الروحي للدولة الإسلامية[2].

على الصعيد العقلي الفكري والنفسي:(قضى الإسلام على الوثنية الجاهلية بكل ما طوي فيها من كهانة، وسحر وشعوذة، وبذلك ارتقي بعقل الإنسان، إذ خلصه من الحماقات والترهات[3]. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ﴾ [4]. الآية تدل أن القرآن الكريم اتجه إلى العقل في دعوته إلى الإيمان بوجود الله، وقدرته وتدبيره، وذلك شأن في الإيمان بوحدانيته.وتأتي موضوعات أخرى يحتكم القرآن إلى العقل في الدلالة عليها:كالبعث والنشور:﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[5].

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٤، مرجع السابق، ص:١٣٠.

(2) أحمد بن محمد عبد ربه: عقد الفريد، ج١، مرجع السابق، ص:٢٤٥.

(3) شوقي ضيف: الأدب العربي، مرجع سابق، ص:٥٢

(4) سورة آل عمران: الآية (١٩٠).

(5) سورة الأنبياء: الآية (١٠٤).

وينحي الذكر السليم بالأئمة على من لا يستخدمون عقولهم فيشبههم بالأنعام التي لا تعقل ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [1].وقد حدد الإسلام العقل من رق التبعية العمياء، وذلك بدعوته لكل مسلم أن يستقله فيما خلق له من التدبر، فيتأمل وينظر ويحكم لا عن عقائد موروثة، بل عن دليل ناطق وشهادة صحيحة. كما أن الإسلام دعا لاستخدام العقل لتعلم كل ما يفيد للإنسانية وفي سبيل ذلك أشاد في غير موضع بالعلم والعلماء في مثل قوله:﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [2].قال تعالى:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾ [3].﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [4]. قال رسول الله ﷺ "**طلب العلم فريضة على كل مسلم**"[5]. وقد حمل الإسلام العلماء أمانة الدين الحنيف، وجعل لهم حق الاجتهاد في فروعه وما يطوي فيه من استنباط للأحكام، يقول جل ذكره:﴿ فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ ﴾ [6]. ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ [7]. وهو خطاب للرسول الكريم، ومن ثم أصبح الاجتهاد بالرأي أصلاً من أصول الإسلام حين لا يوجد نص في كتاب أو سنة فالإسلام- بناء على ما سبق- رفع من شأن العقل الإنساني إذ جعله الحكم في فروع الشريعة وحثه على استكمال سيطرته على الطبيعة وقوانينها، بعد أن كان تحت رحمتها في القديم، كما حثه على التزود بجميع المعارف، وفتح الأبواب كي يجتهد في مسالك الدين العملية.

---

(1) سورة الفرقان: الآية (٤٤)

(2) سورة طه: الآية (١١٤).

(3) سورة فاطر: الآية (٢٨).

(4) سورة الزمر: الآية (٩).

(5) شرح صحيح البخاري: مصدر سابق، باب العلم، ج٢، ص:٧٥.

(6) سورة التوبة: الآية (١٢٢).

(7) سورة آل عمران: الآية (١٥٩)

على صعيد القيم الاجتماعية:كان العرب- كما ذكرنا- يعيشون في الجاهلية قبائل متنابذة، لا يعرفون فكرة الأمة إنما يعرفون فكرة القبيلة وما يربط بين أبنائها من نسب، وكل قبيلة تتعصب لأفرادها تعصباً شديداً. (1)

فلما جاء الإسلام أخذ يضعف من شأن القبيلة ويحل محلها فكرة الأمة يقول جل ذكره: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾(2).

كُنتُ خذ الإسلام يرسي القواعد الاجتماعية لهذه الأمة بحيث تكون أمة مثالية يتعاون أفرادها على الخير آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر. يقول لله عزه وجل: ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾(3). وبذلك يكون الإسلام دين عدالة الاجتماعية إذ جعل رد الغني بعض ماله على الفقير وإلى صالح العام للأمة حقاً دينياً) (4).

أنواع الخطب في (صدر الإسلام)

امتاز هذا العصر بكثرة الخطباء البلقاء كثرة رائعة في الصدارة الخطيب والزعيم الروحي والأعظم(محمد صلوات الله وسلام عليه)أشهر الخطب (الدنية ــ الاجتماعيةــ السياسية)(5).

ومن جانب آخر فهنالك تقسيم للخطب استناداً إلى موضوعاتها التي تعالجها فهيِّ بناء على هذا الأساس تنقسم إلى الآتي:

١) الخطب السياسية ٢) الخطب القضائية.

٣) الخطب الدينية ٤) الخطب العسكرية.(6).

٥) الخطب الاجتماعية ٥)الخطب الحربية(7).

---

(1) شوقي ضيف: عصر الإسلام، مكان النشر، القاهرة، دار المعارف، سنة ١٩٨٦م، ص:١٥.

(2) سورة الأنبياء: الآية (٩١).

(3) سورة البقرة: الآية (٢٤٥).

(4) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، مرجع السابق، ص:٥٣.

(٥) :عبد المنعم لخفاجي :(عبد التواب) أحياة الأدبية في العصر الجاهلي وصدر الإسلامي ، المرجع السابق،ص١٦٣.

(6)الإمام محمد احمد أبو زهرة:المرجع السابق، ص:١٥٤.

(7) عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار النشر، مجمع البحوث العلمية "سابقاً"، ط٢، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، جميع الحقوق محفوظة، ص٤٨.

فالتقسيم الحديث للخطابة تقسيمه طبيعيا يستند إلى موضوع الخطبة. ويعتمد على توجيه الخطيب نفسه(١).

الخطب السياسية:

سبقت الخطابة السياسية كل نوع، وصار فيها طريقاً من الطرق المجد المعبد ومنهاجاً مستقيماً عن يريد أن يتقدم إلى خدمة أمته على نطاق أوسع.

بدءاً بالاهتمام بموضوعاتها: **(فإذا كانت الخطابة في الجاهلية مجال خلابة ومباهاة، وموضوع افتخار بالفصاحة والإغراب، ومصدر فيه وإعجاب، ومعرضاً الثرثرة والهمز والتطاول، وإذا كانت أغراضها في العصر الجاهلي تتلخص في الحمية الجاهلية وشن الغارات في الدافقة عن النفاس والمال والغرض، والمفاخرة بالشر، والخطب في الحسب والنسب، وقوة العصبية، وشرف الخصال في الشجاعة والكرم والنجدة وحماية الجار وإباء الضيم...الخ)**(٢) إذا كانت موضوعاتها كذلك في الجاهلية فقد تحولت في الإسلام عن أغراضها القديمة إلى أغراض جديدة **(وذلك بأخذها وجهة دينية، كأداة لنشر الدعوة الدينية)**(٣) وتتناول الخطب السياسية الموضوعات التي تتعلق بتنظيم الجماعة، وإقامة لحكم فيها سواء كان ذلك في المجالس النيابية أم في الاجتماعات الانتخابية، فضلاً عن الندوات العامة والخطب والمؤتمرات السياسية الدولية.وهذه الخطابة النيابية يرافقها في الغالب ويتقدمها وجه آخر من أنواع الخطابة السياسية وهي الخطب الانتخابية حيث تكثر الروح العقائدية، والمناهج والأسس الإصلاحية والعهود المثالية. يقول سيدنا علي كرم الله وجه: **(إن الجهاد باب من الأبواب الجنة، فمن تركه رغبة عنه ألبسة الله ثوب الذل وشمله البلاء، ولذمه الصغار وسيم الخسف ومنع النصف...)** (٤). والخطب المؤثرات السياسية الدولية هي خطب الكبراء والبدائيون عن الحكومات في المؤامرات الدولية، وهنا يقل عنصر الشعور وإثارة الأهواء،

---

(١) أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، تاريخ النشر، مارس ٢٠٠٧م، ط٥، دار النشر، القاهرة، ص:٦٣.

(٢) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، مرجع سابق، ص:١١٣.

(٣) شوقي ضيف: مرجع سابق، ص:١١٤.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، مرجع سابق، ج٢، ص:٣٥.

وصدق التصوير أقصى ما تتسامح به دولته، وهذه تبدو غالباً في مستوى ثقــافي وأدبي قلماً نالته الخطب النيابية والانتخابية، وأخيراً خطب النوادي والمجتمعــات، وليس لحزب من الأحزاب خطة سياسية أو تأييد فكرة من الأفكار والدعوة إليهــا وفي الغالب يكون المجتمعون في النوادي من الخاصة أو الوسط وقليل أن يكونــوا من العامة، ولذا يحسن أن تكون الخطبة محكمة الأفكار مع الوضوح والســهولة، وأن تسرد فيها الأدلة المنطقية مع الوسائل الخطابية، فيكون للمنطق سلطان بجوار سلطان الخطابة، وما يتخذ فيها مــن طــرق الإثــارة الأهــواء) [1]. **(والخطابــة السياسية بأنواعها المختلفة تشيع وتزدهر في المجتمعات الديمقراطية في الحكم، حيث للشعب دوره في المشاركة في الإدارة الدولية)** [2].

الخطب القضائية:

وهي الخطب التي تلقي في دور المحاكم، ازدهرت كسائر أنواع الخطــب في اليونان، حين كان الخطباء يدافعون عن مالهم وشرفهم وأرزاقهم أمام القضاء، ثم ظهر بعد ذلك المحامون الرسميون الذين ينوبون عن الموكلين، فزداد هذا النوع من الخطابة حرفاً وإجادة مما زاد من شأنها، وقد أصبحت الخطبة القضائية صورة ثابتة في هذا العصر، تمتد بصورة خاصة لنصــوص القــانون المعلــوم عليهــا، والبراهين الصحيحة، وتجرى وفقاً للأصول الثقافية وتتمثل في الآتي:

١) مرافعة النيابة، التي تتمثل في أن النائب العام ووكلاؤه يرفعون القضــايا فــي الأمور التي تتعلق بالنظام العام وهي الجنايات المنصوص عليها في القانون، ويقدم النائب الأدلة المثبتة للدعوى في الجملة، فإن ظهر أن القرائن كافية للأدلة بعد رفع الدعوة عرض الأمر للحكم.

٢) مرافعات المحامين، فالمحامي هو العليم بالقانون الذي يستطيع أن يبحث حــق ذي الحق ويدفع باطل المعتدي، معتمداً على علمه بما شرعه القانون من حقــوق، وما لزم به من واجبات وما قيد به الحريات حفظاً للجماعة وتثبيتاً للمصالح[3].

([1]) الإمام محمد أبو زهرة:فن الخطابة، مرجع سابق، ص:١٦٠.

([2]) محمد الجوفي: فن الخطابة: مرجع سابق، ص٥٠.

([3]) الإمام محمد أبو زهرة: فن الخطابة، مرجع سابق، ص:١٦١.

الخطب الدينية:

وهي الوعظ الديني تتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أجمعت عليه الشرائع وافقت على وجوبه الأديان، فعليه قد قامت الـدعوة إليهـا ومـن ينوعه تعذن النفوس النشرة غذاءها الروحي. أثر عن عبد الله بن مسـعود فـي احدي مواعظه وفيها يقول لأهل الكوفة.قال:(**أصل الحـديث كتـاب الله تعـالى، وأوثق العربي كلمة التقوى، وخير الملل مله إبراهيم، وأحسن السنة محمـد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وخير الأمور عزائمها سباب المؤمن فسق، وقتاله كـر، وأكل لحمه معصية مكتوب في ديوان المحسنين من عفا عفي عنه، السعيد مـن وعظ بغيره.. وأحسب الهدي هدي الأنبياء)** [١].

والوعاظ المرشدون هم من يمثلون الخطيب الديني، وهو إلى جانب صـفات الخطيب، أحوج إلى التحلي بصفات أخرى كالورع، التدين، الفقه، الروح المعنوية العالية،وأخيراً التعلم التام بكل ما يساعد في مهمته. والعلم يشمل: العلـم بجـوهر الدين، والعلم بحال من توجه الأخلاق والاجتماع، مما يساعده على فهم خـواص العقل البشر ومناحي تفكيره، وعلم الأخلاق الذي يعطيه صورة صحيحة للفضـائل وما يفيد الناس، وعلم الاجتماع يعطيه صورة لتكوين الأمـم وتفكيرهـا وطـرق التأثير فيها، وهذا ألزم ما يحتاج إليه الخطيب الديني.

إضافة إلى العلم وسعة الصدر والتواضع والصـبر علـى الأذى. والخطـب الدينية بعضها خطب للدعوة إلى الدين أو الدفاع عنه، وبعضها خطـب التعلـيم الديني عامة لمنتقي الدين، وهنالك خطب آخرى لتثبيـت الإيمـان وتقويتـه[٢]. والخطب الدينية تستمد أهميتها من أهمية الدين الذي يمثل مصدر هداية أفراد الأمة ومصدر تشريع لجوانب حياتهم المختلفة.

---

(١) الجاحظ: مرجع سابق، ج٢، ص: ٥٦.

(٢) الإمام محمد أبو زهرة: فن الخطابة، مرجع سابق، ص:١٣٢.

الخطابة العسكرية:

هي ذات الخطب ألارتباطي المباشر بالحربي يلقيها القادة يهـدفون مـن ورائها إلى رفع الجند وروحهم المعنوية. وتشتمل الخطب العسكرية على النقـاط التالية:

١) بيان شرف الغرض الـذي مـن أجلـه يحاربون،الـدفاع عـن الـوطن أو العقيدة...الخ.

٢) بيان أثر الحسن لمن يتقدم لهذا البلاء بثبات بأس وقوة، فإما انتصار وفخـار، وإما موت .

٣) بيان أنه لا يأمر بالقتال ويمتنع بدمه، بل أنه يتقدمهم يوم اللقاء والزحف ليكون لهم منه القدوة الحسنة[١]. فإثارة الحماسة في نفوس الجنـد وإيقـاظ همـتهم مـن الأعراض الخطب العسكرية التي يمكن جني ثمارها روحاً معنويـة عاليـة عنـد الجند، تعين على الانتصار على العدو.

المحاضرات العلمية العامة:

وهي التي تقوم بها الجامعات هادفة على مد جماهير المتعلمين بـالبحوث العلمية وتنوير لأذهانهم وثقافاتهم، وترقية الراعي العام ونشر الثقافة في ربوع البلاد وهذا نوع من المحاضرات تقرب فيه المسائل العلمية وتسهل فيه الأفكـار، ولذا يعد من الأنواع الخطابة وإن لم تكن بحوثه فـي الموضـوعات الخطابيـة وتختار لها موضوعات جذابة مع البعد عن المصطلحات العلمية البالغة التعقيـد وكتابة المحاضرة في قرطاس حتى لا تضيع الحقائق العلمية في تيار الحماسـة الالتقائية إن اعتمد على الخطابة من عبر القرطاس[٢].

خطب التائبين (**أو خطب المحافل**):

أسماها أرسطو الخطب الاستدلالية حيث تعتمد التكريم أو التـائبين لمعالجـة موضوعاً يجري في الحاضر) [٣].أما خطب التائبين فتنقسم إلى قسمين هما:

([١]) محمد الحوفي: فن الخطابة، مرجع سابق، ص:٥٢.

([٢]) انظر: الإمام محمد أبو زهرة: الخطابة، مرجع سابق، ص١٠٧.

([٣]) الإمام محمد أبو زهرة: مرجع سابق، ص:١٥٨.

١) قسم تحليلي تدرس فيه نفس الرجل وأخلاقه وآثاره العقلية أو غير العقلية، وهذا من قبل المحاضرات العلمية فله خواصها ومظاهرها.
٢) قسم مجرد للثناء والمدح، وذكر المناقب الأمم، وهذه الخطب في الغالب على الناحية الجمالية لما يذكر أرسطو؛ لأنها تعتمد على الأدلة والبراهين والجدل والنقاش كالخطب السياسية والقضائية، صور تثقيف العبارة فهي أغرب الأنواع الأدبية إلى الفن [١].مثل ذلك خطبة الخلفاء الراشدون عندما الأولي بالمدينة:**(الحمد الله أحمد وستعينه واستغفره واستهدي وأمن بها ولا أكفره وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمد عبده ورسوله أرسله بالهدي والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة، وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد ... ومثل ضلالاً بعيداً، وأوصيكم بتقوى الله، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، وذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون من الله أكبر، ولا قوة إلا بالله العظيم)** [٢].

ولمهارة الخطيب وقدرته على تصوير التفاصيل المختلفة الخاصة بالشخص وموضوع الخطبة.

خطب المدح والشكر: وهي قسمان:

١) تاريخي تقريري: كمدح عظماء الرجال في حياتهم لا إليهم والتقرب منهم، بل لدراسة أحوالهم وبيان لصفاتهم وتقرير لمذاهبهم وهذه عملية تحليلية إذا كان الغرض منها البحث والتحليل، أو رد الأمور على أسبابها ومقدماتها إلى نتائجها، وإما سياسية إذا كانت الدعوة لمذهب سياسي، والأولي تلحق بالمحاضرات العلمية فلها طرائقها ومسالكها، والثانية لها خواص الخطب السياسية فهي منها [٣].كما

(١) محمد عبد الغني: الخطب والمواعظ، مرجع سابق، ص:٥٥.

(٢) أبو محمد عبد الملك بن هشام ألمعارفي (ألهشام): السيرة النبوية، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (د.ن)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت) ، ج٢، ص: ١٠٥.

(٣) الإمام محمد أبو زهرة: الخطابة، مرجع سابق، ص:١٥٨.

كانت بعض الخطب الخلفاء الراشدون، هم من تكلم في الأوائل العصر الإسلامي **(في الثناء في أصاحبه رضوان الله عليهم بنوع خاص أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي وحث المسلمين جميعاً على إكرامهم والرجوع إليهم في كل ما أشكل من الأمر)** [١].

٢) ذكر المناقب والصفات إعلاء لشان الممدوح وتشريعاته لانتقاء منفعة منه، أو لإظهار شعوره له نحو ذلك وما يكنه له من إجلال، والخطيب هنا عليه أن يبين بصدق سجايا الممدوح البيضاء على الجماعة، مع مراعاة عدم الكذب إذ أنه يصف المدح بالثقل والادعاء [٢].وخطب الشكر يسلك فيها نفس هذا المسلك، وعليه أن يطنب في ذكر النعمة التي أسداها الممدوح له أو الجماعة، وطريقة إسدائها. تصدر تلك الخطب عادة بذكر نعم الممدوح وفضله.

خطب الرثاء:خطب الرثاء تدخل في خطب المحافل، ولكنا حيث تكون موجزة يفرق فيها التأبين وخطب التعزية. والرثاء نوع من التأبين. والترتيب العام لخطبة التأبين أن يذكر المتكلم الميت فيصف صفاته الحميدة أو طلب المغفرة والرحمة[٣].ثم أيضاً في خطبة أبو بكر الصديق رضي الله عنه السابق الإشارة إليها ما يدل على ذلك...(**...ألا إن الله لا شريك له، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه بها خيراً، ولا يصرف عنه بها سوءاً إلا بطاعته وإتباع أمره، وأعلموا أنكم عبيد مدينين وان ما عنده لا يدرك إلا بطاعته أما أنه لا بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة)** [٤]

خطب النكاح:من أنواع الخطب ما يقال عند عقد القرآن وهو نوع لا يزال مستعملاً في أيامنا،بعد أن يتم عقد القرآن تكون تهنئه للزوجين ولأسرتيها، وكانوا قديماً يستعملونها قبل إجراء العقد يجعلون...[٥].

---

(١) عبد اللطيف حمزة: الإعلام في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص:٤٥.

(٢) انظر: الإمام محمد أبو زهرة: الخطابة، مرجع سابق، ص:١٥٨،١٥٧.

(٣) عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار النشر، القاهرة، (٨٠٦٤)، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص:١٠٢.

(٤)محمد بن جرير الطبري: المرجع السابق، ج٢، ص:٤٦١.

(٥)عبد الجليل عبده شلبي: المرجع السابق، ص: ١١٤، ١١٥.

ثالثا: **خصائص الأسلوب الخطابي في صد ر الإسلام**

الخطابة في عصر الإسلامي تتصف بالآتي:

١) سهولة عباراتها ورقة وصفاء ألفاظها، لما هذب القرآن والحديث من السنة العرب المسلمين ورقق من ألفاظهم.

٢) ترتيب الألفاظ ووضوح التراكيب، وجريان القول في نسق متصل وذلك لأنها تمثلت بالنبراس القرآني.

٣) استخدام الألفاظ القليلة لتأدية معاني كثيرة (**بحيث يكون هنالك إمتلاء في الألفاظ، وشدة في التماسك، وقوة في التعبير، وهذا هو الإيجاد والتحديد...**) [١].

٤) وجود سوق الحقيقة وكساد سوق المجاز وهي سمة مشتركة بين ألفاظ الخطابة الجاهلية وألفاظ الخطابة في الإسلام.

٥) ومع ذلك نجد- قليلاً- من المجاز والكنايات في ألفاظ الخطابة الإسلامية.ولعل القرآن قد هذب سنة العرب في الإسلام بعد أن هذب أرواحهم فاختفت من ألفاظهم الوحشية والقسوة التي عهدت فيها في الجاهلية[٢].

الأسلوب:الثورة التي أحدثها الإسلام في مجال الخطابة تبين بصورة واضحة أن أسلوب الخطابة لا يعتني بالترتيب والتسلسل ولا تخاطب العقل مخاطبة واعية بصيرة، وتمتاز بالاستشهاد بالحكم والأمثال..الخ.

لذا نجد أسلوبها في الإسلام أمتاز بكثير من المميزات منها:

١) تمتاز الخطابة في صدر الإسلام بطلاوة أسلوبها.

٢) ابتداؤها بحمد الله والصلاة على النبي ﷺ قال الجاحظ: (**على أن خطباء السلف الطيب وأهل البيان ومن التابعين بإحسان، ما زالوا يسمون الخطبة التي لم تبدأ بالتحميد وتستفتح بها البتراء، ويسمون التي لم توشح بالقرآن تزين بالصلاة على النبي ﷺ (الشوهاء)**[٣].

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، مرجع السابق، ج٢، ص:٥٤.

(٢) إحسان النص: الخطابة العربية في عصرها الذهبي، مرجع السابق، ص:٤٨.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، مرجع السابق، ج٢، ص:٤٩.

المعاني:يلاحظ على معاني الخطابة في العصر الإسلامي ما يلي:
١)ترتيب أفكارها والتحامها، حتى كأنها قطعة واحـــدة، وذلـــك بخـــلاف خطـــب الجاهلي:قديماً جاء ت الخطبة فقرات منفصلة لا رابطة بينهما إلا أنها ومواعظ .
٢)عليه المعاني الروحية علي المعاني الخطابة في العصر الإسلامي، الأمر الـــذي خلت منه الخطابة في الجاهلية،وذلك لأن تفكير العربي في الجاهلية كـــان يـــدور حول ملك محدود،وقد كانت صورة في الخطابة ــ والشعر أيضاً ــ منتزعة مـــن الظواهر الحسية المحيطة بها،وقلما وجد فيها أثر للفلسفة المعاني الروحية.
٣) الأفكار المتجددة في الخطابة الإسلامية وذلك بأن الخطبة في الإســـلام كانـــت تستعرض فيها حشود من المعاني يتم إبرازها في عبارات محدودة.
٤) تحديد المعاني، وبذلك يختصر الخطيب مسافات بعيدة من الفحص اليقظ والتتبع الدائب ليقدم خلاصتها الموجزة مركزة في عدة نقاط متقاربة) [١].

كان الخلفاء بعد عمر رضي الله عنه ينكرون السجع علي محـــدثيهم وأمامنـــا خطبة القوم وهي تخلوا خلواً تاماً من السجع إلا ما جاء عفواً من الحين البعيد إلي الآخر ولكنه إذا كانوا قد احملوا السجع،فإنهم لم يحملوا جزالة اللفظ رصاصته،بل لقد كان لهم كل خطيب أن يحسن قوله وأن يصدقوه صـــياغة رائعـــة. وتـــورد للباحث خطبة سيدنا أبو بكر الصديق بعد أن بائعه المسلمون لمثال للخطبـــة فـــي صدر الإسلام تظهر فيها جميع خصائص الخطابة الإسلامية متأثراً بالهدى النبـــي في ذلك:خطبة سيدنا أبو بكر رضي الله عنه،بعد أن بائعـــه المســـلمون فحمـــد الله وأثنى عليه ثم قال:**(أيها الناس أني قد وليت عليكم ولست بخيركم،فإن رأيتمـــوني على حقاً فعينوني،وإن رأيتموني علي باطل فيسددوني،أطيعوني كما أطعـــت الله فيكم،فإذا أعصيته فلا طاعة لي عليكم ألا إن أقواكم عند الضعيف حتى أخذ الحق له،وأضعفكم عند القوي حتى أخذ الحق منه،أقول قولي هذا واستغفر الله لكم)**[٢].

(١)لابن قتيبه:مرجع السابق، ص:٤٨.

(٢) علي محمد حسن العماري: التاريخ الأدبي العصريين الجاهلي والإسلامي، مرجع السابق، ص:١٠٢.

الفصل الثاني

خطب الخلفاء الراشد ين الخطابة الدينية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: العوامل المؤثرة في الخطابة الدينية

المبحث الثاني: أنواع الخطابة الدينية

المبحث الثالث: موضوعات الخطب الدينية

المبحث الرابع: الخصائص الفنية والفكرية للخطابة الدينية

المبحث الأول

الخطابة الدينية

خطابة الدينية والوعظية هي الدعوة إلى الله تعالى إشارة لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وقوله: ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه (والله لئن يهدي لله بك رجلاً واحداً خير لك من الحمر النعم) [١]. والخطابة الدينية تبعث في النفوس الحقائق والإيمان ،وتغذي القلوب بغذاء الأخلاق الفاضلة إرضاء لله تعالى ورجاء لثوابه .والخطابة الدينية فيه إنارة الطريق،والدعوة إلى سبيل الهدى والرشاد، فالله سبحانه وتعالى أرسل رسله وأمرهم بالبلاغ المبين قال الله تعالى : ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ [٢].وقال تعالى :﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [٣].

والوعظ الديني الشأن الأول؛ لأن الدين هو أساس الوحدة وجامع الكلمة، لذلك كان له الاعتبار الأول، وفيه حث الإسلام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل ذلك قوام الأمة وطريق رقيها.قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [٤].وكان الرسول ﷺ يخاطب الناس في مجالس قريش وأنديتها ،وفي وفود العرب داعياً إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة. وكان ﷺ يقرأ عليهم الآيات من القرءان لما من البلاغ والإقناع، موضحاً سنن الدين ومنهجه .وكانت الخطابة الإسلامية وسيلة في دعاية السلم وللحرب.وقد اتخذ ت هذه الخطابة طابعاً ومنهجاً مميزين عن خطب الجاهليين وسجع الكهان ،كما اتخذ نسقاً منتظماً كل الأسبوع في الصلاة الجُمع

(١) أخرجه البخاري، ص٥٦.

(٢) سورة المائدة: الآية (٩٢).

(٣) سورة النور: الآية (٥٤).

(٤) سورة آل عمران: الآية (١١٠).

وكل عام وفي صلاة العيدين، وستظل منابر الجُمع والعيدين وسائل هداية وترشيد للمجتمعات الإسلامية وكل أرجاء المعمورة .وكان النبي ﷺوالخلفاء الراشدون من بعده يستخدمون الخطب للوعظ والإرشاد...وهي تعتمد على الصدق في القول لا على الصنعة والزخرفة.فإن الأحداث السياسية لم تنفرد بالتأثير في حياة الفن الخطابي في هذا العصر.وتأتي عوامل المؤثرات الدينية في طليعة العوامل غير السياسية التي تركت طابعها الواضح في خطابة الخلفاء. وجاء في الخطب الدينية للخطابة، ارتقاء الذكر وعلو مكانته، وعظمة المنزلة ثم تهيأ بها[١]. يلاحظ الباحث عدة عوامل متداخلة وممتزجة في التأثير على علم الخطابة الدينية في عصر الخلافة، وساعد على نموها وتطورها وازدهارها، ونلخص تلك العوامل:

العوامل المؤثرة في الخطابة الدينية

أولاً: الإسلام وتعاليمه:وهو العامل الرئيسي المؤثر في عهد الخلافة الراشد، فبلاغة القرآن الكريم، وبيانه الناصح، وخاصة الخطب التي نالت من موارد فصاحته وبلاغته وروعة معانية طبيعة الحال نشاطاً كبيراً في ميدان الخطابة الدينية ،وتعاليم الدين وشرائعه وأصوله،وإغراض القرءان الكريم ومعانيه[٢].

وقد أوجد الإسلام أنواعاً كثيرة من الخطب لم تكن معروفة من قبل مثل: خطب الجُمع والعيدين التي تفتتح الخطبة بحمد الله والصلاة والسلام على النبي ﷺ، ويقترن ذلك بالشهادة، ويختم بالدعاء، وكثيراً ما يرد الخطباء في عصر الخلافة فيها الآيات القرآنية والحديث، مما جعل هذه الصيغة دينية على كثير من الخطابة السياسية والاجتماعية. وساعده تعلم دين الإسلام على ظهور طبقة من الوعاظ يعظون الناس ويذكرونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، ثم ازدهرت الخطابة على ألسنتهم، ثم كان لظهور علم التفسير أثر واضح في نشوء حلقات المفسرين، والقصاص الذين كانوا يدعون لتفاسيرهم بالقصص المتصلة بالآيات القرءان، ونلاحظ تطور علوم الإسلام من فقه وتفسير واجهاد وتصنيف الأحاديث النبوية؛ فتشعب العلماء وافترقوا إلى طوائف ومذاهب دينية، تتصارع فيما بينهما

---

(١) محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، دار الكتب، لبنان، ص١١٧.

(٢) عبد الحكيم بليغ، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، ط١، مكتبة الانجلو المصرية، ص:١١٢.

المناظرات واحترام الجدل؛ مما وسع دائرة المعارف الإسلامية، وأخذ كل مذهب في الدعوة الناس للانخراط معهم فانتشر دعاة المذاهب في الأقطار لبث أفكار مذاهبهم. ونشأت خصومات دينية من لون آخر في الخلافة الراشدة، والصحابة والمسلمين من ناحية أعداء الإسلام. ومن ناحية أخرى أخذ علماء الإسلام في الرد على ناشري الضلالات والخرافات والأساطير وفساد العقائد. وخاضوا معارك كلامية طاحنة مع اليهود والزنادقة وغيرهم من الملا حدة، وكان من أثر ذلك كله أن تطورت الخطابة الدينية بأنواعها، ودخلت طوراً جديداً من النضج فكراً وأسلوباً. ولاشك أن الخطابة الدينية وحدت المسلمين الأصل الأصيل، والركن الركين، الذي كل فرع دونه يهون وإذا كان ذلك، فإن الخلافة الراشد، تعاظمت مكانتها، ومهما كانت موضوعاتها ومسائلها، فإنها في مقابلة وحدة الصف، وتوحيد الكلمة للأمر طارئ ثم ظهرت قضية ثانوية يمكن معالجتها في إطار هذا الأصل، وذلك أن الخطابة الدينية في الإسلام إنما جاءت أصالة لتقيم جماعة وتنشئ أمة أفرادها متحابين ومتآخين ومتوادين، ليكونوا عبيداً لله، يخرجون من عبادة الهوى، وعبادة العبيد إلى عباد الله تعالى وحده، بل الله سبحانه وتعالى سمى الإيمان وحدة، وسمي التفرق كفراً قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ...﴾[1].﴿ وكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [2]. فالله سبحانه وتعالى يحذر هنا المؤمنين قائلاً لهم: إن تطيعوا فريقاً من الذين أُتوه الكتاب يردوكم بعد وحدتكم متفرقين، ولذا جاء بعد ذلك الاستفهام الإنكاري: "وكيف تكفرون وأنتم تتلي عليكم آيات الله وفيكم رسول الله ﷺ " فيكون المعني: "كيف تتفرقون وأنتم تتلى عليكم آيات وفيكم رسول الله ﷺ" [3]. ويؤيد هذا التأويل ويوقده سبب نزول هاتين الآيتين والآيات التي قبلها وبعدها التي بدلت في شأن الأوس والخزرج، عندما كادوا أن يقتتلوا بسبب فتنة ومكر من عدو الله اليهودي شاش بن قيس عندما ذكرهم بيوم

---

(1) سورة آل عمران: الآية (١٠٠).

(2) سورة آل عمران: الآية (١٠١).

(3) د. طه جابر فياض الحلواني: أدب اختلاف في الإسلام، المهد العالمي للفكر الإسلامي، بأمريكا، ص:٢٢.

يعاث، إلا أن الله عصمهم من هذا الشر قبل وقوعه بإدراك الرسول لهم ووعظه لهم وإصلاحه لذات بينهم [١].

ثانياً: الثقافات الأجنبية:لهذه الثقافات أثر واضح إيجابي وسلبي على الإسلام، وكل من هذين الأثرين كان له دور في تطور الخطابة ، يمكن نقل كثير من أصول وأساليب الخطابة الناضجة والمكتملة في الفرس واليونان إلى خطباء عهد الخلافة[٢].

ثالثاً: الاتصال بالتراث العربي الإسلامي:فللعرب والمسلمين بصفة خاصة تراث خطابي منذ القدم ونشأت الجماعات العربية في العصر الجاهلي حيث البيان العربي يمثله قس بن ساعدة الأيادي، وسحبان بن وائل وعلقم بن علاقة، وعامر الطفيلي، وغيرهم، وأيضاً نلاحظ في بداية العصر الإسلامي الأول أعلام الفصاحة والبيان والخطباء وعلى رأسهم الرسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب، وسهيل، وعمر بن الخطاب وغيرهم من الخطباء في هذا العصر الأول.

ترك الخلفاء والخطباء في بداية صدر الإسلام الأول ثروة خطابية كبيرة متنوعة، ذلك التراث القيم ونهلوا من معينه الدافق، وخاصة في فترة المنافسات التي قامت بين الخطباء من وعاظ وقصاص ودعاة المذاهب والإلحاد لأجل اجتذاب العامة.وقد اهتم الناس بالرجوع لهذا التراث عندما تفشي اللحن، فصارت الخطب القديمة تكتب في صحف وتباع في أسواق الوراقين [٣].

رابعاً: نشاط الوعاظ والقصاص:سجع الإسلام على حياة الزهد وحذر من إتباع الأهواء والملذات، وفي القرآن الكريم كثير من الآيات ترشدنا إلى ذلك، وأيضاً في السنة كثيرة من الأحاديث تدعو الناس إلى التكافل من الدنيا والاستعداد للآخرة.

وساعدت هذه الآيات القرآنية والأحاديث الداعية إلى ظهور طبقة من الوعاظ وأخذوا في أمر الناس بالمعروف، ونهيهم عن المنكر عملاً بتعاليم

---

(١) أبي حنيفة لنعمان لزين الدين بن نجم، الأشباه والنظائر على المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٥-١٩٨٥م، ص:٨٤.

(٢) د. صالح آدم بيلو: الثقافات الأجنبية، ط١، مكة المكرمة ١٩٨٨م، ص: ٢٧ وما بعدها.

(٣) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والثقافي الاجتماعي الديني، ج٤، ط١٣، طبع دار الجيل بيروت، ص:٤٧٢.

الإسلام، قولاً وفعلاً [1].وكانت بيئة الخلفاء صالحة لنشؤ هذه الجماعات التي تهدف إلى الخير، وانغماس اللهو، والعبث والمجون وحب الرقص، والغناء وأثروا فــيهم وأفسدوا المجتمع [2]. أوجدت حركة الوعاظ خطباً رائعة بقيــت ذخيــرة للأجيــال القادمة، فخلق التوازن بين الخير والشر. وهنالك جماعة من القصاص اختصرت حلقاتها على إيراد أخبار الأمم السابقة وسير النبــيﷺ وغيرهــا مــن القصــص والأساطير، وكانت العامة من العرب عجم يحرصون حرصاً تاماً على حضــور هذه الحلقات، وكانت هذه المنافسة بين القصاص تــؤدي كثيــراً مــن المبالغــات والفتن.وتأثر القصاص بالمذاهب والفرق الدينية، فأخذوا يرددون أخبــاراً كاذبــة، لتكوين الحقائق التاريخية بما يتلاءم وعتقدات الفرق التي يؤيدونها خاصــة أيــام الفتنة بخلق القرآن، وكانت المصيبة بين الأمة العربيــة وغيــر العربيــة، وبــين المسلمين من ناحية والمجوس والوثنيين والنصارى من ناحية أخرى.وكذلك كــان القصاص يصطحبون الجيوش في ميادين القتــال [3] يقصــون علــيهم قصــص البطولات، وسير السلف الصالح، كانوا يُؤجَّرون على هذا العمل من قبل الإســلام والدولة، وصار الاعتماد عليهم في المعارك كبيراً، فأدوا دورهــم علــى الوجــه الأكمل[4].

خامساً: موقف الخلفاء والمجتمع من علماء الدين:كانت أهمية سياســة الخلافــة الراشدة ترمي إلى ظهور الدعامة الدينية وإحاطة الخلافة بالهيبة الإسلامية، فوقفوا من علماء الدين موقف الرجال صفاً واحداً، وسمحوا بقــدر مــن حريــة الــرأي والتعبير، وتولى بعض الخلفاء الخطابة بأنفسهم هــذا الأمــر فــاهتزت المنــابر لفصاحتهم، وكانت الخطابة أهم أدوات في عهد الخلفاء. وقد اهتم بعض الخلفــاء بأمر الجدل الطويل بينهم، وسمحوا للمتناظرين بالخوض في شتي المسائل الدينيــة

---

(1) الجاحظ بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج١١، الطبع دار المعارف، بيروت، ط٣، سنة ١٩٧٧م، ص: ٣٠٦، ١٣/٥٣ط/٣/ مكتبة بيروت، سنة ١٩٨٠م.

(2) د. شوقي ضيف: عصر العباس الثاني، ط٢، دار المعارف، مصر، ص:٦٧ وما بعدها

(3) الجاحظ بن كثير: البداية والنهاية، م١١، ص:٣٠٣.

(4) محمد عبد الغني حسن: الخطب والمواعظ، دار المعارف، مصر سنة ١٩٦٨م، ص:٦٥.

والفلسفة فازدهرت خطب المناظرات الدينية (١). ولكمال المظهر الديني الذي حرص الخلفاء سمحوا للوعاظ بوعظهم وأظهروا التأثر بمواعظهم، فكثر وقوف الوعاظ بين أيدي الحكام يعظونهم، فكان لهذا التشجيع أثر في نمو الخطابة وازدهارها، وأدرك الخلافة الراشدة بجلاء أهمية الأثر الخطير الذي يؤديه الفقهاء والخطباء في مصائر الدولة، فجعلوا التعاون بينهم وبين هؤلاء ركناً أساساً في سياستهم، فأخذوا يرعون الفقهاء والخطباء رعاية تضمن حماية سياستهم. وخطيب المسجد الحديث مطالب بإحياء الخطبة الدينية، ويوجد فراغ واسع في الميدان وتعطش كبير إلى سماع المواعظ الدينية.

نلاحظ في خطباء المساجد بوجه عام فقرهم البين لدروس السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وعجزهم عن شرح النصوص القرآنية والحديث. والخطيب البادئ يحتاج إلى جهود كبير في هذا الأعداد، ولكنه لا يتم تكوينه خطيباً إلا بهذا المسلك. ومجتمع الخلافة كثرت فيه الآراء الدينية، لتشعب مذاهب العلماء فضلاً عن كثرة المفاسد، فازدحم الناس حول حلقات القصاص يأخذون عنهم الهداية والرشاد، وكانوا حريصين على حضور الحلقات، وفي بعض الأحيان يهجرون معايشهم، ومزارعهم وبيوتهم يبيتون في العراء والمساجد حتى يحجزوا لأنفسهم أماكن حلقات الوعاظ (٢)، التي كانت تزدحم بالعامة رجالاً ونساءً (٣)، وأصبح تكاثر الناس لقول الخطيب دليل على تفوقه فاهتم الخطباء بتجويد الخطب، لتكسب رضا الجمهور وتنال إعجابهم.وقد ارتبط كثير من الوعاظ بالذهبية والتقدير في الناس وكان لهم سلطان قوي إلى القلوب فتعاطفت معهم العامة وجلوهم غاية الإجلال حتى كانت مكانة بعض الخطباء تفوق مكان الخليفة نفسه في نفوس الرعية (٤).

---

(١) الحافظ جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، مطبعة دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ص: ٣١٠-٣١٥.

(٢) الحافظ بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، م١٣، ص٨٥.

(٣) (الجاظ)المرجع السابق، م١٢، ص:١٤٤٠.

(٤)حمد عبد الغني: الخطب والمواعظ، ص:٥٦.

المبحث الثاني

أنواع الخطب الدينية:

خطبة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة الرسول ﷺ لما توفي رسول الله ﷺ أخذت الناس حيرة عظيمة ونابهم ذهول كبير إذ لم يتوقعوا وفاة رسول الله ﷺ . ولقد قام عمر بن الخطاب فقال: إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإنه والله ما مات ولكنه ذهب على ربه كما ذهب موسي بن عمران، وقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسي فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات. ثم أخذ يهدد ويتوعد كل من يقول إن رسول الله مات.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه غائباً في منزله بالسنج فلما علم بالخبر قدم على فرس له حتى نزل بباب المسجد، ثم أتي بيت عائشة رضي الله عنها، ورسول الله مسجي بثوب في ناحية البيت، فكشف أبو بكر الثوب عن رجه رسول الله ﷺ وأخذ يقبله ويقول:

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما أطيبك حياً وميتاً، والله لا يجمع الله عليك موتتني أبداً، أما ألموته التي كتبت عليك فقد مطها، ثم غشي وجه الرسول بالثوب، ثم خرج إلى المسجد والناس في شديد غمرتهم وعظيم سكراتهم فخطب خطبة قال فيها([1])." **أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن الكتاب كما نزل، وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث، وأن القول كما قال وان الله هو الحق المبين ثم قال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وإن الله قد تقدم إليكم في أمره، فلا تدعوه جزعاً، وان الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم وقبضة إلى ثوابه، وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه، فمن أخذ يهما عرف، ومن فرق بينهما أنكر، يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط، ولا يشغلنكم**

([1]) عطية محمد سال: أصول الخطابة والإنشاء، دار التراث بالمدينة المنورة، ص:١١-١٢

الشيطان بموت نبيكم ولا يفتنكم عـن ديـنكم فعـالجوه بالـذي تعجزونـه، ولا تستنصروه فيلحق بكم"[1] ويلاحظ الباحث على الآتي:

١. الإقرار بأن محمداً بشر يصيبه ما يصيب البشر من العوارض، وقد أصابه الموت الذي هو نهاية كل حي، وبيان أن الدين لله والله حي باق لا يموت.
٢. بيان أن الرسول قد انتقل من حياة فانية إلى حياة باقية .
٣. بيان أن الرسول لم يترك المؤمنين هملاً من غير أن يضع لهم ما ينير لهم الطريق، بل ترك فيهم كتاب الله هو الدستور الإلهي، وسنته التي من أهـم وظائفها بيان ما جاء مجملاً في كتاب الله.
٤. على إقامة العدل الذي أنزل الله الشرائع السماوية من أجل تحقيقه للناس.
٥. سد الطريق على الشيطان الذي يحـاول أن يلقـي بعضـا التفرقـة بـين المسلمين، ويصرفهم عن دينهم، وعما يجب عليهم عمله.

نظرة الباحث،لقد امتازت هذه الخطبة بميزات فنية رائعة نجملها فيما يلي:

١. قصرها وهذا أجمل شيء فيها فالموقف هو موقف معزٍ بمصاب عظيم هو فقد الرسول عليه الصلاة والسلام فليس الموقف موقف مباهـاة بالفصـاحة والبلاغة وإطالة الخطب.
٢. احتوائها على الموضوعات المناسبة للمقام فالمسلمون في موقـف حيـرة وتخبط، فهم بين مصدق ومكذب.
٣. سهولة ألفاظها فلم يستعمل رضي الله عنه جملة تكون بحاجة إلى تعمق في الفهم.
٤. قصر جملها مما جعلها تسير مسيرة الأمثال ويحفظها القاصي والداني.
٥. هذا إلى جانب ما تراه من قوة الحجة والبرهان وسرعة العارضة وحرارة القول مما ترك تأثيره الحقيقي في نفوس من استمع خطابة، وكانت خطبتـه في ذلك الموقف هل كلمة الفصل " يؤتي الحكمة من يشـاء ومـن يـؤت

([1]) عطية محمد سال: أصول الخطابة والإنشاء، دار التراث بالمدينة المنورة، ص:١١-١٢.

الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً"([1]).

وهي جزء من الشعائر الإسلامية التي ارتبطت بمناسبات الدينية المعينة وتكررت على الفترات زمنية، قد تكون متقاربة وقد تكون بعيدة مثل الجمع أو متباعدة كالأعياد، ولكل من الخطب الجمع والأعياد أحكام راسخة أرسي الرسول ﷺدعائمها منذ فجر الإسلام الأول كان تسبق خطبة الجمعة الصلاة وهي: خطيتان يجلس الخطيب بينهما، ويفتتحان بالحمد والثناء عليه والصلاة والتسليم على النبي ﷺوذكر الشهادة، وقد أوصي المصطفي ﷺبتقصير الخطبة وإطالة الصلاة [2]

أما خطبة الأعياد فإن الصلاة تسبق الخطبة، وهي كالجمع من حين أنها تتكون من خطيتين يجلس الخطيب بينهما ويختلف عنها في كونها تفتتح بالتكبيرات. وكانت من سنة النبي ﷺ تقتضي كذلك أن يخطب الخطيب واقفاً في كلتا الخطيتين، ولكن جزءاً خالفوا ذلك فهم يجلسون في احدي الخطيتين الجمعة والعيدين ويقومون في الأخرى[3]. والنتيجة حتمية لتدخل الخلفاء في تعيين الخطباء والإغراق عليهم صار هؤلاء الخطباء يبالون في المدح الخلفاء وتعظيمهم ورفعهم إلى مراتب تقرب من التقديس، وكان هذا المدح المبالغ فيه من جانب الخطباء الموالين للخلافة، الذين لا علاقة لهم بالسياسة، للسياسة في الخلفاء لراشدين مثل الإمام ألشاطبي [4] هو الذي أريد توليه الخطابة في مسجد بغداد فأبي لأجل مبالغة الخطباء في مدح الملوك وتعنهم [5].

([1]) عطية محمد سال: أصول الخطابة والإنشاء، دار التراث بالمدينة المنورة، ص:١١-١٢

([2]) ابن حجاج بن مسلم: صحيح المسلم، حديث رقم (٨٦٩)، ط١، دار السلام، الرياض، سنة ١٩٩٨م.

([3]) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ج٦،ط٤، طبعة دار المعارف، (د.ت).

([4]) هو أبو محمد القاسم بن خيرة بن أبي القاسم المعروف بالشاطبين، وكان شيخاً ضريراً ولد سنة ٥٣٨هـ في قرية شاطبة التي تقع شرق الأندلس، وعاش في مصر وتوفي سنة ٥٩١هـ ودفن بقرية القرافة بمصر.

([5]) الحافظ بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج١٣، ص:١٠.

خطب الجمع أهمية سياسية خطيرة، فكان موضع اهتمام الخلفاء والسلاطين، فبات ذكر اسم الخليفة مثل الذهب والفضة [١] على الناس بمجرد ذكر اسم الحاكم والدعاء له، وفي بعض الحالات كان الناس يجبرون على الوقوف عبر البدء الدعاء للسلطان [٢]، ولم يكن الدعاء على المنابر في الجمع والأعياد قاصراً على الرجال وحدهم من الخلفاء وولاة عهد السلاطين، بل تعداهم كذلك إلى النساء مثل زوجات الملوك التي كانت تدعو لهن على مثابرة [٣].

خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه :فقال :(الحمد الله،أحمده وأستعينه، وأستغفره وأؤمن به، وأتوكل عليه وأستهدي الله بالهدى،وأعوذ به من الضلالة والردى، ومن الشك والعمى؛ من يهد الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد ولياً مرشداً؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت، وهو حي لا يموت، يعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون _ إلى الناس كافة، رحمة لهم وحجة عليهم، والناس حينئذ على شر حال في ظلمات الجاهلية، دينهم بدعة، ودعوتهم فرية : بم عني الكذبة .فاعز الله الدين بمحمد ﷺوألف بين قلوبكم أيها المؤمنون، قال تعالى:﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٤] **فاتقوا الله ورسوله، فإنه قال عز وجل**﴿وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً﴾[٥] **أما بعد أيها الناس: إني أوصيكم بتقوى الله العظيم، في كل أمر وعلى كل حال ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم ؛ فإنه ليس**

---

(١) الحافظ بن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص:٢٤١، ط٢، طبعة مكتبة المعارف، بيروت سنة ١٩٧٧م، ١٣، ص١١٣.

(٢) الحافظ بن كثير: البداية والنهاية،مرجع السادس ، ج١٢، ص:٩.

(٣) بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج١١، مرجع السابق ،ص١٨.

(٤) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

(٥) سورة النساء: الآية (٤).

فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلـك، وإيـاكم والفخر؛ وما يفخر من خلق من تراب وإلى التراب يعود ،هو اليوم حـي وغـداً ميت ! فاعملوا وعدوا أنفسكم من الموتى. وما أشكل عليكم فردوا علمه إلى الله وقدموا لأنفسكم خيراً تجدوه محضراً، فإنه قال عز وجل:﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رءوف بِالْعِبَادِ﴾ [١]**.واتقـوا الله عبـاد الله وراقبـوه، واعتبروا بمن مضى قبلكم ، واعلموا أنه لابد من لقاء ربكم والجزاء بأعمـالكم، صغيرها وكبيرها، إلا ما غفر الله، إنه غفور رحيم، فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله** ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾[٢]**. اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك، أفضل ما صليت على أحد من خلقك؛ وزكنـا بالصـلاة عليـه" وألحقنا به، واحشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه اللهم أعنا طاعتـك، وانصـرنا على عدوك)** [٣].

أصبحت إقامة الخطبة للخلفاء تعني الولاء له وقطع الخطبة تعنـي المقابـل خلع الطاعة والخروج عن السلطان، فاستخدم إقامة الخطب وقطعها سلاحاً حاداً له دوراً فعالاً في الصراعات الداخلية للخلفاء [٤]. ولقي الكثيرون مصرعهم، لأنهـم يقيمون الخطبة للخليفة [٥].ومن هنا نستطيع أن نقول: إن خطبة الجمـع والعيـدين مهمة من الناحية الدينية، في تولي أمور المسلمين دون غيره ؛ لأسـباب مختلفـة مثل سقوط بعض المدن والدويلات التي تدين له الولاء في أيدي الأعـداء، وفقـد تقطع أيضاً لتوترات التي كثيراً ما كانت تشعون العلاقات بين الخلافة الراشـدين والدويلات المستقلة عنها [٦]. ويبذلون العرب في سبيل ذلك كل ما فـي وسـعهم، وظلت الخطب الدينية في الجمع والأعيـاد تـدور مـع عقـارب النصـر فـي

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٣٠).

(٢) سورة الواقعة: الآية (٥٦).

(٣) أحمد بن عبد ربه: عقد الفريد، ج٤، مرجع السابق ،ص:١٣٠.

(٤) د. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج٣، ص:٥٨.

(٥) الحافظ بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٩٠.

(٦) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج٣، ص:١٢٨.

الخصومات التي كانت تندلع بين هذه الدويلات فيما بينهما [1]. وخطب أيضا أبـــو بكر الصديق رضي الله عنه:فحمد الله وأثني عليه، ثم **قال:(أوصـــيكم بتقـــوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطـــوا الرغبـــة بالرهبـــة، وتجمعـــوا ألاف بالمسالة؛ وهو المستعين عنها. فإن الله أثني على ذكريا وعلى أهل بيته)** فقـــال: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُـمْ كَـانُوا يُسَـارِعُونَ فِـي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [2].

ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلـــك مـــواثيقكم، وعوضكم بالقليل النافي الكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبـــه، ولا يطفأ نوره، فثقوا بقوله، وانتصحوا كتابه واستنصروا فيه ليوم الظلمـــة ،فإنـــه خلقكم لعبادته ،ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون .ثم اعلموا عباد الله إنكم تغدون وتروحون إلى أجل قد غيب عنكم علمه فإن استطعتم إن (لا) تنقضي إلا جال (إلا) وانتم في عمل لله (فافعلوا) ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله_فســـابقوا في مهل بأعمالكم ، قبل إن تقضي آجالكم فتردهم إلى سوء إعمالكم، فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم (ونسوا أنفسهم)،فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم؛ فالوحي الحي والتجاء التجاء؛ فان وراءكم طالباً حثيثاً مره :الحبل ،سريعاً سيره) [3].

خطب الأعياد: خطب (أبو بكر الصديق) رضي الله عنه ،عيد الأضحى المبـــارك فقال:**(الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر، الله اكبـــر، الله اكبر، الله اكبرا والحمد لله كثيرا، سبحان الله بكرة وأصيلا، واشهد إن لا الـــه إلا الله وحده لا شريك له ن واشهد إن سيدنا محمدا عبده ورســـوله أرســـله ربـــه بالهدى ودين الحق ليظهر على الدين كله ن وكفى بالله شهيدا ،اللهم صل وســـلم وبارك على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين . عباد الله : أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ن وأهنئكم والمسلمين أجمعين بعيد الأضحى المبارك ن وقد تجمع المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها لإحياء تلك الشعيرة التي أمـــر الله**

([1])د. حسن إبراهيم حسن:مرجع سابق، ج٣، ص :٤٣ –٨١.

([2]) سورة الأنبياء: الآية (٩٠).

([3]) إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد، ط، دار المعارف، ١٩٦٣م، ص:٢٨٢.

بتعظيمها ...وفي هذه المجتمعات الخيرة تتهاوى كل الفرو قات بـين المسـلمين وكأنهم جميعا أسرة واحدة أبوها ادم، وأمها حـواء عليهمـا السـلام عقيـدتها التوحيد وربها العزيز الحميد ، ونبيها سيد المرسلين وقرانها دسـتورها الخالـد وغايتها رضا الله سبحانه وتعالى ونشر السعادة والسرور بين الإفراد المجتمـع جميعها فيجتهد المطيع بالقربى... الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر ولله الحمد. أيهـا المسلمون : وفي هذا اليوم يفيض حجاج بيت الله الحرام من المزدلفة إلى رمـي جمرة العقبة الكبرى ثم الطواف بيت الله الحرام طواف الإفاضة ثم الأداء مناسك الحج كما بينتها السنة النبوية الشريفة ، ونسال الله العظيم رب العرش الكريم إن يتقبل منا ومنهم ، وان يجعل التيسير حليفا لهم في هذا الركن العظيم الذي هـو من أركان الإسلام الخمسة وان يجعل حجهم مبررا وسـعيهم مشـكورا وذنـبهم مغفورا .أيها المسلمون :ما أعظم الإسلام في تشريعاته الشاملة وإحكامه الكاملة حيث يوجه الناس جميعا إلى عبادة المولى سبحانه وتعالى فالمقيم هنا مشـغول بالذكر والتكبير والصلاة والعبادة والتقرب إلى الله تعالى بعل الأضاحي ،وإدخـال السرور على الإفراد المجتمع والحاج هنا مشغول بإعمال الحج وذبـح الهـدى، وأداء النسك المتعلقة بتلك الفريضة العظيمة(١). وهكذا شان الفرد المسـلم فـي ظل الإسلام لا يعرف معني الفراغ ، فالمسلم يتبع منهجا مملـوءا بالواجبـات ، مملوءا بالحقوق والتبعات،لا يكاد يفرغ من عبادة أو أداء واجب حتى يدخل فـي غيره ، فلا يكاد المسلمون ينتهون من فريضة الصوم التي تجمعهم على التحرر من الشهوات والملذات والتحلي بالتقوى والصبر ، حتى يتهيئوا لفريضة أخرى هي فريضة الحج التي يتحقق فيها الإيمان الصـادق والتجـرد الخـالص لله رب العالمين وفي هذه المشهد الإيماني العظيم تتوحد مشاعر المسلمين في محبة الله ورسوله ، وحب الخير للخلق أجمعين . الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر ولله الحمد. أيها المسلمون : إن البيت الحرام بناه أبو الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهم السلام استجابة الله تعالى ، إلا إن الأيدي التي شيدت هذا البيت وأقامت دعائمـه

---

(١)عطية محمد سال: أصول الخطابة والإنشاء، دار التراث بالمدينة المنورة، ص :٢٢٢.

ابتليت في صدق الإيمان بالله الواحد الأحد التجرد له ، فكانت في مرتبة من الصدق حق لها إن تنال هذا الشرف الخالد ، وان يوكل إليها أكمل عمل قدسه الإنسان تقبله الرحمن، وتأمل كيف القي في لنار نبي الله ابرأهم عليه السلام ، وهو يحارب الشرك ويحطم الأصنام فما زاده ذالك إلا إيمانا بالله وثقة فيه وإتباعا لأمره ، لذالك لم يثبنه الابتلاء الشديد في الاستجابة لأمر الله في إن يذبح ولده وفلذة كبد إسماعيل عليه لسلام ، وما اشق ذالك على النفس فاستجاب راضيا الأمر ربه ثم تأمل حال الابن حين عرض عليه هذا الأمر ،...أيها المسلمون الكرام :إننا في هذا اليوم المبارك يوم العيد الذي يباهي الله به الملائكة بعباده الصالحين ، حيث لآبدة في هذا اليوم المبارك من التدبر والتفكر في النداء الذي إذن به إبراهيم عليه السلام بالحج الذي وعاه الزمن واستجابت له القلوب، وهذا دعاء النبي صلي الله عليه وسلم وقد رأى الكعبة المشرفة ،(اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة تكريما وبرا وزمن حجة أو اعتمده تكريما وتشريفا وتعظيما وبردا، لهم أنت السلام ومنك السلام حينا ربنا بالسلام) ([1]).ومن هزها الدعاء تتجلى دعوة الإسلام إلى السلام ونبذ الفرقة بين بني البشر ، وبذالك تتفق المقاصد العليا في كل الرسالات السماوية لكونها داعية إلى التوحيد وتعظيم شعائره وحمل الخير للناس...) ([2]).

وفي مواسم الحج أهتم الخلفاء الراشدين بخطبة يوم عرفة الذي يجمع فيه الناس من كل فج عميق، حتى إنهم كانوا في البداية حكمهم يذهبون أحياناً كثيرة بأنفسهم لأدائها أو يكلفون بها أعظم خطبائهم المفوهين ليخطبوا الناس بدلاً عنهم، فهم ينتهزون هذه المناسبة للاتصال بأكبر عدد من الرعية الخاصة اتساع الدولة الإسلامية وترامي أطرافها واكتسب خطبة يوم عرفة أهمية سياسية حتى أنها كانت مثار نزاع طويل بين الخلافة.

([1]) عطية محمد سال: أصول الخطابة والإنشاء، دار التراث بالمدينة المنورة، ص:٤٤.

([2]) محمد نجيب البشير: خطب الجعة والعيدين، مرجع السابق ،ص:١٤١.

خطب الوعاظ: حرص الشديد بعض الخلفاء اعتلاء المنابر وإلقاء الخطب الوعظية المؤثرة خاصة في العقود الأولي، فاهتموا بخطب الجمع والأعياد، فقد وعظ أبو بكر الصديق قال: **(أن الله سبحانه وتعالى بحمده قد استوجب عليكم بالشكر، واتخذ عليكم الحجج فيما أتاكم من كرامة لآخرة والدنيا غيره مسألة منكم له ولا رغبة منكم فيه إليه فخلقكم تبارك وتعالى، ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعباده وسيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها)** فإنه قال: **(ليظهره على الدين كله" الله مظهر دينه، ومعز ناصرة، مولي أهله مواريث الأمم)** [1].

خطب ابو بكر الصديق رضي الله عنه. فلما حمد الله بما هو أهله وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام، فقال: إن اشقي الناس في الدنيا والآخرة الملوك ! فرفع الناس رؤوسهم ،فقال:**(مالكم أيها الناس ؟ إنكم لطعانون عجلون ،إن من الملوك من إذا ملك زهده الله فيما بيده ،ورغبه فيما بيد غيره ،وانتقص شطر اجله، واشرب قلبه الإشفاق ،فهو يحسد على القليل، ويسخط على الكثير، يسام الرخاء وتنقطع عنده لذة البهاء، لا يستعمل العبرة، ولا يسكن إلى الثقة ،فهو كالدرهم القسي: ينوع من الدراهم، والسراب الخادع جذل الظاهر، حزين الباطن، فإذا وجبت نفسه،ونصب عمره، وضحا وهو شجرة ضاحية: أي لا ظل لها. ظل، حاسبه الله، فاشد حسابه، واقل عفوه، إلا وان الفقراء هم المرحومون ! إلا إن من امن بالله حكم بكتابه وسنة نبيه ﷺوأنكم اليوم على الخلافة نبوة ،ومفرق محجمة،وسترون بعدي ملكا معضوضا وملكا عمودا ،وأمة شعاعا أي متفرقة. ودما مباحا؛ فان كانت للباطل نزوة ،والأهل الحق جولة ،يعفو لها الأثر ،ويموت لها الأثر، ويموت لها الخبر فألزموا المسجد، واشتروا القرءان واعتصموا بالطاعة، وليكن الإبرام بعد التشاور، والصفقة بعد طول التناظر،أي بلاد خرشمة وهي بلد من بلاد الروم. إن الله سيفتح لكم أقصاها كما فتح عليكم أدناها)** [2].

---

(1) أبي عثمان عمر بن بحر الحافظ: البيان والتبيين، ج١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، دار النشر، بيروت، لبنان، ص:٢٦١.

(2) أحمد بن عبد ربه:عقد الفريد، ج٤، مرجع السابق ،ص١٢٩.

لابد لكل مجتمع متدين من واعظ يرشده إلى الخير وهـاد يهديـه إلـى الفـلاح، والمواعظ هي عبارة عن جرع علاجية روحية يعطـي للمجتمـع بقـدر الـداء الاجتماعي المتفشي فيه، والوعاظ هم أطباء المجتمعات يقومـون بتقـدير حجـم المرض الاجتماعي ثم يقومون العلاج الناجح من بليغ الخطب والمواعظ.

وعرف العالم العربي خطب والمواعظ منذ قديم الزمان قبل الإسلام،[1] قوله:

(أصفوا لي قلوبكم يبلغ الوعظ منكم حيث أريد طمع بالأهواء الأشر ودان علـى القلوب الكدر) [2].

خطب أبو بكر الصديق يضع دستور الحرب فقال: **(يا أيهـا النـاس :قفـوا أوصيكم بعشر فاحفزوها عني ،لا تخونوا ولا تقدروا ،ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تقعروا نخلا ولا تحرقـوه، ولا تقطعـوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله، وسـوف تمـرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسـوف تقدمون على قوم يأتونكم بانية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها،وتلقون أقواما قد فحصوا أوسـاط رؤوسـهم، وتركـوا حولها مثل الصائب فاخلقوهم بالسيف خفقا، اندفعوا باسم الله)** [3].

ثم جاء الإسلام وجاء الرسول الله ﷺوهو سيد أهـل الحكمـة، وسـيد أهـل الموعظة، دعا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وعلـى نهجـه سـار الخلفاء الراشدين المهدين، وعلى منوالهم نسخ خطباء الدين الإسلام.

فأعد لمخاصمة الله ومخاصمة رسوله حججاً تضمنت لكي النجاة وإلا فأستسـلم للتهلكة..." [4].وقد وجه بعض الخلفاء والأمراء السلاطين الوعاظ لمحاربة العقائد الخلفاء والحكام اهتم بالوعاظ لذلك، وكانوا يقيمون الحلقات في المساجد والطرقات والأسواق، وكانت عامة الناس باختلاف طبقاتهم يحرصون أشد الحـرص علـى

---

(١)محمد عبد الغني حسن: خطب ومواعظ، مرجع السابق، ص :٧٣.

(٢) محمد عبد الغني حسن: نفس المرجع، مرجع السابق، ص :٧٣.

(٣) لابن قتيبة، عيون الإخبار، ج٢، مرجع السابق، ص:٢٥٦.

(٤) الحافظ بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج١٠، مرجع السابق، ص :١٧ .

الحضور حلق الوعظ في هذا العصر كثرة فيه البدع والخرافات والضلالات في الأمور الدينية، وأشهر من هؤلاء الوعاظ هم الخطباء [١].

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يقول :**(إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر، واتخذ عليكم الحج فيما أتاكم من كرامة الآخرة والدنيا، عن غير مسالة منكم له، ولا رغبة منكم إليه ، فخلقكم تبارك الله تعالى ولم تكونوا شيئا لنفسه وعبادته، وكان قادرا أن يجعلكم لأهون خلقه عليه، فجعلكم عامة خلقه ولم يجعلكم شيء غيره، وسخر لكم منافي السماوات وما في الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه، وحملكم في البر والبحر، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون. ثم جعل لكم سميعاً وبصراً. ومن نعم الله عليكم نعم عما بها بني ادم ومنها نعم اختص بها أهل دينكم ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامتها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى أمريء خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها، وقدحهم حقها ، إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فانتم مستخلفون في الأرض، قاهرون لأهلها ،قد نصر الله دينكم، فلم تصبح امة مخالفة لدينكم إلا أمتان، امة مستعبدة للإسلام وأهله، يجزون لكم، سيتصفون معايشهم وكدائهم ورشح جباههم، عليهم المئونة ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وأسطواته في كل يوم وليلة، وقد ملا الله قلوبهم رعباً، فليس لهم معقل يلجئون إليه ولا مهرب يتقون به، قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم،مع رفافة العيش واستفاضة المال، وتتابع البعوث، وسد الثغور بإذن الله، مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام، والله المحمود، مع الفتوح العظام في كل بلد)** [٢].

لم تكن كل الخطب الموجهة التي يلقيها الخطباء في المجمع والأعياد هي من بنية الأفكار السليمة أو وليد تعبيرهم، بل أحياناً ترسل إليهم خطباً مكتوبة كما في عصر الحاضر من قبل الخلفاء والولاء ليقرؤوها على الناس، وليس للخطباء فيها

---

(١)الحافظ بن كثير الدمشقي:مرجع السابق، ص:١٧٠.

(٢) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج٢، مرجع السابق، ص:٢١٥.

سوى مزج عواطفهم بها [١]. مثل قوله تعلى:﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [٢]. أشهد أن لا إله إلا الله محمــد رســول الله ﷺصـــاحب الفضل الأكبر وأهل الجد، خلق ورزق فوجب أن يحمد ويعبد وما خلقــت الجــن والإنس إلا ليعبدوني، وما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعموني" وأشـــهد أن سيدنا محمداً رسول الله ﷺ وحذر وأنذر، ووعد أوعد : "فذكر إنما أنت مذكر ليس عليهم بمسيطر" [٣] فخطبة الجمعة في كثير من المساجد تطول وتمتد حتـــى تبلـــغ نصف ساعة أو أكثر من ذلك، واقترح بعضهم لا تزيد خطبة الجمع عــن عشـــر دقائق. خطبة الجمع هي العظة الأسبوعية العامة التي يتلاقى على سماعها أبنـــاء الإسلام ولا عجب فخطبة الجمع يراد منها التفقيه في الإسلام، والحديث يقــول : "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" ويقول: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)[٤] ولمكانة الاجتماع يوم الجمع للخطبة والصلاة حرض الإســـلام المســـلم علـــى أن يذهب إلى هذا الاجتماع القليل نظيفاً مغتسلا متطيباً... الخ [٥] .

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، خطبة الاستسقاء فقال: (**استغفر الله، استغفر الله، استغفر الله، استغفر...استغفرا لله الحي الغيوم وأتوب إليه.**

الحمد الله الغني الحميد ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، واشهد إلا اله إلا الله وحده لا شريك له ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد، واشهد إن سيدنا محمدا عبده ورسوله بعثه رحمة للعالمين ، حجة على الخلائق أجمعين، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق

---

(١) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك بتاريخ الطبري، ط١، مطبعة دار الفكر ، سنة ١٩٨٧م، ط٤، دار المعارف، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ت)، ج١٠، ص:٦١٥.

(٢) سورة الفرقان: الآية (١).

(٣) () د. أحمد الشرطابي: موسوعة في خطب المنبرية، ج١، دار الجيل، بيروت، ســنة ٨٧٣٧-٢٦٦١٥، بيروت، لبنان، ص:١٥.

(٤) سورة الذاريات: الآية (٥٥).

(٥) د. أحمد الشرطابي: موسوعة في خطب المنبرية، ج١، دار الجيــل، بيــروت، ســنة ٨٧٣٧-٢٦٦١٥، بيروت، لبنان، ص:١٥

جهاده، صلي الله عليه اله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين وسلم تسليما كثيراً .

إما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى وأطيعوه لأنه غنى عنكم وانتم إليه فقراء...وهو مع غناه عنكم يأمركم بدعائه ليستجيب لكم، وبسؤاله ليعطيكم، واستغفاره ليغفر لكم، وانتم مع فقركم وحاجتكم إليه تعرضون عنه وتعرضونه، وانتم تعلمون إن معصيته تسبب غضبه عليكم وعقوبته لكم،...)[1].

ففي سنن بن ماجة ،خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:(كنت عاشر عشرة من رهط من المهاجرين عند الرسول الله صلي الله عليه وسلم ، فاقبل علينا الرسول الله صلي الله عليه وسلم بوجه فقال : يا معشر المهجرين خمس خصال أعوذ بالله إن تدركوهن ، ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها ،إلا ابتلوا بالمطواعين والأوجاع التي لم تكن في إسلافهم الذين مضوا ، ولا نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين والشدة المئونة وجور السلطان ، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فاخذ بعض ما في أيديهم ، وما لم تعمل أئمتهم بما انزل الله في كتابه إلا جعل الله باسم بينهم)فذكر خمسة أنواع من المعاصي كل نوع منها يسبب عقوبة من العقوبات ، ومنها منع الزكاة ونقص المكيال يشببان منع القطر وحصول القحط وشدة المئونة والجور وانتم في هذه الأيام ترون تأخر المطر عن وقته وإجداب المراعي مما يترتب عليه تضرر العباد والبلاد. أيها المسلمون (سارعوا إلي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، وذلك بأداء حقوق الله ، وما أوجبه في أموالكم من الإخراج الزكاة ، والرفق بالفقراء والأيتام والأرامل ، وإغاثة المحتاجين ، ورحمة المستضعفين من لا يرحم لا يرحم ، فقال الرسول الله صلي الله عليه وسلم :(الراحمون يرحمهم الرحمن ،ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء...الخ) [2].

---

(1) محمد نجيب البشير، خطب الجمعة، مرجع السابق، ص:١٤١.

(2) رواه الترمذي.

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يوم الجمعة فقال:(**الهم أشهدك على أمراء الأمصار، إني بعثهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيكم، وان يقيموا فيهم فيئهم، وان يعدلوا، فان أشكل عليهم شيء رفعوه إلى).(يا أيها الناس : أنى والله ما أرسل إليكم ليعلموكم دينكم وسننتكم، فمن فعل به شيء سوى ذالك فليرفعه إلى والذي نفس عمر بيده لاصقنه منه)** [1]**. فوثب عمر فقال:(يا أمير المؤمنين :**أرايتك **إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته انك لتقصنه منه ؟ فال أي الذي نفس عمر بيده إذن لاف صنه ،وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقص من نفسه ؟ إلا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تحمروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوهم الفياض فتضيعوهم)** [2]**.**

خطبة أمير المؤمنين عيد الفطر المبارك، فقال:(**الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ...الله اكبر كبيراً والمد الله كثيرا بكرة وسبحان الله وأصيلا. سبحان الله ولا اله إلا الله اكبر. الحمد الله الذي جعل خاتمة الطاعات عيداً، وفضل امة المصطفى سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وعلي سائر الأمم تكرمه منه وفضلاً وتأييداِ وشرح قلوب الموحدين لهداته ليعيشوا في الدارين عيشا سعيدا، احمده تبارك وتعالى جمدا خالصا موصولا، داعيا إياه جلت قدرته إن يكون حمدنا مقبولا، وتوفيقه لنافي كل لحظة ويوم، على ما تنزل من موائد كرمه في الشهر رمضان، واشهد إلا اله إلا الله وحدة لا شريك له، له الحمد وله الملك يحي ويميت وهو علي كل شيء قدير، واشهد إن سيدنا محمدا عبده ورسوله الرحمة والمهداة والنعمة المسدلة والسراج المنير، والهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عنه تبارك وتعالى عن جميع الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، إما بعد.(أيها المسلمون:إتباع سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه،هذا اليوم عيد الفطر تفضل فيه المولي تبارك وتعالى على**

---

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج٢، مرجع السابق، ص١١٩.

(2) الجاحظ :البيان والتبيين، ج٣، مرجع السابق، ص: ١٧.

جميع الصائمين من امة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم فجعله يوم الفرح وسرور، وجزاء ما اخلص المؤمنون في صيامهم وقيامهم ففازوا بالضراء والمغفرة والعتق من النار، إن تعقب الأداء الواجب بالقبطية والفرح والسرور، وتقديرا وتعويدا للمؤمنين وتربية إيمانية صالحة .الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر والله الحمد. إتباعا كبر،صلوات الله وسلام عليه: (إن سنة الله في الخليقة جرت على إن أداء الواجب يعقبه الرضاء من الله عز وجل والابتهاج من المؤمنين المخلصين وذالك خير الجزاء ينعم به الصالحون المستقيمون على الصراط القويم، والإسلام أعياده تحفها أنواع من البشر والسعادة، لان العبد في الإسلام مرتبط بهدى السماء، ستظل هذه الأمة بخير ما حافظت على كتاب ربها وسنة نبيها المصطفى الرحمة المهداة كافة .الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر ولله الحمد. وإنا نجد في القرءان الكريم عطاء لا ينفد،وان العمل بهدية على الدوام يتجدد([1]).ولذالك فعلينا أن نتأمل هذه التربية العالية التي أراد الله إن يطبع عليها الإنسانية،في ضوء الهدى النبوي والإرشاد المحمدي، ومن هنا قد هيا الإسلام المناسبات العامة ومنها هذه المناسبة السعيدة عيد الفطر المبارك وذلك بآخذ الزينة وإعلان مظاهر السرور والفرح والاستبشار، وفي هذه العمل طيب الكريم من معاني التقرب إلى الله تبارك وتعالى بما يحب من إظهار نعمه على عباده، الذي يرتب عليه المولى جان قدرة ثوابا عظيما من لدنه، مع تزويد النفس البشرية بحظها الموفور من ما احل الله من الطيبات ،بجانب الأداء العبادة (صلاة العيد) بكونها فاتحة خير واتصال العبد بخالقه تزكية قويه وتطهيرا شاملا للنفس البشرية فتتكامل بالعيد مطالب الروح ومتطلبات الجسم بين التنعم بملذات الحياة الدنيا بجديد اللباس،والتوسع على الأهل والعيال في المأكل والمشرب والانشراح ،بين التسبيح والتحميد والتكبير والمناجاة لله رب العالمين ،مناجاة تظهر في التكبير وتسبح في جلال التقديس والتهليل ...في الركوع السجود إخلاصا للواحد الأحد الفرد الصمد الحي المعبود وزيه نفسية تتجلى في الصلاة على النبي العظيم

([1]) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج٢، مرجع السابق، ص:٣٣.

واله أولى النهي والتكريم والرضا عن جميع صحابته منارات الهدى ونجوم السير إلى الطريق المستقيم...الخ) [1].

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم انه هو الغفور الرحيم وادعوه يستحب لكم انه هو البر الكريم.

خطب الألقاب والنعوت: حفلت الخطابة بكثير من الألقاب التي كانت يُدعَى بها الخلفاء، وهذا تمشياً مع الروح التي تسربت من حيـاة الخلفـاء الراشـدين إلـى الخطب، حتى كانت خطب الجمع والأعياد تقام من أجلها، وكان حصرهم عليهـا نابعاً من كونها ترفع من مكانتهم في نظرة العامة والخاصة . [2] ومن هذه الألقاب في الخطب[3].

خطبة (عثمان بن عفان) رضي الله عنه قال: ولما ولي عثمـان وصـعد المنبر فقال: **(رحمهما الله، لو جلسا هذا المسجد ما كان بذلك من بـأس فجلـس على الذروة المنبر فرمان الناس أبصارهم، فقال: إن أول مركب صعب، وإن مع اليوم أياماً، وما كنا خطباء وإن نعس لكم تأتكم الخطبة على وجهها إنشـاء الله تعالى** [4]. **وكانت خطب الخلفاء على المنابر سنة قائمة ومنهجاً سياسـياً ودينيـاً يصعب الحياد عنه وقامت بسببه فتن)** [5].

وخطب أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضوان الله عليه أو خطبـة خطبتهـا بالمدينة فحمد الله وأثني عليه وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام ثم قال:(**يأيها الناس كتاب الله وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم أما بعد: فـلا يـدعني مـدع الأعلى نفسه شغل عن الجنة والنار إمامة ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر في النار ملك طار بجناحية ونبي أحد الله بيده لا سادس هلك من أدعي وردي مـن اقتحم اليمين والشمال مضلة والوسطي الجادة منهج عليه أم كتاب والسنة وأثار**

---

(1) محمد نجيب البشير،خطب الجمعة،مرجع السابق، ص:١٢١.

(2) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السامي، مرجع السابق، ج٤، ص:٢٩٣

(3) الحافظ بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج١١، مرجع السابق، ص:٦٣-٢١١.

(4) أبي محمد عبد الله بن المسلم: عيون الإخبار بن قتيلة،مرجع السابق، دار المعارف سنة ٢١٣-٢٧٦هـ، ج٢، ص:٢٣٥.

(5) أحمد بن عبد ربه، عقد الفريد، مرجع السابق، ج٤، ص :١٣٤ .

النبوة أن الله داوي هذه الأمة بدواء ين السوط لا هــوادة عنــد الإمــام فيهمــا استتروا ببيوتكم وأصلحوا فيما بينكم فالموت من ورائكم من أبدي صفحته للحق هلك قد كانت أمور لم تكونوا فيها مجهودين أما أني لو شاء أن أقول لقيت عفــا الله ما سلف سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب مهمة بطنه ويله لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له أنظروا فإن أنكرتم فأنكروا وإن عرفتم فاعرفوا حــق وباطل ولكل أهل ولئن أمر الباطل قديماً فهل ولئن قل الحق لريفها ولعل والقهــا أدبر شئن فأقبل ولئن رجعت إليكم أموركم أنكم لسعداء وإني لخاشي أن تكونــوا في فترة وما علينا ألا الاجتهاد وروي فيها جعفر بن محمد: رضوان الله عليه إلا أن لأبرار المترتب وأطايب أرومتي أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً إلا وأنا أهل البيت من علم الله علمنا ويحكم الله حكمنا ومن يقول صادق ســمعنا فــإن تتبعوا أثارتا تهتدون ببصائر هنا معنا رأيه الحق من يتبعها الحق ومــن تــأخر عنها غرق إلا وبنا تردت كل مؤمن وبنا تخلع رقبة الذل من أعناقكم وبنا فــتح وبنا يختم)[1].

خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في الــوعظ والإرشــاد: خطــب فقال:(**أما بعد: فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوادع، وإن الآخرة قد أقبلت فأشــرفت بإطلاع وأن المضمار**[2]**. اليوم وغداً السباق. ألا وإنكم في أيام أمل مــن ورائــه أجل. فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خس عمله، ألا فأعملوا لله في الرغبة كما تعلمون له في الرهبة ألا وإني لم أري كالجنة نام طالبها، ولا كالنــار نام هارب ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدي جار به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن**[3] **ودللتم على الزاد، وإن أخوف ما أخاف عليكم إتباع الهوى وطول الأمل)**[4].

---

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب،مرجع السابق، ج٢، ص:١٢٥.

(2) الموضع نضمر فيه الخيل فتصير ضامرة.

(3) الظعن: الرحيل.

(4) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ط٧، ص:٢٣٨.

مجتمع الخلفاء للوعظ: المجتمع الخلافة مجتمع مسلم قريب عهد نبي ﷺ ومشترك في المفاهيم الإسلامية، وكانت له معايير التي يقيس الأمور، وهو ذلك المجتمع ناضج لي حدً ما فكرياً وعقلياً وسياسياً ودينياً واجتماعياً، واستطاع بحكم ذلك أن يضع معياراً الوعظ، وأن يرسم بهي صورة ذات ملامح محددة يجب أن تنطبق عليه، فالمجتمع يريد واعظة زاهداً متقشفاً ومقتلعا من الدنيا يريدونه على الشاكلة تختلف عن صورة خطيب المسجد الذي يعتبر واجهة للسلطة المحاكمة يعيش أرقي عيشة.

استهلال الخطب بحمد الله والثناء عليه والصلاة والتسليم النبي ﷺ من خطبة سيدنا علي رضي الله عنه جامع الخير ناهية عن الشر.

(وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله ﷺ أوصيكم بتقوى الله، فإن أفضل ما توسل بيه العبد الإيمان والجهاد في سبيل الله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة وأقام الصلاة فإنها الملة وإيتاء الزكاة فإنها من فريضة وصوم شهر رمضان فإنها جنة من عذابه وحج البيت، فإنه منفاه للفقر ومدحوضة للذنب وصلة الرحمن فإنها مرثاة في المال، منشأة في الأجل محبة في الأهل وصدقة السر، فإنها تكفر الخطيئة وتطفي غضب الرب، وصنع المعروف، فإنه يرفع ميتة السوء، ويقي مصارع الهول أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر وارغبوا فيما وعد المتقون، فإن وعد الله فإن أفضل الحديث... إن وعازم الأمور أفضلها وإن محدثاتها شرارها وكل محدثة بدعة، وكل محدث مبتدع، ومن ابتدع فقد ضيع، وما أحدث محدث بدعة الأتراك بها سنة... ن الرياء من الشرك، وإن الإخلاص من العمل والإيمان، ومجالس اللهو تنسي القرآن ويحضرها الشيطان وتدعوا إلى كل عني ومجالسه الثناء تزيغ القلوب، ونطمع إليه الأبصار وهي من نصائح الشيطان، فاصدقوا الله، فإن اتلله مع من صدق وتجانبوا الكذب فإن الكذب مجاني للإيمان...) (١).

---

(١) الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص: ١١٤.

المبحث الثالث

موضوعات الخطب الدينية

الخطب الدينية كثيرة ومتداخلة، جمعت أموراً كثيرة وخاضعة في شئون عديدة، وقد يجمع الخطيب في خطبته عدداً من الموضوعات، أحياناً تتداخل مع السياسة، ولكن تحاول بقدر المستطاع تناول أبرز تلك الموضوعات التي خلصت بها الخطب الدينية في عصر الخلفاء الراشدين، والله المستعان.ومن أشهر تلك الموضوعات تقديم الموعظة والإرشاد، وهو عرض أصيل في هذا اللون من الخطب، فمالت أكثر الخطب الدينية إلى وعظ الناس وتذكيرهم، والحرص الشديد جعل بعض الخلفاء يعتلوا المنابر وإلقاء الخطب الوعظية المؤثرة خاصة في العقود الأولي، فاهتموا بخطب الجمع والعيدين، فقد وعظ أبو بكر الصديق قال: **(إن الله سبحانه وتعالى بحمده قد استوجب عليكم بالشكر، واتخذ عليكم الحجج فيما أتاكم من كرامة لآخرة والدنيا غيره مسألة منكم له ولا رغبة منكم فيه إليه فخلقكم تبارك وتعالى، ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعباده وسيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها)** فإنه قال: **(ليظهره على الدين كله" الله مظهر دينه، ومعز ناصرة، مولي أهله مواريث الأمم)** [1]. من وعظ أبو بكر ابن شيبة يرفع إلى النبي ﷺ **(يكفي أحدكم من الدنيا قدر زاد الراكب)** قال النبي ﷺ **(ابن آدم اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سمعك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)**. وقال عبد الله بن سلام قال: **(أيها الناس أطعموا الطعام وافشوا السلام وصلوا الناس نيام)**[2].

مواعظ الحكماء: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : **(عشيرة،بخمس ولصبرت عليها آباط إلا بل لكان قليلاً، لا يرجون أحدكم إلا ربه، ولا يخافهن إلا دينه، ولا ينحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، وإذا لم يعلم الشيء أن**

---

(1) أبي عثمان عمر بن بحر الحافظ: البيان والتبيين، ج١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، دار النشر، بيروت، لبنان، ص:٢٦١.

(2) الإمام الفاضل شهاب الدين أحمد: العقد الفريد، ج٢، طبع الأزهر الشريف، عصر، ط٢، سنة ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م، ص:٩٤.

يتعلمه، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمظلة الرأس من الجسد) وقال أيضاً **(من أراد الغني بغير مال، والكثرة بلا عشيرة، ليتحول من ذل المعصـية إلـى عـز الطاعة)**. وقيل في الزهد، من أزهد الناس في الدنيا. قال من لم يطلـب المفقـود حتى يفقد الموجود قال النبي ﷺ**(الزهد في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة) قـال النبي ﷺ(من جعل الدنيا أكبر همه نزع الله خوف الأخرى من قبل جعل الفقر بين عينيه.)قال:(الزهد الذي أن أصاب الدنيا لم يفرح، وإن إصابته الدنيا لا تحـزن.) وقيل: "أصل الزهد في الدنيا الرضا الله تعالى"** [1].

وكان خطب الجُمع والأعياد بالأراضي المقدسة في مواسم الحـج تنـاول الخطباء فضائل الحج ومناسكه والأمور المتعلقة به، وما يستجد في حياة الناس من الشؤون وكثيراً ما كان الخلفاء يهتمون في خطبهم بسرد بعـض عـروض الآداب الإسلامية، في ذلك عبر المناسبات الداعية إليها، خطب يوم العيد.. قـال: " كنـت لذلك ما شئت أن تكون، لا يعلم كيف أنت إلا أنت، فماذا جئت بـه مـن عجائـب صنعك، والكبير والصغير من خلق والظاهر والباطن مـن ذرك: مـن صـنوف أفواجه وأفراده وأزواجه، كيف أدمجت قوائم الذرة والبعوضة إلى ما هو أعظم من ذلك من الإشباع التي امتزجت بالأرواح!.وخطب يوماً فسقطت جرادة على ثوبـه فقال: سبحان من الجرادة من خلقه، أدمج قوائمها، وطوقها جناحها، ووشي جلدها، وسلطها على ما هو أعظم منها [2]. يلتمس خطبة يوم الجمعـة، بعـد الحمـد لله مستخلص الحمد لنفسه، ومستوجبه على خلقه، أحمده وستعينه وأؤمن به وأتوكـل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدة لا شريك له، ...الخ.أوصيكم عباد الله بتقـوى الله وحده، والعمل لما عنده لوعده؟ والخوف الوعيد، فإنه لا يسـلم إلا مـن أتقـاه ورجاه، وعمل له أرضاه فاتقوا الله عباد الله وبادروا أبالكم بأعمالكم، ... الـخ [3]. **خطب عمر قال: (بعد حمد الله... والشيطان موكل به.. يزن له المعصية ليركبها**

([1])شهاب الدين: المرجع السابق، ص:١١٢.

([2]) أبي عبد الله بن المسلم: عيون الأخبار، ج٢، سنة ٢١٣-٢٧٦هـ، ص:٢٥٣.

([3]) الإمام الفاضل الشهاب الدين أحمد: عقد الفريد، مج٢، دار النشر الأزهر الشـريف، سـنة ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م، ط٢، ص: ١٨٠، ١٨١.

بيمينه التعرية ليشوفها حتى تهجم عليه منيته أفضل ما يكــون عنهــا. تؤديــه أيامه إلى ... أنسأل الله أن يجعلنا وإياكم من لا تبطره نعمه، ولا تقصر به عــن طاعته غفلة، ولا تحل بيه بعد الموت فرعه، إنه سميع الدعاء وبيده الخير وإنه فقال لما يريد) [1].

وفي يوم عيد الفطر بعد التكبير الأول: إن يومكم هذا يوم عيد وسنة انتهاء رغبة يوم ختم الله بها صيام شهر رمضان وافتتح به حج بيتــه الحــرام، فجعلــه خاتمة الشهر والأول أيام شهور الحج، وجعله معقباً لمفروض صــيامكم ومتنقــل قيامكم، وأحل الطعام لكم وحرم فيه الصيام عليكم، فــاطلبوا إلــى الله حــوائجكم واستغفروه ، فإنه يقال: لا كبير مع استغفار، ولا صغير مع إصرار. ثــم التكبيــر والتحميد وذكر النبي ﷺ والوصية بالتقوى. ثم قال : **(واتقوا الله عباد الله وبادروا الأمر الذي اعتدل فيه يقينكم،)**.فلينظر عبد ما يضع في ميزانه مما يثقل بها، ومــا يمل في صحيفته الحافظة لما عليه وله، فقد حكي الله لكم ما قال المفرطون عندها إذ طال أعراضهم عنها قال: **(ووضع الكتاب فترى المجرمين مسقفين ممــا فيــه الآية)**. وقال: **(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)**. خطب في المواسم الدينيــة والثقافية، ويقولون: **(لا أكره أحداً منكم على شيء من رضي منكم بالذي أدعــوه إليه فذلك، ومن كره إنما أريد أن تجوزوني فيما يراد لي من القتل حتــى أبلــغ رسالة ربي وحتى يقضي الله لي ولمن صحبني بما شاء)** [2].

خطبة سيدنا عمر بن الخطاب، يلتمس الأثر خطبته (سياسة الحاكم العادل) التــي يقول فيها:**(وقد اقترب منكم زمان يعمل فيه أقوام للآخرة يطلبون به دنيا عريضة تأكل الدنيا صاحبها كما تأكل النار الحطب...)** [3].

إنها مرحلة مهمة من مراحل الخطب الدينية، فرسالة الإسلام ليست لقريش فحسب وإنما للناس كافة.إن المتأمل في الخطب الدينية، يركز المنطلقــات الثلاثــة

---

(1) أبي عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، ج٢، سنة ٢١٣-٢٧٦هـ، ص: ٢٥٥.

(2) أبو الفداء إسماعيل بن كثير: البداية والنهاية، الطبعــة دار الكتــب العلميــة، بيــروت،ج٣، ط١، ســنة ١٤٠٥هـ، ص: ١٥٤.

(3)القاضي أبو يوسف ،كتاب الخوارج، ص:١١٨.

مثل: الإيمان بالله، والإيمان بالرسول الله ﷺ والإيمان باليوم الأخر، وظهرت من خلال خطبهم، والتي قال فيها: (**الحمد لله حمده وأستعين، وأؤمن بها، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله... أن الرائد لا يكذب أهله والله الذي لا إله إلا هو...، وإنما الجنة أبداً أو النار أبداً)**[1]. أيضاً من موضوعات الخطب الدينية تتجه إلى ترغيب الجند في القتال ، وبيان ضلاله وفسق عن الإسلام، وهذه وسيلة فاعلة لإضعاف قوة العدو المعنوية، وزيادة حماس المقاتلين والمجاهدين مثلما فعلوا الخلفاء، حيث أمروا الخطباء في المساجد بشتمه ورميه بكل ماشوه صورته دينياً وعسكرياً، فبرع خطباء الموقف في ذلك [2] حتى ينهر الأمر. وهذه أبرز وأهم الموضوعات التي تناولتها الخطابة الدينية في عصر الخلافة الراشدين وحظيت باهتمام الخطباء لتوفر دواعيها.

(1) منير محمد الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوة، ص: ٤٤.

(2) د. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والثقافي الاجتماعي والديني، ج٣، ص:٢٨.

المبحث الرابع

الخصائص الفنية والفكرية للخطابة الديني

تميز الخطابة الدينية في هذا العصر بعدد من الخصائص الفنية أبرزها:

١) **النهج الإسلامي:** من الخصائص الفنية للخطابة تأثرها بالمنهج الإسلامي. فالخطب الدينية تستهل بحمد الله وتمجيده والصلاة والتسليم على النبي ﷺ يقترن ذلك بالشهادة، ومن ذلك خطبة أبو بكر الصديق: (**الحمد الله أحمده وستعينه، وأشريك. وأومن به....، ومن يصل فلن تجد له ولياً مرشداً وأشهد أن لا إله إلا الله وحدة لا شريك...)** [1].

وأيضاً ما نجده في خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال:**(أوصيكم بتقوى الله والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم به فان جوامع هدي الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة، لمن ولاه الله أمركم ، فانه من يطع الله وأولي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد افلح وادي الذي عليه من الحق ، وإياكم باع الهوى ، وإياكم والفخر وما فخر من خلق من تراب ثم إلى التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حي وغدا ميت فاسلموا يوما بيوم، وساعة بساعة ، وتوقوا دعاء المظلوم ، وعدوا أنفسكم في الموتى واصبروا فان العمل كله بالصبر ، واذروا والحذر ينفع ، واعلموا والعمل يقبل ، وحذروا ما حذركم من عذابه وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته وافهموا ، وتفهموا، واتقوا، وتوقوا فان الله قد بين لكم ما اهلك به من كان قبلكم ، وما نجي به من نجي قبلكم ، قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه ، وما يحب من الأعمال ، وما يكره ، فاني لا ألوكم ونفسي والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.**[2]

والإيجاز في هذه الخطبة واضح ، من ذالك حذف الفاعل في قوله:**(من حفظ من الهوى والطمع والضعف)** وفي قوله أيضا:**(من خلق من تراب ثم إلى التراب يعود)** وفي قوله:**(والعمل يقبل)** ، فقد بنى الفعل في هذه الجمل لما لم يسم فاعله،

---

(١) الإمام الفاضل شهاب الدين أحمد: العقد الفريد، ج٢، ص٣٤٧.

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي:تاريخ الخلفاء ،٩١١هـتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المطبعة السعادة مصر ١٣٧١هـ ـ١٩٥٢م، المطبعة الأولى ،مج١، ص:١٠١.

والفاعل هو الله ـــسبحانه وتعالى ـــفكان في الحذف تعظيم له ، وتشويق للسامعين إلي فضله العظيم ، ذالك الفضل الذي تذهب النفس فيه كل مذهب.
وفي الخطبة أيضا حذف المفعول الذي يفيد التعميم الحاث على العمل والإخـــلاص وذالك في قوله :(**واحذروا ــ واعلموا ــ وافهمــوا ــ وتفهمــوا ــ واتقــوا ــ وتوقوا ــ**) وأجمل ذالك كله في قوله :(**إن الله قد بين لكم ما اهلك به من كـــان قبلكم ، وما نجي به من قبلكم**) ففي الأفعال الأمر يمكن إن تقدر فمعولات كثيرة جدا من المأثورات الشرعية من الأعمال الخير ، وشعب الإيمان ، وذالك يقدر فيها الكثير من المهلكات من المحرمات والمنهيات.
وأيضاً فتح الخطبة يقول عز وجل: "من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تـــولي فما أرسلناك عليهم حفيظاً" أما بعد أيها الناس أني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمروءة على كل حـــال...) [1] وفي الأصل تختتم خطـــب الجمعـــة والعيـــدين بالدعاء إلى المسلمين، ولكن الخلفاء كثير ما كانوا يختمون هذا بالـــدعاء للخليفـــة وولي عهده، ثم صار ذلك رمزاً سياسياً يدل على هيبة الخليفة ولا يمكن إغفالـــه. وللخلفاء ألفاظ وعبارات خطبهم حتى اليوم يرددها كثير من الخطباء علـــى منبـــر ألبصره في ختام إحدى خطبه: (**إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنـــى النبـــي ﷺ.الخ)** فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــوا صَـــلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [2]. أثر بها من بين الرسل إذ خصكم بها من بـــين الأمـــم" [3]. فالحكماء هم أول من قال هذه العبارات ثم قيام الخطبة.
٢) **الأسلوب التصويري:**الخطباء في اختراع الصور البديعة التي يحـــاولون مـــن خلالها إيصال المعاني خطبهم إلى أذهان الناس في أبسط صورة. فوعاظ الخلفـــاء هم يصورن الدنيا فيقول: (. **ودعتكم هذه الغزارة** [4] **وأعيها فـــأجبتهم مســـرعين**

---

(١) الأحمد عبد ربه، عقد ربه، عقد الفريد، مج٢، ص:٣٤٨.
(٢) سورة الأحزاب: الآية (٥٦).
(٣) الحافظ جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص:٢٥٨.
(٤) الفرارة: الخادعة ويقصد بها الدنيا.

مناديها خدعتكم يقرروها ومن تكلم فانتقدتم خاضعين لأمانيهـــا تتمزقـــون فـــي زهرتها ورفاقها وتنعمون في لذاتها وتتقبلون في شهواتها) [1].

٣) الاقتباس من القـــرآن: نجد الخطباء يستمدون أخيلتهم من القرآن الذي يمـــدهم بالمعاني والأفكار والألفاظ والأساليب، ولذا فقد كثر اقتباس الخطباء من القرآن.

فهذا الخطبة حافلة المعاني والصور المقتبسة من القرآن، بهذه الأمم البائدة التي غضب الله عليها فدمرها تدميراً.فالخطب الدينيـــة لا تكتمـــل بلاغتهـــا إلا إذا وشحت بالآيات القرآنية التي تريدها حسناً، وكان العرب يسمون الخطب التي تخلو من القرآن **(جزما)** مثلما يسمون الخطب التي لا تفتتح الحمد لله **(بتراء).**

٤) أسلوب السجع:من خصائص الخطابة الدينية استخدام السجع لتـــزيين الكـــلام وترجعه، وعلى الرغم أن المسلمين الأوائل هجروا السجع في كلامهـــم إذ نهـــاهم رسول الله ﷺعنه [2] إلا أننا نجد كثيراً من الخطب في عصر الخلافة [3] جنح فيها الناس نحو التجمل، ونلاحظ أن أغلب السجع في هذه الخطب قصيرة الفقرات.

كان الخطباء الذين يخطبون أمام الخلفاء يحرصون على جمال خطبهم فـــي ظل القرآن لأنه المورد الغني للأدباء يجارون أسلوبه ويقتبسون روائعـــه اللفظيـــة والمعنوية.

٥) الأسلوب العاطفي: فلابد للخطيب من التأثير على عواطف مســـتمعيه وإثـــارة انفعالاتهم؛ لأجل تقرير ما يرمي إليه في نفوسهم، وذلـــك عـــن طريـــق التكـــرار والاستفهام، والتساؤل والتعجب وغيرها.ومن خطبه المليئة بمواعظه عليه الســـلام قوله: (... **أيها الناس، لا يجر منكم شـــقاقي، وولاة ياســـتهوينكم عصـــاني، ولا تتذاموا الأبصار...)** [4].وقوله : **(لا يجرمنكم شقاقي)** تقدير الكلام : لا يجـــرمنكم شقاقي على أن تكذبون؛ لا يجر منكم؛ لا يجر ملتكم؛ وهو من ألفاظ القرآن؛ وقال

---

(1) الحافظ بن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص١٤١.

(2) وفت ثبت أن الرسول ﷺ قضي في الجنين الذي قتل في بطن أمه بغرة، عبد أو وليدة فقال الذي قضـــي عليه: كيف أغرم مالا أكل، ولا شرب، ولا نطق، ولا استهل، ومثل ذلك يطل، فقال ﷺ : **(إنما هذا من أخوان الكهان)** . صحيح البخاري، حديث رقم (٥٧٦٠).

(3) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج٤، ص٥٧.

(4) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، ج٤، تحقيق محمد أبو الفضل، ص: ٢٢٤.

تعالى: (وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ) [1].لا ياستهوينكم عصياني؛ أي لا ياستهيفنكم ويجعلكم هائمين.

٦) **الاستشهاد بالشعر:** نجد الخطباء يتبارون في خطبهم بالأشعار التي تزيد قوة المعاني، وأكثر الخطباء استشهاداً بالشعر هم الوعاظ والمتناظرون، وقد روى سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومن ذلك جاء في حوار بينه وبين الأنصار فقد استشهد بأبيات للشاعر [2]:

جَزَي اللهُ عَنْ جَعْفَر حينَ أَزْلَفتْ * بنَا نَعْلنا في المُوُطِئْينَ فَزْتُ**

أُبَو أنْ يمِلَوَن ولَوْ أَنْ أَمْنَا * سُلافَي الذّينَ يَلْقُونَ مَنْ لُمّتُ**

هُمّ أسْكنُونَا ظِلالُ بُيوتِهِم * ظِلاً بُيوتٍ أَدَفَأتْ وَأَظَلَّتُ**

فساق سيدنا أبو بكر أبيات طفيل هذه، قد أنشا صنيع الأنصار للمهاجرين، وما قدموه لهم من عون ومأوى، هذا يدل على براعة استعمال الشعر على سبيل تأييد المعني وتقويته [3].ما روي أنه لما حضرته الوفاة حضرت السيدة عائشة رضي الله عنها وهو يعالج الموت فتمثلت:

لَعُمْرِكَ مَا يُغْنِي الثَرَاء عَنْ الفَتَي * إذا حَشَرَجَةَ يَوْماً وَضَاقَ بِهَا الَصُدرُ**

فنظر إليها كالغضين ثم قال: ليس كذلك ولكن **(وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت من تحيد)** [4].

---

(1) سورة هود: الآية (٨٩).

(2) طفيل ابن عوف بن طبيي ويكني بأبي قران، ويلقب بالمحبر كما كان يلقب بطفيل الجيل، وهو شاعر جاهلي من الشعراء المجيدين الذين أحسنوا وصف الخيل، وهو من شعراء الفرسان. (انظر ديوان شرح الأصمعي، تحقيق حسن فلاح، ط١، ١٩١٧، دار صادر، بيروت، ص:٥-١٧)، الأبيات في الديوان، ص: ١٣٠.

(3) انظر: د. جابر مقيحة: أدب الخلفاء الراشدين، ص٤٠١-٤٠٤.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، دار صادر، بيروت، ج٢، ص: ٤٢٢، ٤٣٢، (الآية من سورة "ق: ١٩" والبيت لحاتم الطائي وهو من ديوان تحقيق د. مفيد محمد مقيحة، ط ١٤٠٠هـ - ١٩٨٨م، دار المطبوعات الحديثة، جدة، السعودية، وهو البيت رقم "٥" في القصيدة (طال التجنب والهجر) وهو مروي كما يلي:

أمأوي إما يفني الثراء عن الفتي ** إذا حشرت نفس وضاق بها الصدر.

٧) **الاهتمام برواية الحديث:** اهتم الخلفاء بصفة خاصة برواية الحديث عن طريقهم حيث يستخدمون، مما ورد في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما بيع بالخلافة يقول: (**لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط، إلا عمهم الله البلاء أطيعون ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم**) [١] في هذه النص رواته الحديث واضح حيث أنه استقي قول الرسول ﷺ: (ما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بذل) [٢].أيضاً خطبة أبي بكر يقول: (**من قبل أن تسلمكم أبائكم إلى انقطاع الأعمال**) فهذا مأخوذ من قول ﷺ: (إذا مات العبد انقطع عنه عمله إلا من ثلاث) [٣].

٨) **ضرب الأمثال وإيراد الأخبار**:لا تخلو الخطب عامة من هذه الأخبار ولكنها ليست بالكثرة التي تكون عليها خطب القصاص، كما نجد ضرب الأمثلة وخاصة بالسلف الصالح وإيراد الآثار الواردة عنهم، وهذه تكثر في خطب المناظرات والخطب التي تقال في وعظ الخلفاء للمقارنة بين حالهم من التبذير، وضرب الأمثال والحكم، يؤخذ مما ساقه الميداني [٤]، من كلام حكم وأمثال رضي الله عنه المشتمل فقال: (**ثلاثة من كن فيه كن عليه: البغي، والنكث، والمكر... أحرض على الموت توهب لكي للحياة رحم الله أمرأً أعان أخاه بنفسه...**) [٥].والحكمة في قوله: (ثلاثة من كن فيه كن عليه : البغي، والنكث والمكرم) فهو قد نظر إلى قوله تعالى: (فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دار المعارف، القاهرة، ج٤، ص٣١٢.

(٢) السيوطي: الدر المنثور، ط دار المعارف، بيروت، ج٢، ص٣٤٠.

(٣) البخاري: الأدب المفرد، ط٣، ١٤٠٧هـ، المطبعة السلفية، القاهرة، ج١، ص: ١١٣.

(٤) أبو الفض أحمد بن محمد بن أحمد الميداني النيسابوري، كان أديباً فاضلاً، له تصنيف حسنة منها: نره الطرق في علم الصرف وهو صاحب كتاب (مجمع الأمثال)، توفي عام ٥١٨هـ (ابن الأنبا ري- نزهة الألباء، ص: ٢٨٨)، وفي معجم الأدباء: أن الميدان محلة من محال نيسابور كان يسكنها فنسب إليها. (يا قوت الحموي، معجم الأدباء، م٣، ج٥، ص: ٥٤).

(٥) الميداني: مجمع الأمثال، مكتبة الحياة، بيروت، ج٢، ص:٥٤٨-٥٤٩.

[1].وعن النبي ﷺ: **(أسرع الخير ثواباً صلة الرحم، واجعل الشر عقاباً، البغـــي، واليمين الفاجرة)**[2].

ثانياً: الخصائص الفكرية:تدور أفكار حول موضوعاتها، لذا نجد أن الخصـــائص الفكرية للخطابة الخلفاء ارتبط بالموضوعات التي تناولتها، وأحـــاول فـــي هـــذه العجالة بيان أبرزها.

الخصائص للخطابة الدينية

١) الزهد في الملك والسلطان: جعل خطب الموعظة التي قبلت حديثة يدي الخلفاء والأمراء تسيطر عليها فكرة تكاد تكون واحدة، وهي تزهيدهم في الملك، وتخويفهم عاقبة الظلم، وحثهم على العدل.

٢) الزهد في الدنيا: الخطب التي تقال للعامة أغلبها تدور حول تزهيدهم في الدنيا وصرفهم عن الانخداع بها وبنعيمها، حقق الخطباء نجاحاً فـــي تهـــذيب النفـــوس ومحاربة الفساد.

٣) الحث على تقوي الله تعالى: لا تخلو خطبة عيد والجمعة أو موعظة من الحث على تقوى الله سواء التي تقال للعامة، فالخطباء يلحون على هذه الفكرة ويرسمون للناس المنهج السوي لتحقيق ذلك.

٤) الطبيعة الإنسانية: احتل الإنسان جانباً كبيراً في الخطابـــة الدينيـــة لا محـــور الوجود، فتناولت الخطب بالشرح والتحليل، والتركيز بالنشأة والغاية من خلقه. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [3] كما لا يفوت الخطباء تـــذكير الإنسان بالموت والاستعداد للآخرة...!

٥) الدعوة إلى اعتناق مهذب معين: فعمر عصر الخلفاء الراشدين امتداد لأنشـــطة فرق دينية نشأت في فترات سابقة، ثم تطورت وانقسمت نفسها إلى طوائف، فنشط دعاة مذهب، فاشتدت حملات الدعاة على اجتذاب الناس، فدار كثير من الخطبـــاء حول هذه الناحية الفكرية.

---

(1) سورة يونس: الآية (٢٣).

(2) الزمخشري: الكشاف، ج٢، ص: ٢٣٢.

(3) سورة الذاريات: الآية (٥٦).

٦) هدم الإسلام: سعي كثير من أعداء الإسلام إلى بث الأفكار التي تهدم بناء الإسلام ، وما وضعة لهم من شريعة إن تمسكوا بها عاشوا أقويا مدى الدهر، وكان عصر الخلافة بمثابة المنبر الحر الذي طرحت من خلاله الموضوعات شتي تحمل فكرة القضاء على الإسلام وتشكيك المسلمين في دينهم. وأيضاً من موضوعات التي تناولتها بعض الخطب مسألة صحة نبوة سيدنا محمد ﷺ، وسلوكه ومقارنة ذلك بسلوك غيره من الرسل، وفضائل الصحابة، وغيرها من الموضوعات التي أثارت جدلاً واسعاً.

٧) الاعتبار بالأمم السابقة: وهذه الفكرة تظهر بجلاء عند القصاص الذين تخصصوا في رواية القصص والسير والأخبار؛ لأنها مصادر حية للعظة والاعتبار إلى جانب كونها موارد للعلوم والثقافة، فقد استفاد الخطباء من هذه القصص والأخبار فربطوا حاضر الناس بواقع الأمم والشعوب التي حكي عنها القرآن وسيرة النبي ﷺ.

الفصل الثالث

الخطابة السياسية

المبحث الأول: العوامل المؤثرة في الخطابة السياسية

المبحث الثاني: أنواع الخطب السياسة

المبحث الثالث: موضوعات الخطب السياسية

المبحث الرابع: الخصائص الفنية والفكرية للخطابة الاجتماعية

المبحث الأول

العوامل المؤثرة في الخطابة السياسية

جدير بالذكر خطت الخطابة السياسية خطوات واسعة نحو التقدم والازدهار، وبما أن الخطابة السياسية عرفت منذ فجر الإسلام الأول إلى أنها أتت في هذا العصر بفضل ما تهيأ لها من العوامل والأسباب، فصارت فناً أدبياً على سائر الفنون الأدبية الأخرى، ومن أهم العوامل التي أثرت في الخطابة السياسية:

أولاً: الاستقرار السياسي: تزدهر الخطابة السياسية وتنشط في البيئات التي فيها الاستقرار السياسي، فحين تضطرب أحوال البلاد الداخلية بفعل الظلم والقهر السياسي والعسكري ،ويخلق ذلك بيئة صالحة لتحرك المعارضة وإشعال نيران الثورات، وتنشط تبعاً لذلك الخطابة السياسية وتزدهر.

ثانياً: الأثر الإسلامي: الخطابة السياسية وازدهارها يرجع للقرآن الذي إمتلأت الخطب السياسية بصورة ومعانيه، وأخذ الخطباء فى خطبهم لآيات القرآن يستشهدون بها. وكانت الخلافة الراشدة صيغة الدينية، مما جعل كل الأطراف المتنازعة تركز على الناحية الدينية ذاتها، فامتزجت السياسة بالدين، وكانت كلما انتصر المبادئ انتصرت القضاء بني ، وإذا انهزمت السياسة تعلقت بالدين، وهذا التداخل الشديد بين الدين والسياسة يجعل الجانب الديني يستوعب السياسي أحياناً، حتى كاد يلقيه، وهذه الهيمنة الدينية على الحياة السياسية جعلت تأثر الخطابة بالدين الإسلامي أمراً حتمياً.

ثالثاً: نشر المبادئ والأفكار السياسية: نشطات الأحزاب السياسية التي نشأت في الفترات السابقة وحملت هذه الأحزاب أفكارها الجوهرية التي كانت تحملها منذ نشأتها. وهذه الأفكار كانت تطورت تمددت وأحياناً تنكمش لتواكب الحياة المتغيرة. ثم أخذت هذه الأحزاب بمرور الزمن تنقسم إلى أحزاب عدة متناحرة، وكل حزب انقسم على نفسه، وقانون الصراع السياسي بين الأحزاب، ولا قوة للحرب إلا بكثرة الأنصار، ولا كثرة الأنصار إلا بالدعاية السياسية التي تشرح من خلالها،ومن هنا اعتمدت الأحزاب على الخطابة في صراعات طويل ضد بعضها بعضاً.

رابعاً: الفتوح الخارجية: خاض الخلفاء الراشدين حروباً خارجية عديدة منها ما هو امتداد للفتوحات الإسلامية، ومنها ما هو دفاع عن النفس والعقيدة، والفتوح سبباً في الازدهار لحركة الخطابة على الصعيد العسكري، واعتمد العرب على فصاحتهم البيانية إلى جانب اعتمادهم على مهارتهم القتالية، فنبغ عدد كبير من القصاص والقادة في إلقاء الخطب التي تلهب الوجدان، فازدهرت ألوان من الخطابة عديدة مثل خطب الوصاية الحربية، وخطب المشاورات العسكرية، وخطب فض النزاعات على القتال أو طلب الاستسلام أو الفرار، وخطب إيضاح الخطط، وخطب الإشادة بالنصر، وخطب تقديم التقارير العسكرية، فكل هذه ألوان الخطابة ازدهرت بسبب انتعاش حركة الفتوح الخارجية وكثرة المعارك الحربية التي كانت حروباً مقدسة وجهاداً في سبيل الله.

خامساً: الثقافة الأجنبية: اتصال العرب بغيرهم من الأمم، وتأثروا بثقافاتهم حيث ترجعت الكتب والآثار إلى العربية، ففتح ذلك أمام الفكر العربي... فتوسعت أفاقهم، وانعكس كل ذلك على الخطابة. ونجد أن الفلسفة على رغم ظهورها واشتغال الكثيرين بها إلا أن، وذلك لأن مجال الخطابة السياسية محدود لأنها تتجه نحو مخاطبة الجماهير بمستوياتها المختلفة، فظلت الأفكار الخطابة السياسية مرتفعة عن الفلسفة وتعقيداتها حتى تكون في المستوي الجماعات التي تخاطبها.

سادساً: نهج سياسة الخلفاء الراشدين: قامت سياسة الخلفاء الراشدين على أسس ودعائم عمت الصراع بينهما وزادت أعداءها، وأوجب حركة خطابية نشطة.

كان نهجه الخلفاء رضي الله عنه نهجه هو تعويل على كتاب الله أولاً، وإن لم يجد نصاً في الكتاب عول على السنة فإن لم يجد، عول ما اتفق عليه رأي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن لم يجد اجتهد وكان اجتهاد ممكن المثل في القوة مكّن من استخراج الحكم واستنباطها[١].

---

(١) التنظيم القضائي في الملكة العربية السعودية في ضوء الشريعة الإسلامية، سعود بن سعد آل دريي، ص: ١٩٧: د. صبحي وحمصاني، تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء، دار العلم للملايين، ص: ١٢٧.

سابعاً: الاتصال بالتراث القديم:يرجع تطور الخطابة السياسة أيضاً إلـــى التـــراث العربي الإسلامي

المبحث الثاني

أنواع الخطب السياسية

اعتمد الخلفاء الراشدين على الخطابة في تسير شـــؤون الدولـــة وتثبيـــت أركانها كاعتمادهم على السيف، وتنحصر الخطب السياسية الخالصة في خطـــب تولي الخلافة، وخطب أخذ البيعة، وخطب تجديد البيعة، وخطب الخلع ، وخطـــب فض النزاعات، وخطب الدعاية السياسية. خطب تولي الخلافة:عندما يعتلي خليفة عرش الخلافة لابد أن يستهل بخطبة يوضح خطة سيره، من خلال خطبة وحكمة ،ومنهجه السياسي وهذه الخطبة مهمة للخليفة، لأنه يحاول عـــن طريقهـــا كســـب وتأييد شعبه رضاه، وهي مهمة للرعية، لأنهم من خلالها يعرفون ملامـــح العهـــد الجديد، جاء في كتاب كتبه الشاتر الحنفي[١]

خطبة أبي بكر رضي الله عنه بعد توليه الخلافة:

بعد أن بايع الصحابة أبا بكر الصديق خليفة لرسول اللهﷺ ، قام أبـــو بكـــر فخطب في الناس خطبته المشهورة، فقد حمد الله وأثنى عليه ثم قال: " **أما بعد أيها الناس فإني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحســـنت فـــأعينوني، وإن أســـأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريـــح (أرد) عليه حقه إن شاء الله تعالى، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخـــذ منـــه الحق إن شاء الله تعالى. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالـــذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعـــوني مـــا أطعـــت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلـــى صـــلاتكم**

---

(١) مالك بن الحارث بن عبد بقوت ألنخعي، المعروف بالشاتر: أمير من كبار الشجعان، كان رئيس قومـــه، أدرك الجاهلية أو ما عرف عنه حصر خطبة عمر في الجابية، وسكنه الكوفة وسهر اليرموك وذهبـــت عينه فيها، وشهد اليوم الجمل وأيام صفين، مع علي، وولاة على " مصر" فقد صعدها فمات في الطريق عام ٣٧هـــ،٦٥٧م، الزر كلي- الأعلام- ج، ص: ٢٥٩.

يرحمكم الله"[1].إن هذه الخطبة تعتبر دستوراً واضحاً لكل حاكم فلقد أوضح أبــو بكر الصديق المنهاج الذي سوف يسير عليه في خلافته.

وهو أن الشعب مصدر السلطة فإذا بقي الخليفة ملتزماً بما يريــده الشــعب وفــق تعاليم الله ورسوله فعلي جميع الناس أن يساعدوه على الحكم، وإذا خــالف ذلــك فللناس الحق أن يقوموا لتصليح الأمور سواء عن طريق النقد والاعتراض أو عن غيره حسب الحال ويبين الخليفة أبو بكر في هذا الدستور أن الحق يجب أن يسود، وأن القوي من كان الحق بجانبه، والضعيف من لم يكن الحق إلى جانبه.

ثم يبين لهم أن الجهاد سمة أساسية للمجتمع الإسلامي فإذا تركوه أصــبحوا أذلاء، وأن هذا المجتمع يجب ألا تنتشر فيه الفاحشة لأنها تجلب المصائب والهزائم.

ففي كلمات قليلة استطاع الخليفة أبو بكر أن يضع دستوراً ومنهاجاً يستطيع به أن يسود الناس ويدفعهم إلى إقامة مجتمع عزيز سليم، يؤمن بعضــهم بعضــاً ويطمئن كل فرد فيه إلى أن حقه له لن يضيع مهما كان هو ضعيفاً.

أبو بكر كما عرف عنه بارع في الخطابة له حــظ وافــر مــن الفصــاحة والبلاغة. فتري في هذه الخطبة القصيرة الصدق في القول ولاتزان والإخــلاص لدرجة يشعر فيها كل من سمع الخطبة أن الخليفة ليس أكثر من واحد من الرعيــة له ما لهم وعليه وما عليهم. وقد جاءت هذه الخطبة واضحة المعنى جميلة الســبك رائعة الأسلوب تدخل بسرعة إلى كل قلب ولذا فلا غرابة أن تبقى هــذه الخطبــة على مر الأيام منهاجاً ودستوراً لكل حاكم مسلم.

خطبته رضي الله عنه يوم السقيفة:

بعد وفاة الرسول ﷺ أخذ المسلمون يتشاورون فــيمن يكــون خليفــة بعــد الرسول إذ أنه توفي ولم ينصب خليفة من بعده بل تــرك الأمــر شــورى بــين المسلمين تحقيقاً لقوله تعالى في صفات المؤمنين: " وأمرهم شورى بينهم".

واجتمعوا للتشاور في سقيفة بني سعادة وأخذ الخطباء يدلون بآرائهم في هذا الأمر الخطير وكان ممن خطب في هذا اليوم أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

---

(١) محمد سمير الشاوي: الخطابة العربية، سوريا، دمشق،ط١، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٦م، ص:١٤٥.

حمد الله ثم اثنى عليه ثم قال: " **إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه وشهيداً على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتي يزعمون أنها لهم عنده شافعة ولهم نافعة وإنما هي من حجر منحوت وخشب منحور ثم قرأ " (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ) وقالوا مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ " فعظم،على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخص آله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمواساة له والصبر معه على شدة أذي قومهم لهم وتكذيبهم إياهم وكل الناس لهم مخالف زار عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم وإجماع قومهم عليهم فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالله والرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم.**

وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين ولا مسابقتهم العظيمة في الإسلام رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله وجعل إليكم هجرته وفيكم جلة أزواجه وأصحابه فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم فنحن الأمراء وانتم الوزراء لا تفتئتون بمشورة ولا تقضي دونكم الأمور"[١].الأفكارتتمثل:

١. ابتدأ خطبته ببيان الحكمة من إرسال محمد عليه الصلاة والسلام فذكر أن الرسول قد بعثه الله ليرشد الناس إلى عبادة الله وحده ونبذ كل معبود من دونه فتلك التي يسمونها لا تضر ولا تنفع ولا تقرب ولا تشفع .
٢. ثم ثني على ذلك بموقف العرب من دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام فبين أنهم كانوا حريصين أن يسيروا على الخط الذي سار عليه آباؤهم وإن كان آباؤهم في ضلال مبين.
٣. ثم تحدث عن موقف المهاجرين ومناصراتهم للرسول وبذلهم في سبيل دعوته ما يستطيعون وبين أنهم لم يثمنهم عن متابعته قلة عددهم وكثرة عدوهم وشدة إيذائهم لهم.
٤. ثم انتقل إلى بيان أحقيتهم بالخلافة فهم أولياؤه وعشيرته وأول من آمن به.
٥. ثم أعقب ذلك بيان فضل الأنصار ومكانتهم في الدين ولكنهم مع هذا كله

(١) أنور أحمد: خطباء صنعوا، دار المعارف بمصر، ص:٨٩.

يأتون في الدرجة الثانية من الاستحقاق فالمهاجرون هم الأمراء والأنصار هم المستشارون الوزراء.**مميزات هذه الخطبة:**

١/ **التسلسل والترابط:** أبرز ما يظهر في هذه الخطبة هو تسلسل حلقاتها وترابطها فكل فكرة منها تسلم للفكرة التي بعدها بشكل منطقي.

٢/ **الصراحة:** وهذا الموقف من أشد المواقف وأصعبها وهو بحاجة إلى آراء صريحة لا عوج فيها ولا التواء وخطبة أبي بكر جاءت ملبية هذا الموقف فلقد كان فيها صريحاً على أحسن ما تكون الصراحة.

٣/ **قوة الحجة والبرهان:** ويتجلي فيها قوة الحجة فالمهاجرون قد لاقوا ما لم يلاق غيرهم وبذلوا ما لم يبذل غيرهم، هذا إلى أنهم قوم الرسول وعشيرته وهذا الذي يجعلهم أحق بالخلافة من غيرهم فكل ما يكون في الأنصار يوجد نظيره في المهاجرين ولكن العكس غير صحيح.

٤/زين خطبة بالاقتباس من الحديث الشريف.

خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في فضل المهاجرين

" أيها الناس: نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً وأكرمهم أحساباً وأوسطهم داراً وأحسنهم وجوهاً وأكثر الناس ولادة في العرب وأمسهم رحماً برسول الله عليه الصلاة والسلام، أسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن عليكم فقال تبارك وتعالى: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ) فنحن المهاجرون وانتم الأنصار إخواننا في الدين وشركاؤنا في الفيء وأنصارنا على العدوان، آويتم وواسيتم فجزآكم الله خيراً فنحن الأمراء وانتم الوزراء لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش فلا تنفوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله"[1].

خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما أراد أن يتم بعث أسامة: فقال بعد أن حمد الله وأثني عليه قال:" **يا أيها الناس: إنما أنا مثلكم، وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله ﷺ يطبق**".

---

(1) محمد عمارة: الخطابة في موكب الدعوة، الإصدار وزارة الأوقاف بمصر.

إن الله أصطفي محمداً على العالمين، وعصمة من الآفات، وإنما أنا متبع ولست بمبدع، فإن استقمت فتابعوني، وإن زوغت فقوموني، وإن رسول الله ﷺ قبض، وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلة ضربة سوط فما دونها، ألا وإن شيطاناً يغتر يني، فإذا غضبت فاجتنبوني، لا أوثر في أشعاركم وأبشركم، ألا وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قوماً نسوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فإياكم أن تكونوا أمثالهم"[1].

خطبة أبية بكر حين حدثت الردة:

حمد الله واثني عليه ثم قال: " **الحمد لله الذي هدي فكفي، وأعطي فأغني، إن الله بعث محمداً ﷺ والإسلام غريب طريد، قد رث حبله، وخلق عهده، وضل أهله عنه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم، وقد غيروا كتابهم وأتوا عليه ما ليس فيه، والعرب الأميون صفر من الله لا يعبدونه ولا يدعونه، أجهدهم عيشاً وأضلهم ديناً.**

ثم جمعهم الله بمحمد ﷺ وجعلهم الأمة الوسطي ونصرهم بمن تبعهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيهم، فركب منهم الشيطان مركبة الذي أنزله الله عنه، (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) إلى أن قال: وإن من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم، ولن يكونوا في دينهم وإن رجعوا إليه أزهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوي منكم يومكم هذا على ما فقدتم من بركة نبيكم ﷺ ولقد وكلكم إلى المجلي الذي وجده ضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه، كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، والله لا أدع القتال على أمر الله حتى ينجز الله وعده، ويوفي لنا عهده، ويقتل من قتل منا شهيداً من أهل الجنة، ويبقي من بقي منا خليفته ووريثه في

---

(1) لطفي فيومي:الخطابة، الإصدار وزارة الأوقاف السورية، ص:٢٢٥.

أرضة، قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلف له (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ) ثم نزل[1].

من خطب أبي بكر الصديق رضي الله عنه: بعد أن حمد الله واثنى عليه وصلي على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام قال: " **ألا إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك، فرفع الناس رؤوسهم فقال:**

ما لكم أيها الناس، إنكم لطعانون عجلون، إن من الملوك من إذا ملك، زهده الله فيما في يديه، ورغبة فيما في يدي غيره، وانتقضه شطر أجله، وأشرب قلبه الإشفاق، فهو يحسد على القليل، وستسخط الكثير، ويسأم الرخاء، وتنقطع عنه لذة البهاء، لا يستعمل العبرة ولا يسكن إلى الثقة، فهو كالدرهم القسي، والسراب الخادع، جذل الظاهر، حزين الباطن، فإذا وجبت نفسه، ونضب عمره، وضحاً ظله، حاسبة الله فأشد حسابه وأقل عفوه، إلا من آمن بالله، وحكم بكتابه وسنة نبيه ﷺ ألا إن الفقراء هم المرحومون، ألا وإنكم اليوم على خلافة النبوة، ومفرق المحجبة، وإنكم سترون بعدي ملكاً معضوضا، وملكاً عمودا، وأمة شعاعاً، ودماً مفاتحا، فإن كانت للباطل نزوة، ولأهل الحق جولة، يعفو لها الأثر، ويموت لها البشر، وتحيى بها الفتن، وتموت لها السنن، فألزموا المساجد واستشيروا القرآن، واعتصموا بالطاعة، ولا تفارقوا الجماعة، وليكن الإبرام بعد المشاورة والصفقة بعد طول التناظر، أي بلادكم جرشنه؟ فإنكم سيفتح عليكم أقصاها كما فتح عليكم أدناها"

خطب أبو بكر يوم السقيفة :أراد عمر كلام، فقال له ابو بكر :على رسلك .ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال :**(أيها الناس ، نحن المهاجرون ،أول الناس إسلاما ،وأكرمهم أحسابا ،وأوسطهم دارا ،وأحسنهم وجوها ، وأكثر الناس ولادة في العرب ، وأمسهم رحما برسول الله ﷺأسلمنا قبلكم ، وقدمنا في القرءان الكريم عليكم**[2].

فقال تبارك وتعالى :﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا

---

(1) أحمد زكي صفوت: حمزة، خطب العرب، ج١،مرجع السابق، ص:٢١١.

(2) أحمد بن عبد ربه:عقد الفريد، ج٤، مرجع السابق، ص:١٨٢.

الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [1]؛ **فنحن المهاجرون وانتم الأنصار، إخواننا في الدين الله، وشركاؤنا في إلفي وهي الغنيمة بلا قتال.وأنصارنا على لعدوا؛ أويتم وواسيتم ،فجزأكم الله خيرا ، فنحن الأمراء، وانتم الوزراء ،لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش ، فلا تنفسوا وهي حسده عليه ولم يره الهاء له على إخوانكم المهاجرين مانحهم الله من فضله[2].**

خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حينما ندب الناس لفتح الشام: حيث قال: " **ألا إن لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبة، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد، فإن القصد أبلغ، ألا إنه لا دين لمن لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبه له، ولا عمل لمن لا نية له، ألا وإن في كتاب الله، من الثواب على الجهاد في سبيل الله، كما ينبغي للمسلم أن يجب أن يخص به، هي التجارة التي دل الله عليها، ونجي بها من الخزي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة"[3].**

خطب أبو بكر الصديق بعد وفاء النبي ﷺ، حيث كان يضع الأمور في نصابها ويزنها بميزانها الصحيح ، ويتجلى ذلك في خطبته التي ألقاها، حين اجتمع الأنصار والمهاجرون في سقيفة بني ساعد لاختيار خليفة للمسلمين،يقول فيها

(إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه، وشهيداً على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى،ويزعمون أنها لهم عنده شافعة،ولهم نافعة، وإنما هي من حجر منحوت، وخشب منحور، ويعبدون من دون الله، ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون.هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وقالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فعظم على العرب أن يتركوا دين إبائهم فخص المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، والإيمان به، والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم وتكذيبهم إياهم، وكل الناس لهم مخالف ،زار عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم) [4].

---

(1) سورة التوبة، الآية (١٠٠).

(2) أحمد عبد ربه:عقد الفريد، ج٤، ص:١٢٨.

(3) مصطفي الخن: الخطابة، الإصدار، الأوقاف السورية، ص:٩٥.

(4) لابن قتيبه: عيون الأخبار، ج٢، مرجع السابق،ص:٢٥٥.

بدأ أبو بكر الصديق خطبته بحمد الله والثناء عليه ثم الدعوة إلى توحيد الله حيث بين بطلان عبادة الإلهة، وموقف العرب في حياتهم ثم تخصيص الله المهاجرين والأنصار بالتصديق والإيمان. ثم أشار إلى فضل ومكانة الأنصار الذين سبقوا إلى الإسلام، وتكريم الله لهم، وإن فيهم معظم أزواج الرسول الله ﷺ، لذا فهم أهل المشورة والنظر في الأمور.وقد أورد (ابو بكر الصديق) رضي الله عنه بعضاً من صور البديع كالجناس غير التام في قوله :**(شافعة ونافعة) و (ومنحوت ومنحور) من غير تكلف وتصنع منه ، إضافة للتصوير الرائع لحال الآلهة التي لا تنفع ولا تضر، قارن إياها بحال الجمادات التي لاحياه فيها . وتسير خطبة معظم أبي بكر الصديق رضي الله عنه في هذه الاتجاة، وكثيراً ما كان يطلب في خطبته العون والمساعدة، بالنصح وبالرأي، إنه متبع ليس مبتدع، ويحذر من الموت ويدعو إلى الاعتبار والتفكر في من كانوا من قبل.**

أول خطاب لأبي بكر: بعد أن تمت بيعته قام في الناس خطيباً فقال: (يا أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن صدقت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عند...الخ)[1].

الطريقة التي اتبعها الخلفاء أخبرهم بواجب عليهم وهو إعانته وحق لهم وهو تقويمه إذا صدق عن الحق وفي هذا ضمان لحريتهم في القول أعطاهم عهداً أن يعول فيهم ملائم قوة الظالم أن ينصف منه المظلوم ولا يمنعه ضعفه المظلوم أن ينصفه من ظالمه حثهم الجهاد الذي لابد منه أخبرهم أنه خليفة لينفذ السريعة فإذا عدل عنها فلا طاعة. قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[2]. فقد كان أثر عليه عظيماً خاصة أنه تربي في حجر الرسول الله ﷺ فسمع القرآن منذ بداية وحيه، فرضي الله عنه .

---

(1) الشيخ محمد الخضري بك: تاريخ الأمم الإسلامية، دار الفكر العربي، ج١، ص: ٧١.

(2) سورة النساء: الآية (٥٩).

خطب تجديد البيعة: هي خطبة تجديد البيعة له، فإن كان الخليفة الجديد قد بيع له في حياة الخليفة السابق فإن تلك البيعة تجدد له بعد توليه،وتعتبر خطب عقد البيعة أو تجديدها من أهم خطب الخلفاء الراشدين إذ بموجبها يصير خليفة المسلمين، وتكفل له الحقوق الاستقرار حمله وتأييد شعبه مما ورد في خطبة أبي بكر الصديق عندما بيع بالخلافة، ففي هذه الخطبة يقول: (**لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط، إلا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)**[1].وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بذل يوم القيامة)**[2]. وقوله صلى الله عليه وسلم فقال: **(لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشافيهم الطاعون" والأوجاع التي لم تكن مضت في إملاقهم الذين مضوا)**[3].

خطب أبي بكر الصديق رضي الله عنه: لما بيع الخلافة صعد المنبر فنزل لمرقاة من مقعد النبي ﷺ، فحمد الله واثني عليه، ثم قال:(**إني وليتم أمركم ولست بخيركم، ولكن نزل القرءان وسن رسول الله ﷺ. (وسلم السنن). اعلموا أيها الناس إن أكيس الكيس التقى، وان أحمق الحمق الفجور، وان أقواكم عندي الضعيف حتى اخذ له بحقه، وأضعفكم عندي القوي حتى اخذ منه الحق إما إني متبع ولست بمبتدع؛ فان أحسنت عينوني، وان زوغت فقوموني. أقول قولي هذا،واستغفر الله العظيم لي ولكم)** [4].

خطب أبو بكر الصديق[5] رضي الله عنه، أول الخلفاء الراشدين التي بين أيدينا خطبته بعد البيعة [1]. بعد أن حمد الله ثم واثنى عليه ثم قال :**(أيها الناس إني قد**

([1]) ابن هشام: السيرة النبوية، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دار المنار القاهرة، ج٤، ص: ٣١٢.

([2]) السيوطي: الدار المنشور، طبعة دار المعارف، بيروت، ج٢، ص: ٣٤.

([3]) ابن ماجة: ج٢، كتاب الفتن، ب٢٢، ج٤١٩، ص: ١٣٣٣.

([4]) أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب،ج٢، مرجع السابق، ص:١٢٠.

([5]) أبو بكر الصديق هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي صفة صفوة ،لابن الجوزي ، د،محمود فاحوري ، ج ١، ط١،سنة ١٩٨٩ــ ١٩٦٩، مطبعة الأصيل،ص:٢٣٥.

وليت عليكم ولست بخيركم ،فان رأيتموني على الحق فأعينوني وان رأيتمـــوني على باطل فشدوني [٢] واطعنوني ما أطعت الله فيكم ،فإذا عصيته فلا طاعة لـــي عليكم ، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى اخذ الحق له ،وأضعفكم عندي القوي متى اخذ الحق منه ، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم) [٣].

ففي عبارته:**(لست بخيركم)** ينفي الأفضلية على بقيـــة الصـــحابة ويـــدعوهم لان يشيروا عليه بكل ما يرون صوابا ،وفي الخطبة السابقة يؤكد على أهميـــة طاعـــة أولي الأمر فهي من طاعة الله والرسول .وفي هذه الكلمات القليلة نجد إن أبو بكر الصديق رضي الله عنه ــ رسم المنهج الذي سيكون عليه الأمر ولايتـــه، وحـــدد القيم والمثل التي يجب إن يتحلى بها الوالي من جهة.

تحدث أبو بكر الصديق رضي الله عنه[٤] إن الملك العادل من أول الناس دخـــولا إلى الجنة، وكيف تختار الظالم النار بإعماله الطالحة.وحذر رضي الله عنه ــ من الفتن، وبين إن المخرج منها لزوم كتاب الله وعدم مخالفة الجماعة، وأكد إن الحق سينتصر لا محالة، وعلى الإنسان إن يشاور ويفكر مليا قبل اتخاذ أي قرار.

وأيضا خطب أبوكر الصديق رضي الله عنه[٥] ــ الجهاد والحث علـــى الصـــبر والثبات التي القها خطبته ينتدب لفتح الشام . فحمد الله واثني عليه وصلى رســـول الله صلي الله عليه وسلم فقال:**(إلا إن كل أمر جوامع فمن بلغها فهي حسبه ومـــن عمل لله كفاه الله ،عليكم بالجد والقصد، فان القصد ابلغ ، إلا وانه لا دين لأجل لا إيمان له، ولا اجر لمن لا حسبه، ولا عمل لمن لا نية له ، إلا وان في كل كتـــاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله كما ينبغي للمسلم إن يحب إن يخـــص**

---

(١) عبد المنعم لخفاجي :(عبد التواب) أحياة الأدبية في العصـــر الجـــاهلي وصـــدر الإســـلامي ، المرجـــع السابق،ص:١٥١.

(٢) تسددوني:سدده: هدا إلى الصواب والسداد الصواب.

(٣) احمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، مرجع السابق، ج١، ص:١٨٠.

(٤)عبد المنعم لخفاجي :(عبد التواب) أحياة الأدبية في العصـــر الجـــاهلي وصـــدر الإســـلامي ، المرجـــع السابق،ص:١٥١.

(٥)عبد المنعم لخفاجي :(عبد التواب) أحياة الأدبية في العصـــر الجـــاهلي وصـــدر الإســـلامي ، المرجـــع السابق،ص:١٥١.

به، هي التجارة التي دل الله عليها ونجي بها من الجذ ، والحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة) [1] الجهاد أهم قيمة أوجدها الدين الإسلامي، لحماية الدين والمال، والنفس، والعرض، ويجب فيه تصحيح النية لله عز وجل، وللجهاد ثــواب عظــيم عند المولى عز وجل ، وهذا ما تحدث عنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ــ فقد دعا للجهاد مؤكدا ثوابه فهو التجارة الرابحة. وهو البيع الذي لا يخسر. والجهــاد هو الذي يضمن للدين وعزته وكرامته وقوته على مر الدهور والأزمــان ، ولــم يذكر التاريخ امة ضعيفة كان لها مجد وسلطة علي العالمين .

(عمر بن الخطاب[2]، رضي الله عنه ــ ثاني الخلفاء الراشدين، وهو الذي أغر به المسلمين في بداية الدعوة حين كانوا قلة ضعفاء[3] ذكر (الطبــري)انــه خطب فحمد الله واثني عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم. بما هو أهله ثم ذكــر لناس بالله عز وجل واليوم الأخر لكم، ثم قال:**(يا أيها النــاس :إنــي قــد وليــت عليكم، ولولا رجاء إن أكون خير لكم وأقواكم عليكم، واشد لم استطلاعا**[4]، ربما ينوي من مهم أموركم، ما توليت ذالك منكم وكفى **(عمر بن الحطاب رضــي الله عنه)** أصبح يثق بقوة ولا حيلة ، إن لم يتداركه الله غزة وجل برحمتــه وعونــه وتأييده) [5].

نلاحظ إن التزام الصحابة رضوان الله :(أبو بكــر الصــديق ــ وعمــر بــن الخطاب) بداية الخطبة تبدأ بحمد الله والثناء عليه كما فعل الرسول الله صــلي الله عليه وسلم ــ وفي هذه الخطبة يؤكد **(عمر بن الخطاب)** عظمة مسؤولية الخلافة، وان الوالي محاسب كل ما تقوم به من أمور رعيته .ويطلب من الله العون حتــى يستطيع أن يقوم بهذا الدور العظيم قيام ويطلب من الله الرحمة والمغفرة.

---

(1) أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، مرجع السابق، ج١، ص:١٨٩.

(2)عمر بن الخطاب هو ابن نقيل القرشي ألعدوي ابو حفص ثاني الخلفاء الراشدين وأول من لغــب بــأمير المؤمنين ، الزر كلي ، الإعلام مج، ٥،ص:٤٥.

(3)عبد المنعم لخفاجي :(عبد التواب) أحياة الأدبية في العصــر الجــاهلي وصــدر الإســلامي ، المرجــع السابق،ص:١٥١.

(4)الذي في كتب اللغة (اضطلاع) ويقال هو مضطلع بهذا الأمر أي قوى عليه.

(5) أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، مرجع السابق، مج١، ص:٢١٢.

وقد كان **(عمر بن الخطاب)** ـ يوصي المجاهدين عند عقد الالويه :(بسم الله وبالله، وعلى عون الله، مضوا بتأييد الله ،وما النصر إلا من عند الله ، ولـزوم الحق والصبر، فقاتلوا في سبيل الله م كفر بالله ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، ولا تجنبوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور[١]، ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا ولدا ،وتوقوا قتلهم إذا التقى الزاحفان وعند شن [٢]، الغارات)[٣]، في وصية **(عمر بن الخطاب)** للمجاهدين ،يؤكد لهم النصر بما هو عند الله ، يحثهم على التزام الحق والصبر فمجاهدة النفس من اكبر القيم وأهمها ومن ثم جهاد العدو.وأكد عليهم عدم الظلم، وعدم الخوف، والثبات في المعركة وعدم الفزع بالنصر حتى ينسيهم الشكر على النعمة.وعدم قتل الطفل ولا المرأة ولا كبير السن ،وهي وصاية النبي صلي الله عليه وسلم من قيل، وفي ذالك قيم إنسانيه سامية لم تحتاج إليها إلا إن في عصر التقدم والازدهار حيث تأكل نار الحرب الأخضر واليابس ولا تفرق بين الصغير ولا كبير.

وبعض أن انتصر أهل الشام ـــ وكان **(عمر بن الخطاب)** بالشام ، قام فحمد الله واثني عليه بما هو أهله صلي الله عليه وسلم ثم قال:**(يا أهل الإسلام ، أن الله قد صدقكم الوعد ، ونصركم على الأعداء وورثكم البلاد ، ومكن لكم في الأرض فلا يكن جزاء ربكم إلا الشكر ، وإياكم والعمل بالمعاصي ، فان الفعل بالمعاصي كفر للنعم ، وقلما كفر قوم بما انعم الله عليهم ثم لم يفرعوا إلي التوبة ، إلا سلبوا عزهم ، وسلط عليهم عدوهم)** [٤]، في هذه الخطبة قيمة الشكر فهي السبب في بقاء أوزان النعمة والعصيان يؤكد عدم الشكر فان من أحب أحدا لم يعصي ومن اعترف لا حد بفضل لم يخالفه .وعدم عصيان المولى دليلا على الاعتراف بلاءه وزوال النصر يكون به الضعف والهوان والذل .

---

(١)الغلبة.

(٢) صبها من كل وجه

(٣) أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، مرجع السابق، ج١، ص:١٢٧.

(٤) أحمد زكى صفوت، جمهرة خطب العرب، ج ١، مصدر سابق، ص:٢٥٦.

خطب التنـازلات:هي التي ترسل مكتوبة إلى الأمصار لإعلام الناس، ثم أخـذ البيعة منهم لولي العهد الجديد. ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه العـزل الذي بعثه إليه: (**أما بعد، فدولية لنعمان بن عجلان، فقد أردت الشـخوص إلـى ظلمة أهل الشام وبقية الأحزاب، فأحببت أن تشهد معي لقـاءهم، فإنـك ممـن استظهر به على إقامة الدين ونصر الهدى، جعلنا الله وإياك من الـذين يعملـون بالحق ربُه يقولون)**[1].عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، وكان يركز في خطبته بسط المعاني العدل والشورى ، ويسعى إلى إن يكون خير الناس أقوالهم ، وكـان دائم التفكير في الحال الرعية ، كما كان يختار الولاة ويجدد مهامهم الموكلة إليهم ، والتي منها تقوي الله في الشر والعلن . ويقول عمر رضي الله عن : **(يـا أيهـا الناس : إني والله ما أرسل إليكم عملا ليضربوا بشارتكم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ألكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فعل به شيء سوى ذالـك فليرفعه إلى فو الذي نفس عمر بيده لاق صنه منه)** [2].من خطب الجهاد فـي سبيل الله: لما جاءت الفتوحات الإسلامية احتيج إلى خطباء يحثون المسـلم علـى الجهاد في سبيل الله لنشر الدعوة الإسلامية ويبينون ما أعد الله للمقالتين في سبيله من أجر ولقد كان الخلفاء والولاة والقواد كثيراً ما يقومـون فـي هـذه المناسـبة ويذكرون الناس بحق الله عليهم في هذا، ومن ذلك:

خطبة سيدنا عمر حينما ندب الناس لفتح بلاد فارس: حيث قـال: " **إن الحجـاز ليس لكم بدار إلا على النجع، ولا يقوي عليـه أهلـه إلا بـذلك أيـن الإطـراء المهاجرون عن موعد الله، سيروا في الأرض التي وعدكم الله فـي الكتـاب أن يورثكموها فإنه قال: " ليظهره على الدين كله، والله مظهر دينه، ومعز ناصـره، ومولي أهله، مواريث الأمم"** [3].

---

(1) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر الكتاب، (توفي ٢٧٨ أو ٢٨٤هـ- ٨٩١أو ٨٩٧م، تـاريخ اليعقـوبي، بيروت ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م، ج٢، ص: ٢٠١.

(2)محمد بن جرير الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج٣، ص:٢٠١.

(3) السيد سابق: الفقه والسنة، دار الفكر، ص:٢١١.

خطبة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عند توليه الخلافة: وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ ولي الخلافة فحمد الله وأثني عليه ثم قال: " **أيها الناس: إني داع فأمنوا: اللهم إني غليظ فليني لأهل طاعتك بموافقة الحق، ابتغاء وجهك والدار الآخرة، وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم، ولا اعتداء عليهم.**

اللهم إني شحيح فسخني في نوائب المعروف، قصداً من غير صرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة، واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدار الآخرة. اللهم أرزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين.

اللهم إني كثير الغفلة والنسيان، فألهمني ذكرك على كل حال، وذكر الموت في كل حين. اللهم إني ضعيف على العمل بطاعتك، فارزقني النشاط فيها، والقدرة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك.

اللهم ثبتني باليقين، والبر والتقوى، وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني، والمحاسبة لنفسي، واصطلاح الساعات، والحذر من الشبهات.اللهم أرزقني التفكر والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت، إنك على كل شيء قدير" (١).

خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:لما ولي عمر صعد المنبر، قال:(**ما كان الله ليراني أرى نفسي أهلا لمجلس أبي بكر.ثم نزل عن مجلسه مرقاة ، فحمد الله واثني عليه . ثم قال : اقرؤوا القرءان تعرفوا به،واعملوا به تكنوا من أهله. انه لم يبلغ حق ذي حق أن تطاع في معصية الله. إلا واني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم :إن استغنيت عففت ، وان افترقت أكلت بالمعروف ؛ تفرم النهمة الإعرابية :القضم الخضم) (٢).**

---

(١) عبد الرحمن الخربري: فقه المذاهب الأربعة، دار الإحياء للتراث العربي، ص:١٣٣.

(٢) أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ج٢، ص:٢٧٠.

تكرمت البهيمة : أكلت اكلاً ضعيفا ،وذالك أول ما تأكل . والضم : الأكل بأطراف الأسنان . والخضم: الأكل بأقصى الأضراس. يقول انه سيأخذ حقه، الذي تـدفع إليه حاجة الحياة، لا يتعداه.

وهذه النشاطات كانت في سنة تسع وثلاثين، عوف في ستة ألاف رجل وأمره أن يأتي مهين والانبهار ، فأرسل أمير المؤمنين إلى هيت سعيد بن قيس ولكـن لـم تحصل مواجهة بينهما[1].

خطب الفتوح عمر رضي الله عنه،قام في الناس فقال :(**إن الحجاز لـيس لكـم بدار إلا على النجمة : وهي طلب الكلأ في موضعه . ولا تقوي عليـه أهلـه إلا بذالك، أين الإطراء: وهي جمع الطارئ من طرا عليهم كمنع أتاهم من مكـان أو خرج عليهم منه فجأة. المهاجرون من موعود الله، سـيروا فـي الأرض التـي وعدكم الله في الكتاب إن يورثك موها، فانه قال:(ليظهروا على الدين كله) والله مظهر دينه ومعز ناصره ومولى أهله مواريث الأمم، أين عباد الله الصالحون.)؟. فلما اجتمع له البعث أمر عليهم أو لهم انتدابا:هو ندب القوم إلى الأمـر:دعـاهم وحثهم، وانتدبوا إليه أسرعوا.وهو أبو عبيد وقال له:(اسمع من أصحاب رسول الله ﷺ، وأشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعا حتـى تتبـين فإنهـا الحـرب لا يصلحها إلا الرجل المكث: وهي الرزين الذي يعرف الفرصة والكف)** [2].

خطبة عمر بن الخطاب لما استخلف الخلافة صعد المنبر فقال :(**إني قائـل كلمات فامنوا عليهن)فكان أول منطق نطق به حين استخلف ، فقال:(إنما المثـل العرب مثل جمل انف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده ، وإما إنا فورب الكعبة لا حملنهم على الطريق) . انف البعير هي اشتكى انفه من البـررة فهـو انـف وانف ؛وفي الحديث الرسول الله ﷺ فقال:(المؤمن كالجمل الأنف إن القيد الاتقاد؛ وأنا ستنيخ على صخرة استنساخ) وذالك للموجع الذي به فهو ذلوا منقاد**[3].

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، ص: ٣٣٥.

(2) تاريخ الطبري،ج٤، ص:٦٠، والكامل لابن الأثير، ج٢، ص:٢١١.

(3) تاريخ الطبري، ج٤، ص:٥٤، الكامل لابن الأثير،ج٢، ص:٢٠٨.

اعتمدت الخلفاء وولادتهم على الخطابة أداه المهم لبعض كثير النزاعات وإعادة الهدوء والأمور إلى نصابها، قال أمير المؤمنين رضي الله عنه " وفي ما قام الخوارج من قتل لعبد الله بن خباب وزوجته وبعض النساء المسلمات وحفظهم ورعايتهم للممتلكات أهل الذمة التي كانت قريبة من مواطن خروجهم، ما يبعث على التساؤل عن أسباب ذلك، ومن الذي غرس فيهم هذه المفاهيم؟ فهل أفكار السيئة التي ربت ابتاعها على كراهية الصحابة واستجابة أغراضهم ودمائهم هي المسئولية عن ذلك؟ وعن معارضه وإفساد كل وعرات الإصلاح وإغلاق أبواب الفتنة؟ الظاهر أن ذلك هو السبب الرئيسي في كل ما حصل في تلك المرحلة.

خطبة عثمان ابن عفان حين بايعه أهل الشورى، فقال :(لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم كآبة، فأتى المنبر رسول الله ﷺفخطب الناس، فحمد الله واثني عليه، وصلى على النبي الله ﷺ، قال :(**إنكم في الدار القلعة، وفي البقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون علية، فلقد أتيتم صبحتم أو مشيتم إلا وان الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور، اعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا، فانه لا يفعل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثروها وعمروها، ونتعوا بها طويلا، الم تلفظهم ؟ أمروا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة فان الله قد ضرب الله مثلا، والذي هو خير فقال الله عز وجل:(اضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء...)** [1].

أي انقلاع، ومنزلتنا منزل القلعة (بتسكين اللام وضمها وفتحها) أي ليس بمستوطن، أو لا نملكه، أو لا ندري متى نتحول عنه[2].

عثمان بن عفان[3]، **(رضي الله عنه)**[4] ــ فال الطبري :لما بيع عثمان أهل الشورى (**عثمان بن عفان**) خرج وهو اشد هم كآبة فأتى منبر الرسول صلي الله

([1]) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج٢، مرجع السابق، ص:٢١٨.

([2])محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، مرجع السابق، ص: ٤٣.

(٣) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميه من قريش أمير المؤمنين ، ذو النورين ،ثالث الخلفاء الراشدين ، الزر كلي ، الإعلام ،ج ٤ ،ص:٢١٠ .

(٤)عبد المنعم لخفاجي :(عبد التواب) أحياة الأدبية في العصر الجاهلي وصدر الإسلامي ، المرجع السابق،ص:١٥١.

عليه وسلم فخطب الناس فحمد الله واثني عليه صلي الله عليه وسلم فقال: **(إنكم دار قلعه**[١]**، وفي البقية أعمار ،فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه فلقد أتيتم، صبحتم أو مشيتم إلا أن الدنيا طويت علي الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور، واعتبروا بمن مضي ثم جددوا ولا تغفلوا،فانه لا يقفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين اثروا وعمروها، ومتعوا بها طويلا، ولم يلفظهم؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة فان الله قد ضرب الله مثلا والذي هو خير)**[٢].واقبل الناس يبايعونه.يتحدث سيدنا (عثمان بن عفان) عن الغناء وانه يحب اغتنام فرصة الحياة الدنيا ، وعمل الصالحات حتى تكون رادا لنا في الآخرة .ويدعوا الاعتبار والأخذ العظة بمن سبقنا ، والعاقل من يأخذ العظة ممن سبقه حتى لا يكون عظة لمن بعده.وأيضاً لما حدث الإحداث بالمدينة خرج منها رجال إلي الأنصار ، ثم رجعوا جميعا إلي المدينة إلي من كان بالشام ، فاخروا (**عثمان بن عفان**) بخبرهم ، فقام :(**عثمان بن عفان**) في الناس خطيبا فقال:(يا أهل المدينة، انتم أصل الإسلام ، وإنما يفسد الناس بفسادكم ويصلحون بصلاحكم ، والله لا يبلغن عن احد منكم حيث أحدثه سيرته .وانتم والله لأخذن العفو من أخلاقكم ولا تزلنه لكم من خلقي ،وقد دنت أمور ولا أحب أن تجل بنا وبكم ،وانأ على،وحذر ،فاحذروا أو اعتبروا).[٣]

ويحدد الإمام في هذه الخطبة أهل المدينة من أن يكونوا من يبدأ بالفتنة فالناس يتقدمون بهم .والفتنة تبدى صغيرة ثم تكبر فاكبر النار من مستصغر الشرر.فذكرهم الرسول الله صلي الله عليه وسلم ــ وخلفاؤه من بعده حيث لم يكونوا يعترضون على أوامرهم وتنفيذ حدود الله

(٥) أي انقلاع ، أي بمستوطن ،ولا ندري متى نتحول عمه .

(٦) أحمد زكى صفوت: جمهرة خطب العرب، ج ١، مصدر سابق، ص:٢٧٠.

(١) أحمد زكى صفوت:جمهرة خطب العرب، ج ١، مصدر سابق، ص:٢٧٢.

خطب الدعاية السياسية: هي تلك الخطب التي تستغلها الأحزاب السياسية لنشر مبادئها والأفكار السياسية المنفرة، وأسفرت هذه الصراعات عن ظهور جماعات[1] ، فحصلت فيها مواجهة بين أمير المؤمنين، ثم رجع إلى الشام[2]. فاستنفر أمير المؤمنين أهل الكوفة فتثاقلوا عليه فوبخهم في خطبة له قال: **(كلما سمعتم بمنشر[3] من مناصر أهل الشام وملكم، وأغلقوا بابه والحجر كل امرئ منكم في بيته إنجاز السب في حجرة والضب في وجارها)** المغرور من غررتموه ولمن فاز منكم فار بالسهم لأخيب لا أقارا عند النداء، ولا إخوان ثقة عند الأنحاء إن لله وإنا إليه راجعون ما ذا منيت به منكم عمي لا تبصرون، وبكم لا تنطقون وصم لا تسمعون، إنا لله وإنا إليه راجعون[4].

خطب عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما ولي وصعد المنبر: فقال: **(رحمهما الله ! لو جلس ما كان بذالك من باس. فجلس على ذروة المنبر، فرماه الناس بإبصارهم ، فقال :إن أول (كل) مركب صعب ، وان مع اليوم أياما، وما كنا خطباء، وان نعش لكم تأتكم الخطبة على وجهها إن شاء الله تعالى)** [5].ما جاء في خطبة التي خطبها الإمام بالمدينة فتكلم الناس في ذلك فقال: **(.. إنه بلغني عنكم أنكم يقولون: لتفعلن بيه ولتفعلن، فبمن تفعلون؟ لله أبائكم أبنقد[6]البقاع، أم نقع[7]. القاع!.)** [8]؟.

([1]) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال شفانا وهي على طرق البرية اقتحمها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد ١٢هأ ياقوت، معجم البلدان ،ج٣ص: ٣٦٩.

([2]) د. حامد محمد الخليفة: الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، جمادي الأخرى ١٠٢٣.، ط١، ص: ٥٧٣.

([3]) المنشر: قطعة من الجيش تكون إمامة.

([4]) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص: ٥٦.

([5]) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، مرجع السابق،ص:١١٩.

([6]) والنقر بالتحريك: جنس من الغنم قصار الأرجل فباح الوجوه، ويقال: (أذل من النقد)، الجوهري، الصحاح، ج٢، المادة "نقد"، ص: ٥٤٤.

([7]) والفقع: ضرب من الكمأة، ويشبه بهي الرجل الدليل فيقال: (هو فقع قرقر) لأن الدواب تحنجله بأرجلها، المرجع نفسه، ج٣، مادة "فقع"، ص: ١٢٥٩.

([8]) د. جابر مقيحة: أدب الخلفاء الراشدين، مرجع السابق، ص:١٩٦.

خطب عثمان رضي الله عنه ،بعد البيعة فقال :(**إما بعد ، فاني قد حملت وقد قبلت، إلا واني متبع، لست بمبتدع، إلا وان لكم على بعد الكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ ثلاثا : إتباع من كان قبلي فيها اجتمعتم عليه وسننم ، وسن سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملا، والكف عنكم إلا فيها استوجبتم . إلا وان الدنيا، إلا وان الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس، ومال إليها كثير منهم فلا تركنوا إلى الدنيا ن ولا تثقوا بها، فإنها ليست بثقة، واعملوا أنها غير تاركة إلا من تركها**) [1].

وهذا ما ظهر في انتقاصهم لأمير المؤمنين وطعنهم في أبي بكر وعمر رضي الله عنه قال سويد بن عقلة : " مررت بقوم يفضلون أبا بكر رضي الله عنه فأخبرت علياً رضي الله عنه فقلت: لولا أنهم يرون إنك تضمر ما أعلنوا، ودخلني المسجد مصعد المنبر ثم قبض على لحيته وهي بيضاء فجعلت ديمومة انتحاء عليها وجعل بنظر للقاع حتى اجتمع الناس ثم خطب فقال: ما بال أقوام يدركون رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيره به وصاحبيه وسيدي قريش وأبوي المسلمين، وأنا بريء مما يذكرون وعليه معاقب، وصحبا رسول الله بالحب والوفاء والجد في أمر الله، يأمران وينهيان ويغضبان ويعاقبان، ولا يرى رسول الله رأياً ولا يحب كحبها حباً لما يرى من عزمهما في أمر الله فقبض وهو عنهما راض والمسلمون راضون.لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل[2].

خطبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في صفين: " **أيها الناس: إن الله تعالى ذكره، قد دلكم على تجارة تنجيكم من العذاب، وتشفي بكم على الخير ، إيمان بالله ورسوله ، وجهاد في سبيله، وجعل ثوابه مغفرة الذنوب ومساكن طيبة في جنات عدن، ورضوان من الله أكبر .**

وأخبركم بالذي يحب فقال : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص)، فسورا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدموا الضارع وأخروا الحاسر وعضوا علي الأضراس فإنه أنبي للسيوف عن الهام ، وأربط

([1])محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ج٥، مرجع السابق، ص:١٤٩.

([2]) شهاب الدين السيد محمود: الالوسي، ت ١٢٧٠هـ/ ١٨٦٤م، مختصر التحفة، ص: ٧.

للجأش، وأسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات، فإنه أطرد للفتل، وأولــي بالوقــار، والتووا في أطراف الرماح، فإنه أمور للأسنة،ـــ ورايــتكم فــلا تميلوهــا، ولا تزيلوها، ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم، ألمانعي الذمار، والصبر عــن نــزول الحقائق، أهل الحافظ الذين يخفرون برأيكم ويكشفونها ويضربون خلفها وأمامها، ولا يضيعونها، أجزأ كل امرئ سلم قرنه، وواسى أخاه بنفسه، ولم يكل قربه إلي أخيه، فيجع عليه قربه وقرن آخيه فيكسب وبذلك اللائمة، ويأتي بــه دنــاءة إن هذا، وكيف يكون هكذا ؟ هذا يقابل أثنين وهذا ممسك يده قد خلي قرنه إلي أخيه هارباً منه، أو قائماً ينظر إليه، من يفعل هذا مقته الله ، فلا تعرضوا لمقت الله ، فإن مردكم إلي الله قال الله تعالي لقوم عابهم :

" لن ينفعكم الفرار أن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً". وأيــم الله أن فررتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآخرة، استعينوا بالصــدق والصبر، فإنه بعد الصبر ينزل النصر" [1].يلاحظ الباحث على الآتي

١. الحث على الجهاد: فقد ابتدأ كلامه بذلك وبيّن ما أعد الله للمجاهــدين مــن جزيل الثواب.
٢. الحث على التآزر والتراض في القتال.
٣. بيان كيفية التعبئة وملاقاة الخصوم.
٤. الحث على الصبر على المكارة وعدم الفرار. **مميزات النص:**

١. بوفرة النصوص القرآنية فيه: فإن القرآن بما فيه من قوة التأثير وجزالــة اللفظ وحرارة التعبير أشد أثراً في نفوس الناس.
٢. السجع غير المتكلف.
٣. قصر الفقرات.
٤. استعمال الألفاظ القوية الفخمة التي تتناسب مع هول هذا الموقف الرهيب.

خطبة (علي بن أبي طالب) رضي الله عنه في أهل العراق: خطــب فــي أهل العراق بالأنبا فقال: " **أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركــه**

---

(1) أحمد حسين كعكو: المواهب السنية في الخطب المنبرية، ص:٣٢.

رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلة، وشمله البلاء وألزمه الصغار، وسيم الخسف، ومنع النصف، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً سراً وإعلاناً، وقلت لكم أغزوهم قبل أن يعزوكم، فو الله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي، واتخذتموني وراءكم ظهرياً، حتى شنت عليكم الغازات، هذا أخو غامد (سفيان بن عوف ألغامري زعيم الغارة) وقد وردت حيلة الأنبا وقتل حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالمتها (ثغورها ومراقبها) وقتل منكم رجالاً صالحين وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع أحجا لها وقلبها ورثها، (أي: الخلاخيل، والسورة، والأقراط) ثم انصرفوا وافرين ما كلم رجل منهم كلماً (أي: ما جرح جرحاً) فلو أن أمرا مسلماً مات من بعدها أسفاً ما كان عندي ملوماً، بل كان عندي بها جديراً فيا عجباً من جد هؤلاء القوم في باطلهم، وفشلكم عن حقكم، فقبحاً لكم وترحاً بين صرتم غرضاً يرمي، وفيئاً ينهب، يغار عليكم ولا تغيرون تغرون ولا تغرون ويعصي الله وترضون فإذا أمرتكم بالسير إليهم في الحر قلتم: حرارة القيظ، أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر، وإن أمرتكم بالمسير في البرد قلتم: أمهلنا حتى ينسلخ عنا القز، كل هذا فراراً من الحر والقز، فإذا كنتم من الحر والقز تفرون، فأنتم والله من السيف افر، يا أشبه الرجال ولا رجال، ويا أحلام الأطفال وعقول ربات الحاجل وددت أن الله أخرجني من بين تظهرانكم، وتقبضني إلى رحمته من بينكم، والله لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفتكم، والله حرت ندماً، ووريتم صدري غيظاً، وجرعتموني الموت أنفاساً، وأفسدتم على رأي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش: إن أبن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم وهل فيهم أحد أشد لها مراساً وأطول تجربة مني، لقد مارستها وما بلغت العشرين، فيها وقد نيفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع"[1].

---

(1) محمد حبش: سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الخير، ص:١٤٥.

خطبة علي بن طالب رضي الله عنه في بني تميم: الذين يسكنون الكوفة يستحثهم فيها لموا زرته على تميم الذين يسكنون البصرة " **أليس من العجب أن ينصرني لأزد وتخذلني مضر وأعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفة بي وخلاف تميم البصرة على وان أستنجد طائفة منها تشخص إلى إخوانها فتدعوهم إلى الرشاد فإن أجابت وإلا فالمنابذة والحرب فكأني أخاطب صماً بكماً لا يفقهون حواراً ولا يجيبون نداء، كل هذا جبناً عن البأس حباً للحياة لقد كنا مع رسول الله ﷺ نقتل إباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم وصبراً على مقبض الألم وجداً في جهاد العدو ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا تصولا نتطاول الفحلين يتجالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبة كأس المنون فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا، فلما رأي الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر حتى استقر الإسلام جرأنه ومتبوئاً أوطانه ولعمري لو كنا أنأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود ولا أخضر للإيمان عود، وأيم الله لتحلبن هات دماً ولتتبعنها ندماً**"[1].

خطبة علي بن طالب رضي الله عنه يوم لأشوري: " **الحمد لله الذي بعث محمداً نبياً وبعثه إلينا رسولاً فنحن بيت النبوة ومعدن الحكمة وأمان أهل الأرض ونجاة لمن طلب لنا حق إن نعطه ونأخذه وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل، ولو طال السري، لو عهد إلينا رسول الله ﷺ لأنقذنا عهده ولو قال لنا قولاً لجاد لنا عليه حتى نموت لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق وصلة رحم ولا حول ولا قوة إلا بالله. اسمعوا كلامي وعوا منطقي عسي أن تروا هذا الأمر من بعد هذا المجتمع، تنتقضي فيه السيوف وتخان فيه العهود، حتى تكونوا جماعة ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة، ثم أنشأ يقول:**

فإن تك جاسم هلكت فإني * بما فعلت بنو عبد بن ضخم**

مطيع في الهوا جر كل غي * بصير بالنوى من كل نجم**

---

(1) محمد يوسف الكأند هلوني: حياة الصحابة، دار القلم، ص:٦٥.

خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في الوعظ والإرشاد: خطب فقال: " **أما بعد: فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوادع، وإن الآخرة قد أقبلت فأشرفت بإطلاع وأن المضمار**[1]**. اليوم وغداً السباق. ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل. فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خس عمله، ألا فأعملوا لله في الرغبة كما تعلمون له في الرهبة ألا وإني لم أري كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هارب ها ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدي جار به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن**[2] **ودللتم على الزاد، وإن أخوف ما أخاف عليكم إتباع الهوى وطول الأمل**"[3].

خطب الإمام (علي) رضي الله عنه تعالى فقال:(**أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم كلامهم يوهى الصم والصلابة وفعلكم يطمع فيكم عدوكم. تقولون في المجالس: كبت وكية**[4] **فإذا جاء القتال قلتم: حيدي حياد**[5] **ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلت من قاساكم. أعاليا بأضاليل. والثموني التأخير دفاع ذي الدين المطول هيهات لا يمنع الضيم الدليل، ولا يدرك الحق إلا بالجد أي دار بعد داركم تمنون؟ أم مع إمام بعدي تعانون؟ المغرور والله من غرر تموه، ومن فاز بيني وبينكم وأعقب بكم من هو خير لي منكم. لوددت أن لي بكل عشرة منكم رجلاً من بني فراس بن غنم صرف الدينار بالدرهم)**[6].نلاحظ في الخطبة صلة قوية بالسياسة الخلاقة الراشدة التي كانوا يستخدمون بأغراضهم مع مراعاة قواعد اللغة، وتصوير البيان، والمعاني، والبديع بكل فنونها المختلفة.

---

(1) الموضع نضمر فيه الخيل فتصير ضامرة.

(2) الظعن: الرحيل.

(3) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ط٧، مرجع السابق، ص:٢٣٨.

(4) كية وكية: اسم كناية بمعني معول القول.

(5) حيدي حياد: قول يقوله الهارب من المعركة طلباً للنجاة.

(6) أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ج٢، ص: ٢٦١.

قال:(علي بن أبي طالب) رضي الله عنه في خطبة له: (**أيها النـــاس، اتقـــوا الله الذي إن قلتم سمع، وإن أضمرتم علم. وبادروا الموت الـــذي عـــن هـــربتم أدرككم، وإن أقمتم أخذكم)** [1].

خطب علي عليه السلام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه فقال:(**أيهـــا النـــاس، كتاب الله وسنة نبيكم.لا يرعيان مرع إلا على نفسه شغل مـــن الجنـــة والنـــار أمامه. ساع نجا، وطالب يرجو، ومقصر في النار:ثلاثـــة؛ واثنـــان:ملـــك طـــار بجناحيه، ونبي اخذ الله بيديه:لا سادس.هلك من اقـــتحم ، وردي مـــن هـــوى ، اليمين والشمال مضلة ، والوسطى الجادة .منهج عليه أم الكتاب واثأر النبوة.إن الله أدب هذه الأمة بأدبين: السوط والسيف، فلا هـــوادة فيهمـــا عنـــد الإمـــام. فاستتروا ببيوتكم وأصلحوا ذات بينكم، والتوبة من ورائكم. من ابـــدي صـــفحته للحق هلك. فد كانت (لكم) أمور ملتم علي فيها ميلة لم تكونوا عنـــدي (فيهـــا) محمودين ولا مصبين . والله إنا لو أشاء إن أقول لقلت. عفا الله عمـــا ســـلف . انظروا ، فان أنكرتم فأنكروا ، وان عرفتم فاروووا . حق وباطل، وكل أهل. والله لئن أمر الباطل لقديم فعل، ولئن أمر الحق لرب ولعل، ما أدبر شيء فاقبل**) [2]

خطب الوصاية :تتمثل أيضاً في خطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال:(**أما بعد فإن الدنيا قد أبدرت وأذنت بوادع، وإن الأخـــرى قـــد أقبلـــت وأســـرفت باطلاع. وإن المضمار اليوم والسباق غداً. إلا وأنكم في أيام أمل، مـــن روائـــه أجل، فمن أخلص في أيام أمله، قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضره أمله، ومن يقصر في أيام أمله قبل حضور أجل فقد خســـر عملـــه وضـــره أملـــه. ألا فأعملوا لله في الرغبة كما تعلمون له في الرهبة أواني لم أر كالجنة نام طالبهـــا ولا كالنار نام هارب. إلا وإنه من لم ينفعه الحق يصره الباطل، ومن لم يستقم به**

---

(1) أبي العباس محمد بن يزيد المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج١، الدار الفكر العربي، بيروت، ط١، سنة ١٩٩٩، ص: ٢٥٩.

(2) أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ج٢، مرجع السابق، ص:٢٢٥.

الهدي يجربه الضلال (إلى ألردي). ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الــزاد، وإن أخوف ما أخاف عليكم الهوى وطول الأمل[١].

وقد أوضح سبحانه ثمن الجنة في عديد من الآيات القرآن قال تعــالى:﴿ إِنَّ اللّــهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُــونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِــنَ اللّــهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [٢] أيضاً قال تعالى:﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّــابِرِينَ﴾ [٣]. تضحية بالنفس والمال، والصبر على المشاقة قول الرسول صلى الله عليه وســلم: "الجنة حفت بالمكار".قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيــراً مِّــنَ الأَحْبَــارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّــذِينَ يَكْنِــزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٤]. وقال تعــالى:﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ ويبلغونها عِوَجــاً أُوْلَــئِكَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ ﴾[٥] المنشورات الحربية والاعتذارات السياســية، تهديــد الإمام بالحرب خطب الإمام علي فقال: **(قد كنت وما أهدد بالحرب، ولا أي رهب بالصرب و وأنا على ما قد وعدي ربي بالنصر. والله ما استعجل متجرداً للطلــب بدم عثمان إلا خوفاً من أن يطالب بدمه لأنه مظنته، ولم يكن في القوم أحــرص عليه منه فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلبس الأمر ويقع الشك.والله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث: لئن كان ابن عثمان ظالماً كما كان يزعم لقد كــان يتبقي له أن يوزر قاتليه أو ينابذ ناصرية ولئن كان مظلوماً لقد كان يتبقي له أن يكون من المنن هينين عنه، والمعذورين فيه. ولئن كان في شك من الخصــلتين**

---

(١) أبي عثمان (الجاحظ): البيان والتبيين، ج٢، مرجع السابق، ص: ٢٦٢.

(٢) سورة التوبة: الآية (١١١).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٤٢).

(٤) سورة التوبة: الآية (٣٥)

(٥) سورة إبراهيم: الآية (٣).

لقد كان يتبقي له أن يعتز له ويركد جانباً ويدع الناس معه، فما فعل واحدة من الثلاث، وجاء بأمر لم يعرف بأنه، ولم يسلم ...)[1].

وإن الله سبحانه كتب له النصر عليهم، وأيضاً روت عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألأزواجه: أبتكن صاحبة الجمل، وإذا كان الإمام علي يقين من وعد الله بالنصر فكيف يخاف التهديد والوعيد...! [2].

جاء في خطبة عثمان بن عفان، التي خطبها بعد إن بني دارًا بالمدينة، فتكلم الناس في ذلك فقال:(**..انه بلغني عنكم إنكم تقولن: وتفعلن به ولتفعلن. فبمن تفعلون ؟ لله إباؤكم ! أبنقد البقاع أم بفقع الباع ؟!).**

ففي قولها لسابق هذا كناية عن ضعفهم وهو أنهم، وإنهم أذل من إن ينالوا منه.

كذلك ما جاء في خطبته التي خطبها بعد الجدل الذي دار بينه وبين لي بن أبي طالب، وذلك من قوله فقال:(**..ألا فقد والله عبتم على ما أقررتم لابن الخطاب بمثله ، ولكنه وطئكم برجله، وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه، فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم، ولنت لكم، واواتكم كتفي، وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم على ...)** [3] . فقوله أيضا:(**وطئكم برجله ، وضربكم بيده وقمعكم بلسانه**)، كل هذا كناية عن القهر والإذلال والخضوع ، وأم قوله : (**ولنت لكم واواتكم كتفي**) ، فهذا كناية عن القهر والزلال والخضوع. وإما قوله: (**ولنت لكم، واو نطاتكم كتفي). فهذا** كناية عن الوضوح والتسامح والنصح.

ومن الكناية كذالك ما جاء في الخطبة وذلك في قال:(**...أئن أبت يميني لتتا بعني شمالي**) [4]. فهذه كناية عن الانقياد والخضوع .

وكان من اقتدار جبروته، وبديع لطائف صنعته؛ أن جعل من عمياء البحر الزاجر المتراكم المقاصف يبساً جامداً[5] ، ثم فطر منه أطباقاً؟، ففتقها سبع

---

(1) **أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب،المرجع السابق، ج١، ص :٢٧٨.**

(2) محمد جواد مغنية: ظلال نهج البلاغة، ج٢، ص: ٥١٦.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٣٨٣.

(4)المرجع نفسه ،مج٤._ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٦٤.

(5) سأزخر البحر- كمنع- وزخروا، وتزخر: طمي وامتلأ - والمقاصف: المتراحم، كأن أمواج في تراحمها يقصف بعضها بعض.

السموات بعد ارتفاعها، واستمسكت بأمره، وقامت على حده وأرسي أرضاً يحملها الأخضر المعجز، والقيام المسخر قد ذل لأمره، عن لهيبة ووقوف الجـاري منـه لخشيته، وجبل خلا مدها ونشور متونها وأطوارها، فأرسلها في مراسيها، وألزمها قراراتها. فمضت رؤوسها في الهواء ورسمية أصولها في الماء فـانهض جبالهـا سهولها... الخ) [١]. احذروا أن تكادوا كما تكيدوا ولا تقولا هزمنا وغلبنـا. فـإن القوم خائفون وجلون، والضرورة تفتح باب الحيلة ثم قال فيهم خطيباً : **(يا أيهـا الناس، إنكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج، وأنهم إن قدروا عليكم فتنوكم في دينكم وسفكوا دمائكم فقاتلوهم على ما قاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد لفيهم قبلكم الصابر المحتسب مسـلم بـن عـبس، والعجل المعرض عثمان بن عبد ربه)** [٢]

علي بن أبي طالب [٣]،(**رضي الله عنه**) [٤]، ؟ لما رجعت الرسول صـلي الله عليه وسلم (**علي بن أبي طالب**)عند طلحة الزبير، وعائشة يؤذنونه بالحرب قـام فحمد وأثنى عليه وصلى على الرسول الله صلي الله عليه وسلم ثـم قـال :(أيهـا الناس: إني راقبت هؤلاء القوم كي يدعوا يرجعوا، ويختهم بنكثهم، وعرفتهم بفيهم فلم يستجيبوا، وقد بعثوا إلي أن ابرز الناس للطعان، واصبر للجلاد، وألما تمنيـك نفسك أماني الباطل وتعرك الغرور إلا هابتهم [٥]، الهول، لقد كنـت ومـا اهـدد بالحرب، إلا ارهب بالضرب، ولقد أنصف الغـارة [٦]، مـن راماهـا فليرعـدوا وليبرقوا ، فقد راقني قديماً، قديماً، وعرفوا نكايتي فكيف رأوني؟وانأ (أبو الحسن) الذي فللت حد المشركين ،وفرقت فما عنهم ،وبذلك ألقب القي عدوي اليوم وانـي

---

(١) الشريف الموسوعي: نهج البلاغة، ج٢، سنة ١٩٧٥م، دار النشر ، جامعة الازرهـري الشـريف، ص: ٢١٦-٢١٨.

(٢) أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، القاهرة دار النقد، سنة ١٩٦٠م، ص: ٤٢٩- ٤٣٠.

(٥) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي أبو الحسن أمير المؤمنين ، وهـو رابـع الخلفـاء الراشدين، ابن عم النبي صلي الله عليه وسلم ،الزر كلي ، وصهره الإعلام ، ج٤، ص:٢٩٥.

(٦) عبد المنعم لخفاجي :(عبد التواب) أحياة الأدبية في العصر الجـاهلي وصـدر الإسـلامي ، المرجـع السابق،ص:١٥١.

(١) هلبته امة :شكلته.

(٢) القارة:قبيلة وهم رماة.

(لعلي بن أبي طالب) وما عندي ربي من النصر والتأييد، وعلي اليقين من أمـــري في غير شبهه من دين .(أيها الناس: أن الموت لا يفوته المقيم ويعجزه الهـــارب ، ليس عن الموت مجيدو محيص ، من لم يقتل ملت، أن أفضل الموت القتل ،الــذي نفس (علي) بيده لا لف ضربة بالسيف أهون من موته واحدة علي الفراش.
اللهم ان (طلحة) نكث بيعتي، وألب على (عثمان) حتى قتله، ثم عضـــهن[١]، بـــه ورماني، الهم فلا تمهله.اللهم أن (الزبير قطع رحمي ونكث بيعتي ،وظاهر علـــى عدوي فألغينه اليوم بما شئت)[٢].نلاحظ أن الخطبة عند تلك الفترة التـــي ظهـــرت فيها الفتن في الدولة الإسلامية، انتهى الخلاف بينهم بموقعة (الجمل).وأكد (علـــي بن أبي طالب) رضي الله عنه ــ شجاعته وانه ليس بعيدا عـــن الحـــرب وارض المعركة، وان أعداءه يعرفون ذلك عنه. وهذه هي الصفات التي يجب أن يتصـــف بها قائد القوم ، فما دام الموت أكيد فليكن في اشرف الميادين ويكون في سبيل الله .

وفي خلال تولي في خطابة سيدنا (علي كرم الله وجه)أعجبتني تلك الكلمات التي قالها (الحجر بن عدي) و(عمر بن الحمق) حين خرجا يظهر البراءة من أهـــل الشام، فأرسل (علي كرم الله وجه) عليه السلام ــ إليهما أن كفا عمـــا يبلغنـــي عنكما ، فأتياه فقالا: (يا أمير المؤمنين : السنا محقين ؟ قال بلا ، قالا :أو ليســـوا مبطلين؟ قال بلا، قالا فلم منعتنا من شتمهم ؟)قال: **(كرهت لكم أن تكونوا لعـــانين شاتمين، تشتمون وتبرءون، ولكن لو وصفتم مساوي أعمالهم فقلتم:من سيرتهم كذا وكذا، ومن أعمالهم كذا وكذا، كان أصوب في القول وابلغ في العذر، وقلـــتم مكان لعنكم إباءهم ، وبراءتكم منهم :اللهم احقن دماءهم ودماءنا وأصـــلح ذات بينهم وبيننا، وأهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق منهم من جهله، وبرعـــوي عن الغي والعدوان منهم من نهج به، لكن أحب إلى وخير أكم)** فقالا : يـــا أميـــر المؤمنين نقبل عظتك ،ونتأدب بأدبك [٣].وفي هذا الموقف يظهر حلم سيدنا (علي

---

(٣) عضة:بهته.

(٤) أحمد زكى صفوت، جمهرة خطب العرب، ج ١، مصدر سابق، ص:٢٨٨.

(١) أحمد زكى صفوت، جمهرة خطب العرب، ج ١، مصدر سابق، ص:٣٢١.

بن أبي طالب)رضي الله عنه ــ حكمة بالغة في المعالجة الأمور ، وأيضا يتضــح لنا انه كان يسلك طريق الرسول(صلي الله عليه وسلم) حيث إذا كان تحدث عن بعض من اخطئوا يقول: (ما بال أقوام)ولا يفصح عنهم ولأكــنهم يعرفــوا أنهــم المقصودين فيرجعوا عما فعلوا من خطا. ومن خطب علي كرم الله رضي الله عنه ــ في الحث على الجهاد ، حيث خطب وبدا بحمد لله والثناء عليه ثم قال: (أن الله قد أكرمكم بدينه، وخلقكم لعبادته (فانصبوا..)أنفسكم فــي أداء حقــه، وتتجــزوا موعودة، واعلموا أن الله عز وجل أمراس[١]، الإسلام متينة، وعراه وثيقــة ،ثــم جعل الطاعة حظ الأنفس ورضا الرب، وغنيمة الأكياس[٢]، عند التفريط العجــزة، وقد حملت أمر أسودها وأحمرها، ولا قوة إلا بالله، ونحن السائرون أن شــاء الله إلى من سفه[٣]، نفسه وتناول ما ليس له، وما لا يدركه، (معاوية...)وجنده الفئــة الطاغية الباغية، يقودهم إبليس، ويبرق لهم ببارق تسويفه، ويدليهم [٤]، بغــروره، وانتم اعلم الناس بالحلال والحرام فاستغنوا بما علمتم، واحذروا ما حذركم الله من الشيطان، وارغبوا فيما عنده من الأجر والكرامة، واعلموا أن المسلوب من ســلب دينه وأمانته، والمغفور من اثر الضلالة على الهدى فلا اعرفن أحدا منكم تقــاعس [٥]عني، وقال في غيري كفاية، فان الذود إلي الذود ابل [٦].ومــن لا يــذد عــن حوضه يتهدم [٧] .

ثم إني أمركم بالشدة في الأمر، الجهاد في سبيل الله، وان لا تغتابوا مسلما، وانتظروا النصر العاجل من الله ، أن شاء الله[٨].

---

(٢) هو الجبل

(٣) جمع كيس : ضد الأحمق

(٤) أصله سفهت نفسه

(٥) أي يحطهم عن متر لتهم . قال تعالى :(فدلا هما بغرور)

(١) تأخر وتقعد

(٢) الذود : ثلاثة ابره إلى العشرة ، وهو مثل إذا اجتمعت القليل صار كثيرا بمعني مع .

(٣) الزوزني :شرح المعلقات تاسع ، دار الكر ،ص:٣٢٤.

(٤) أحمد زكى صفوت، جمهرة خطب العرب، ج ١، مصدر سابق، ص:٣٢٤.

المبحث الثالث

موضوعات الخطب السياسية

حفلت الخطب السياسية في عهد الخلافة بالعديد من الموضـــوعات نســـبة لكثرة الأحداث الداخلية والخارجية الداعية إلى ذلك، من أبرز الموضوعات الآتي

وفي عهد الإمام علي كرم الله وجه، كثرت الصـــراعات والفـــتن، بـــين الجماعات الفكرية المذهبية، لذا جاءت الخطابة خدمـــة أهـــداف ومرامـــي تلـــك الجماعات، ونلمس ذلك في أول خطبة للإمام علي كرم الله وجه ، عندما بيع إمام المسلمين، حيث بدأ خطبته بأمر الدين، ثم صاغ صور الرائعـــة لأجـــل الإقنـــاع والتأثير. فأسلوب الإمام علي يمتاز بالقوة وجزالة الألفاظ وفيه بالصدق والأمانة ، ويظهر فيه فهمه العميق لمعاني القرءان والسنة[1].

يهتم كل خليفة أو والي بتوضيح خطة حكمه والسياسة التي يســـير عليهـــا، وهذه السياسية تتراوح بين الشدة واللين حسب شخصية الخليفة،وحسب الأحـــوال السياسية والأجواء الأمنية السائدة. مثل هذه الخطب التي يسعي الخلفاء إلى رفـــع الشعارات البراقة وبذل الوعد وكل ما يضمن لهم التأييد كالوعد بالعـــدل ونشـــر الرخاء وزيادة الأرزاق.

خطب بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قال:(**وكتب علي بالفتح إلى عاملة بالكوفة حين كتب في أمرهـــا وهو يومئذ بمكة. من عبد الله علي أمير المؤمنون. أما بعد فإنـــا التقينـــا فـــي النصف من جمادي الآخرة بالخيبة. فناء من أفنية البصرة. فأعطـــاهم الله عـــز وجل سنة المسلمين، وقتل منا ومنهم قتلى كثير، وأصيب ممن أصيب منا ثم بن المثني، وهند بنت عمرو، وعلياء بنت الهيثم وســـيخان وزيـــد ابنـــا صـــرحان ومحوج.ثم كتب عبد الله بن رافع. وكان الرسول زفر بن قـــيس إلـــى الكوفـــة بالبشارة في جمادي الآخرة**)[2].أيضاً مطالبة الرعية بالسمع والطاعة: يكررونـــه في خطبهم، فهم بعد أن نالوا الخلافة قسراً من الصحابة، ونالوا الشريعة بمبايعـــة

---

(1)أبي جعفر محمد بن جرير الطبري:تاريخ الرسل والملوك، الطبري،مرجع السابق، ط٤، ج٤، ص:٢١٦.

(2) أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، مرجع السابق،ص: ٦٠.

الناس لهم، أعلنوا وجوب طاعتهم بصورة مطلقة، ثم أذاعوا نظرية حق التفويض الإلهي الذي يحرم الخروج عليهم باعتبارهم نالوا التفويض من الله سبحانه وتعالى، فألحوا على الرعية بطاعتهم.كما كان يرون طاعتهم واجبة فيما ترضي الله كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه.(**أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم..**)[1].إنهم يحاطون بالأعداء من جميع النواحي، فهنالك العلويين الذين يطالبون بجمعهم في الخلافة ونظموا الثورات، وهنالك الخوارج الذين لا تزال فيهم حشاشة روح للقتال، ثم هنالك كثير من المنافقين التابعين لحركات مناوئة شكلت خطراً على الخلافة.كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بعد وفاته الرسول ﷺ يتحاورن إلى وحدة صفهم، فيعتصمون بها كلما الم بهم الخطب في مسائل السياسة والحكم.

وهنا في هذه العجالة نذكر نماذج من الخطب، بغرض بيان أثر وحدتهم، كل ذلك في إيجاز غير مخل بعرضه؛ لأن الغرض من أراد هذه النماذج تأكيد على مبدأ الذي سقيت من أجله.

خطب عمر إذ ولي الخلافة صعد المنبر حامداً الله وأثني عليه قال: (**يا أيها الناس إني داع فأمنوا اللهم إني غليظ لأهل طاعتك بموافقة الحق بثغاء وجوهك والدار الآخرة، وأرقني الغلطة والشدة على المراحل وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم، اللهم أني شحيح فسخي في نوائب المعروف فقصد من غير صرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدارة الآخرة، والهم أرزقني فحض النجاح ولين الجانب للمؤمنين اللهم أني كثير الغفلة والنسيان فألهمني ذكرك على كل حال وذكر الموت في كل حين، اللهم أني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالسنة الحسنة التي لا تكون إلا بعزتك وتوفي قط، اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني والمحاسبة لنفسي وإصلاح الساعات والحذر من الشبهات اللهم أرزقني التفكر والتدبر لما يتلو لساني من كتابك والفهم له المعرفة بمعانية والنظر في عجائبه**

---

(1) خالد محمد خالد: خلفاء الرسول، طبعة دار الفكر، بيروت، سنة ١٩٨٣م، ص:٨٩.

والعمل بذلك ما بقيت أنك على كل شيء قدير: وكان أخر كلام أبي بكر الـذي إذا تكلم بيه عرف إنه قد فرع من الخطبة، ألهم أجعل خير زماني أخر وخير عملـي خواتمه وخير أيامي يوم ألقاك) [1].وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عـرف أنه فرع من الخطبة اللهم لا تدعني في غمرة ولا تأخذني على غرة ولا تجعلنـي من الغافلين.

ولما ولي(عثمان بن عفان) رضي الله عنه: قام خطيباً فحمد الله وأثني عليه وتشهد ثم أرتج عليه فقال: **(أيها الناس إن أول كل مركـب صـعب وإن أعـش فستأتيكم الخطب على وجهها وسيجعل الله بعد عسر يسرا)** [2].

خطب الإمام(علي كرم الله وجه)،عند ظهور نتيجة التحكيم، فقال: **(الحمـد الله وان أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدثان الجليل،واشـهد أن لا الـه إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ،إما بعد فان المعصية تورث الحسرة وتعقب الندم ، وقد كنت إمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري، ونحلـتكم رأي ، لـو كـان لقصير أمر ! ولكن أبيتم إلا ما أردتم، فكنت إنا وانتم)** وقد تضمنت خطب الخلفاء الراشدين جميعها الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وترك الـدنيا والإقبـال علـى الآخرة ، ويجب أخذ العبرة والعظة بمن مضى من الناس.والأسلوب سهلا لأغمـد فيه، ومعانيها معبرة، وألفاظها قوية، مع قلة ألفاظ العربية، كمـا كانـت تقتـبس بالقران الكريم، وكان الخلفاء الأربعة أهم خطباء عصر صدر الإسلام[3].

مطالبة الرغبة بالسمع والطاعة، من خطبة عليه السلام خطبها بصفين: **(أمـا بعد فقد جعل الله سبحانه وتعالى لي عليكم حقاً بولاية أمركم، ولكـم علـى مـن الحق مثل الذي لي عليكم[4]،لا يجرى لأحد إلا جري عليّ ولا يجـري علـيّ إلا جرى له. ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليـه لكـان ذلـك خالصـاً لله**

---

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج٢، مرجع السابق،ص:١١٥.

(2) لابن قتيبه، عيون الأخبار، ج٢، مرجع السابق،ص:١٢٨.

(3)أبي جعفر محمد بن جرير الطبري :تاريخ الرسل والملوك، ط١، ١٩٦٣م، دار المعـارف بمصـر، ج٥، ص:٧٧.

(4) الذي له عليهم الحق وهو وجوب طاعته، والذي لهم عليه من الحق هو وجوب معدلته فيهم.

سبحانه وتعالى دون خلقه؛ لقدرته على عباده، ولعدله في كل ما جــرت عليــه صروف قضائه؛ ولكنه سبحانه جعل حقه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب، تفضلاً منه، وتوسعاً بما هو من أهله[١].ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض، واعلم، ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي، وإذا غلبــت الرعية وغليها، أو أجحف الوالي برعيته؛ اختلفت هنالك الكلمة وظهرت المعــالم والجور وكثر الأدغال في الدين وترك محالج السنن فعمل بــالهوى،ولا لعظــيم باطل، فهنالك تزل الآبار، وتعز الأشرار،ونعظم تبعات الله سبحانه عند العباد)[٢].

إذا انتهت الحرب حاسب الوالي القائم كل عامل مــن عمــال الســوء علــى مساوي أعمالهم، وإنما كان الوالي من غيرها لأنه بريء من جرمها[٣].

قال: ابن جرير الطبري، من طريق سيف عن بدر بن عثمان عن عمة قال: لما بايع أهل الشورى عثمان خرج، وهو أشد كآبه فأتي منبر الرسول ﷺ فخطــب الناس، فحمد الله وأثني عليه، وصلى على النبي ﷺ وقال: **(إنكم فــي دار قلعــة وفي بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير تقدرون عليه فقد أتيتم صبحتم مشيتم ألا وإن الدنيا قد طوت على الغرور، فلا تقرنكم الحياة الدنيا ولا يقرنكم بالله الغرور واعتبروا بمن مضي ثم جدوا ولا تقفلوا فإنه لا يغفل عنكم أيــن أبنــاء الــدنيا وإخوانها الذين أثاروا وعمرها ومتعوا بتا طويلاً؟ الأم تلفظهم؟ أرمــوا بالــدنيا حيث رمي الله بها واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلاً، والذي هــو خيــر فقال عزة وجل: وأضرب بهم مثل الحياة الدنيا لماء أنزلنها من السماء فــأختلط**

---

(١) الحق أوسع الأشياء في الواصف وأضيقها في التناقض، معناه أن كل أحد يصف الحق والعــدل ويــذكر حسنة ووجوبه وعندما تهاله الفرصة للعمل فقلها يفعل؛ وغيما هو قول بغير عمل.

(٢) تقرير الكلام: أنه لا يجري لأحد شيء من الحق إلا جري عليه مثله؛ وليس أحد من الموجودين بمرتفــع عن أن يجري الحق عليه؛ ولو كان أحد من الموجودين لذلك، لكان أحقهم بذلك اتل مولي سبحانه، لأنه غاية الشرف؛ بل هو فوق الشرف وفوق الكلام والتمام؛ ولكنه سبحانه كما أوجب على العبادات يطيعوه، أوجب على نفسه كرماً وتفضلاً، الثواب واللطف وقبول التوبة والوفاء بالوعد. ومثل ذلك...

(٣) محمد عبد ربه: تحقيق إبراهيم الذين: نهج البلاغة، ج٢، دار الفكر، بيروت، سنة ١٣٨٤ ١٩٦٥م، ص: ٣٣، ٣٤.

بيه النبات الأرض فأصبح هيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء قدير" المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً".أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وصلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[1].

خطب عمر افتتاح مجلس الشورى، قال: **(قد دعتني ثقة الحضرة الفخمة الخديوية لرياسة مجلس شوري القوانين فصرت سعيداً لوجودي بين حضرتكم أيها الذوات والأعيان، الذين اجتمعتم هنا بناء على ما للحضرة الخديوية السنية وللأهالي من الثقة فيكم...! هذا أقول أن من مقتضي وظائفنا النظر في مشروع كل قانون وكل أمر يشتمل على اللائحة الإدارية عمومية تقبل أن يصدر ذلك للقانون أو تلك اللائحة وإن لم تقبل الحكومة رأينا فعليها أن تعلننا بالأسباب التي أوجعت عدم قبولها ويجوز لنا أيضاً أن نطلب من الحكومة تقديم مشروعات والقوانين أو اللوائح الإدارية التي يتراء أنها تأتي بفائدة على البلاد المسلمين).**

علي وعثمان رضي الله عنه وأنهم يقاتلون دفعاً، ولهذا لم يبدأ وهم بالقتال حتى بدأهم أولئك، ولهذا قال لأشتر المخصي: إنهم ينصرون علينا لأنا نحن بدناهم بالقتال. وعلي رضي الله عنه كانا عاجزاً من قهر الظلمة من العسكريين. ولم يكن أعوانه يوافقونه على ما يأمر به، **(نحن إذا بايعنا علياً ظلمنا عسكرة كما ظلم عثمان وعلي لا يستطيع أن يدفع عنا)**[2].

أمير المؤمنين يقول: " إن قوماً زعموا أن البغي كان مناً عليهم، وزعمنا أنه منهم علينا، وإنما اقتتلنا على ألبقي ولم نقتتل "[3] يقول: **(أدفع لنا قتله عثمان نقتلهم به ثم نحن أسرع الناس إليك"، بينما يرى والي الشام أنه ملزم بالمطالبة بإقامة الحد على هؤلاء لأنه هو كبير أولياء عثمان الذي يطالبونه بالقصاص من القتلة. فضلاً عن أن عدم محاسبتهم سيجرى عبرهم إلى فعل مثل ما فعلوا،**

([1]) أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب ،ج١،مرجع السابق، ص:١٩٣.

([2]) ابن تيمية: مناهج السنة، ج٤، مرجع السابق،ص: ٣٨٤.

([3]) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، مرجع السابق،ص: ٣٠٨- ٣١٠.

وأن خطرهم قائم على أولياء عثمان وعامة المسلمين). وان من يصر على تخطئة أعلام الصحابة وقادتهم، ويدافع، ومن خلاف بين الصحابة يخرجهم فيه عن ثوابت الدين وضوابط الأخوة، ويرد تأويلاتهم وتفسيراتهم لأحداث تلك المرحلة؛ ما هو إلا جاهل بفقه وفهم ذلك الجيل، أو أنه ممن ناصبهم العداء وأسهم في إحدى موجات الغزو الفكري الذي تلونت أشكاله، وتعددت أطرافه من داخل الأمة وخارجها، وبالتالي فإن ما يورده من شبهات لا يعدو ما يهاجمهم به المستشرقون والعلمانيون، ومن واقعهم في أهدافهم ونواياهم في المبتدعة والمحرفين والخوارج ومن سار في ركابهم". قال ابن كثير: ولم يزل الرسولﷺ يتردد والناس خائفون عن القتال حتى أنسلخ الأشهر المحرم من هذه السنة **(٣٧هـ)** ولم يقع بينهم صلح فنادي منادي أهل الكوفة عسكر أهل الشام عند غروب الشمس، إلا أن أمير المؤمنين يقول لكم: إني قد أقمت عليكم الحجة فلم تجيبوا وإني قد نبذت به فنهض عن تلك فعيباً الجيش[١]؛ ثم التقي الناس يوم الأربعاء، " فكان الصلح ليلة السبت لعشر خلون من صفر"، (وكانت أيام صفين كلها موافقة ولم تكن هزيمة بين الفريقين إلا على حامية ، وكان من آدابهم في ذلك أن لا تجهزوا على جريح ولا يتبعوا مولياً ولا يصلبوا قتيلاً ومن ألقى فهو أمن[٢] .كانوا يصلون على القتلى ويستغفرون لهم. فذكر إ بن كثير أن أهل الكوفة كانوا في مائه وعشرين ألفاً فقتل منهم أربعون ألفاً، وأهل الشام في ستين ألفاً فقتل منهم عشرون ألفاً[٣]. وذكر ابن أبي شيبة إنه خرج الإمام من الشام في بضع وثمانين ألفاً[٤]. وقيل: " كان علي في خمسين ألفاً وقيل في تسعين ألفاً، وقيل: كانوا مائة ألف، وكان الإمام في سبعين ألفاً[٥].وذكر المسعودي أن: قتلى الشام كانوا تسعين ألفا[٦].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، مرجع السابق، ص: ٢٧٢.
(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، مرجع السابق،ص: ٣١٤.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، مرجع السابق، ص: ٢٨٨.
(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، مرجع السابق، ص: ٣٨٤.
(٥) الذهبي: عهد الخلفاء الراشدين، مرجع السابق، ص: ٥٤٢.
(٦) المسعودي: مروج الذهب، ج٢، مرجع السابق، ص: ٤٠٤.

أن أسباب القتال في صفين، هي أسباب قتال فتنة الشيئية الثانية...ويوكل أمير المؤمنين لمن عرض عليه أن يرجع بأهل العراق: إن هذه النصيحة وشفقة ولقد أهمني هذا الأمر ولسهروني[١].ومن ذكر أن هنالك عدداً من أهل بدر شهدها فقد أخطأ، أتضح ذلك في المبحث تصور الصحابة للفتنة، وما الإمام : (شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلاً فقال: " إن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمانﷺ فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم[٢]. إن الإشفاق على المسلمين في الجهتين كان يستشعر الجميع، فيما سوى، يظهر ذلك في قول كعب بن جعلي الثعلبي شاعر أهل الشام في جزة، قبيل يوم صفين حين قال:

أصبَحَنَّ الأمَةَ فَي أمّرٍ عَجَبٍ * والْمرَبّكَ مَجّمّوعٌ إذَا لُمْنُ غُلْبِ**

أَقُولَ قَوْلاً صَادِقاً غَيْرَ كَذْبَ* إنَّ غَداً يُهلَك أعلامَ العَربَ**

بَعَدَ الجَمَالَ والحَيَاة والحسْبَ * يَا رَبِ لا تَموز بِنَا ولا تَصَبَ**

من خلع الأنداد طراً والصلب[٣].

ولهذا فإن الروايات التاريخية عن كثرة المشاركين في القتال يوم صفين وعن عدد القتلى قد يكون مبالغاً فيها جنه. تلك المعركة الفاصلة التي استمرت ثلاثة أيام والله أعلم، ولا شيما أنهم متكافئون في التدريب والتسليح، ولا شك أن ضعف شهداء القادسية من المسلمين، وعلى أيدي المسلمين. كل هذه الأمور وغيرها هيأت النفوس لقبول دعوة الصلح ومساندتها وحل المسائل العالقة التي سببت القتال، بالحوار المستند إلى كتاب الله تعالى[٤].والذي يمكن التنبيه إليه هنا أن فكر رفع المصاحف التي أنتجت الصلح قد تلون بدايتها من أهل الكوفة، إذ أن ميول الصلح كانت ظاهرة عندهم بل لم يعارضها سوى الشيعة فلما أشتد القتال يوم صفين وتأخرت الصلاة عن أوقاتها[٥].

وقال الإمام علي كرم الله، شعراً يصف الحال بعض قتال صفين قال:

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٢، مرجع السابق،ص: ٢٠٨.

(٢) انظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، مرجع السابق، ص: ٢٦٤.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٥، مرجع السابق، ص١٨٣.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٧، مرجع السابق،ص: ٢٨٥.

(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٢، مرجع السابق، ص:٢١٤.

قَدْ أَوْدَتْ الَحَرْب بالَعَالَمَــين * وأهلَ الحَفَائظَ والنَـــجْدَة**
فَلَسْنَا ولَسُتَمَ مَنَ المَشْركَين * ولا المجَمَعين عَلَى الرِّدَة**
ولَكنّ أُنَاس لَقُواْ مِثْــــلَهُمْ * لَنَا لمِــــــــدَة ولَهُمْ عِدَة**
فإنْ تَقَبَلوهَا فَفَيَهَا البَـــــقاءُ * وأمِنْ العْريقَين والبــلدَة**
وأنْ تُدُفعوهَا فَفَيَها الغِنَاء * وكَـــــلَ بَلاءُ إلى الُمَدَة**[1].

وبقيت فكرة الصلح هي السائدة في الكوفة بعد عودة أمير المؤمنين رضـــي الله عنه قال: اتهموا الرأي فلقد رأيتني يوم، وإن أعداء الصحابة لا يعلمون بنصوص القرآن، لأن القرآن دفع لهم في اليوم البصرة بأمر من أم المؤمنين الصديقة رضي الله عنها وحقها ومقامها في نفوس المؤمنين وعمر رضي الله عنهما، ولكنـــه لـــم يوقف زحفهم ولم يشفع عندهم القرآن ولا حرمة أم المؤمنين شيئاً في ذلك.

بل إنهم لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا المصحف هدفاً لسهامهم حتـــى أصـــبح كالقنفذ لكثرة ما أصابه منها وأم المؤمنين تذكرهم بالله والـــدار الآخـــرة وهـــم لا يزدادون إلا إصرارا على الفتنة، فكيف يسمعون لدعوة عدوهم اللدود عمر بـــن، كما يزعمون لو لم يكن الصلح رغبة جامحة عند أهل الكوفة؟. فلو كانوا يجعلون القرآن لأجلوا حملته. قوة جيش الشام الذي كان على رأسه قادة أقوياء عمر رضي الله عنه. انكشاف أمره في جيش الكوفة الذي ظهر في قول الإمام له: **(إنـــك والله رأيت ظفراً)**[2] وذلك عندما قال لهم أجيب إلى الصلح عندما اقتربنا مـــن الظفـــر. فرفع المصاحف في صفين كان عملاً رائعاً. تـــوج باســـتجابة أميـــر المـــؤمنين السريعة دون أي تردد، فما أن شاهد المصحف مدفوعاً حتى أجاب إليه بل قـــال: **(نعم أنا أولي بكتاب الله منكم)**. ولهذا فإن هذا الموقف يعد أهم حدث في صفين، لما جر إلى المسلمين من منافع الصلح وحقن الدماء، دهوروا الآخر،أثلج صـــدور المؤمنين ورفع رؤوس المجاهدين ووصل كل الجسور والـــروابط التـــي قطعهـــا الغوغاء والمنافقون، منذ أن تطاولوا على أمير المؤمنين الشهيد عثمانﷺ.ونتيجـــة لذلك عادة الأمة إلى صحوتها وأنجزت بعد فترة وجيزة وحدتها بعد أن صـــحت

---

(1) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٢، مرجع السابق،ص:٢٢١ .

(2)محمد بن ألجرير الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، مرجع السابق، ص: ٦.

من هول المصاب الذي طعنها به، والغوغاء الذين سفكوا الدم الحرام دون وجـه حق.ولو لم يكن أهل الشام وأهل الكوفة قد أحسوا بخطورة ما. ليقادون على إليـه من استمرار الفتنة، كما تمسكوا بدعوة الإصلاح التي أبطلوا بها الحرب.ولعل ذلك كان بداية لعزيمة أمير المؤمنين علىﷺ في العمل على معالجة معضلتهم وطمس دعوتهم، فتتبعهم بإقامة الحجة والدليل عليهم. فلما اتفقوا علـى الحكمـين كتبـوا الكتاب التحكيم.(**...علي بن أبي طالب قاضي على أهل العراق ومن كان معه من شيعته، وقاضي،على أهل الشام ومن كان معه من سعته، أنا نتـرك حكـم الله، فالسنة العادلة تجمعها،وهما على أموالهما وأنفسهما وأمالهما والأمة أنصارهما على الذي يقضيان عليه ،وعلى المؤمنين والمسلمين والطافيتان كلتاهما، عليهما عهد الله وميثاقه أن يفيا بها في هذه الصحيفة على أن بين المسـلمين الأمـن ووضع السلاح وعمر بن العاص عهد الله وميثاقه ليحكمان بين الناس بما فـي هذه الصحيفة،على الفريقين جميعاً أن يرجعا سنة، فإذا ،السنة إن أحبا أن يـرد ذلك رداً، وإن أحبا زاد فيهما ما شاء الله، اللهم إنا نستنصرك على من ترك مـا في هذه الصحيفة. إن توفي أحد الحكمين**)[1].

واضح من هذه النصوص أن مسألة الخلافة لم تذكر في الوثيقة، لأنها مسـألة مفروغ منها وقد انعقدت ببيعة أهل الحل والعقد من الصحابة وهم اعتزل أكثـرهم الفتنة ولم يشارك علياً في حروبه، وقد يعارضه فيها، ولكن لم يذكر أن أحداً مـن الصحابة رضي الله عنه،اعترض على أهليه علي في الخلافة.

([1]) حميد الله: الوثائق السياسية، مرجع السابق، ص: ٥٣٨.

المبحث الرابع

الخصائص الفنية والفكرية للخطابة السياسية

أولا :الخصائص الفنية،الخصائص الفنية للخطابة السياسية لم يقف عليها الباحث كلها لآن كثيراً من الخصائص نجدها في أقسام الخطابة الأخرى،ونجد في عصر الخلفاء الراشدين ما يلي.

نجد أن الطبع الحضري لا يخلو من العيوب' كتفشي اللحن ولكننا لا نجد ذلك في الخطابة السياسية بصورة تجعلنا نقف عندها، إذ أن الخطباء كانوا يحرصون على إعداد خطبهم مسبقاً فضلاً عن اشتغال اغلبهم بالعلم والأدب مما يجنبهم خطر الانزلاق في هاوية اللحن. ولكننا نجد أن ظاهرة والارتجاج، فأحيانا يرتج على الخطيب ويفر الكلام منه، ثم أخذت الخطابة السياسية تخطو نحو الذبول وتهبط درجاتها في الاضمحلال والانحطاط. وكل النماذج في هذا الفصل تعتبر الصورة الميسرة للخطابة السياسية التي تتميز عن الطابع الحضري القائم على الوضوح، والتأنق والإسهاب، والصنعة، والتكلف أحياناً.

ثانيا:الاستشهاد بالشعر : التمثل بالشعر عموماً سمة امتازت بها الخطابة العربية عما سواها، فمنذ العصر الجاهلي كان الخطباء يستشهدون بالأشعار دعما لأرائهم والتأكيد للمعاني الفكرية التي يريدونها. وفي عصر الخلفاء الراشدين كثير من الخطباء يستشهدون بالشعر في خطبهم السياسية ،فمنهم من كان يستهل خطبته بالشعر ، وهذا في الغالب يكون في مواضع التهديد أو تأتي في مواطن الشدة والالتفات إلى بعض المفاهيم والأفكار ، وكذلك مما ينسب إلي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب _رضي الله عنه ما جاء فيه إنه قال جزا[1].قال:

لأهَمَ إن الحَارَثُ بَنَ العَمَة *** كَانَ وَفَيَا وبَنَا ذَاخرَة.[2]

اقبَلَ في مِهَامَهَ مَهَـمَة[1] *** كَلَيَلَة الظَلَمَاء مُدَلَـهَمَة

([1]) هو قيس بن مكشوح شاعر مخضرم، كان سيد قبيلة في الجاهلية، أسلم فصار صحابياً وأكن شجاعاً فارساً، خاض كثير من حروب المسلمين مع الفرس والروم، وأبلي في القادسية بلاء حساً، توفي سنة ٣٧هـ.

([2]) لأهم: أي: بالله، الذمة: العهد.

بَيْنَ يُوسَفَ ورَمَاحَ جمَةَ[٢] *** يَبْغَي رَسَوَل الله فِيَما ثَمَةَ

توالت الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين الثلاثة أبي بكر ، وعمر وعثمان ، فوصلت شمالا إلى مشارق القسطنطينية وشرقا ، على ظهورها فرسان على وادي القرى وقبائل كلب حتى وصلت إلى الشام،وجاء حول نسبة هذا رجز إلى الإمام علي رضي الله عنه:(قال إبن إسحاق:كانت تلك الفتوحات غنية بالشعر الحماسي الجاد [٣].فقال:

جَلْبَتَ[٤] الَخْيَلَ منْ صنْعَاء تَرَدَي * بكَلَ مُدَجَجَ[٥]. كَالْلِيثِ سَامِي**

إلىَ وادَيَ القَرَىَ فَدِيَار كَلْـب[٦]. * إلى الَيُرمَوَك فَالبَلَد السَامَـي**

وجئَتَ القَادسَـيَة بَعَد شَـهْرَ * مَـسَوَمة وروادها دوَامَـي**

فنَاهضْنَا هُنَالكَ جَمَعَ كِـسَـرى * وأبْنَاء المَـرَازبَة الكِـرَامَ**

(علي بن أبي طالب) فقال:**(قالها رجل من المسلمين يوم أحد غير علي فيما ذكر لي أهل العلم بالشعر ولما أراد أحد منهم يعرفها لعلي)** [٧]ولكننا نعلم مدى افتتان العرب بالشعر وما يبعثه في نفوسهم من التأثير والإعجاب خاصة إذا جاء الشعر موافقا للكلام جرياً معانيه. قال أبو جعفر الأندلسي[٨].

لا تُعَادُ النَاسَ فِي أوْطَانَهم * فَلَمَا يَرعَي غَرِيَب الَوطَنَ[٩].**

وإذا ما شَئَت عَيشَا بَيْنَهُمَ * خَالِـقَ النَاسَ بِخُلْقٍ حَسَنِ**

([١]) المهام: جمع مهمة، وهي: المفازة البعيدة، وكذلك هي: الغلاة والبلدة المقفرة، ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، مادة (مهمة)، ص: ٢١٢، ٢١٣، ليلة مدلهمة، أي منظمة، الجوهري، الصحاح، ج٥، مادة (دهم)، ص: ١٩٢١.

([٢]) جمة: هي من الجم: وهي الكثير من كل شيء، ابن منظور، لسان العرب، ج٢، مادة (جم)، ص: ٣٦٥.

([٣]) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، مرجع السابق، ص: ١٦٦.

([٤]) جلبت: سقت الخيل الجيل من صنعاء.

([٥]) مدمج: الفارس المدجج: الكامل السلام.

([٦]) وادي الفري وديار كلب: مواضع في شمال جزيرة العرب.

([٧]) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، مرجع السابق،ص: ١٦٥.

([٨]) هو أديب قوي الإدراك، أجاد في فني النظم والنثر، وجرت له مع لسان الدين بن الخطيب مباحثات ومراسلات، وله ديوان شعر، توفي سنة ٧٧٢هـ.

([٩]) يرعي عريي الوطن: أبي بالإحسان.

الأسلوب التصويري : وهو من أنجح أساليب الخطابة لإثارة مشاعر المستمعين وتحريك عواطفهم حيث يعتمد على إرادة الصور الخيالية التي تعبر، وتصوير الأفكار فتبرزها في قوالب رائعة تبعث إلى الإعجاب . والخطيب الماهر هو الذي ينجو هذا المنحى ويعمل على أداء خطبته مستعيناً بالتصوير النفسي، مفسحاً المجال الرحب لخياله يبتدع الصور المتحركة والشاخصة والمعبرة ، ولا سك أن الأسلوب التصويري يقرب المعاني ويقرنها في النفوس أكثر من الخطاب المباشر الذي يخلو من هذه النواحي الفنية. فقد صور حال هؤلاء الملوك في عدم الطمأنينة والاستقرار النفسي بهذا التشبيه المعبر ، حيث شبههم بالدراهم الزائفة والشراب الخاضع فهذه المناظر يروقك ظاهرها، باطنها، كما تتكشف لكى حقيقتها فلردهم الزائف الجميل المظهر قبيح المخبر، وكذلك السراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجد شيئاً .إن هذا التصوير البديع ساق له هذا التشبيه ليدلل به على حال هؤلاء الملوك وعدم طمأنينة نفوسهم ،وقناعته بما تحت أيديها من الملوك ، وكذلك إنه حس خبير نفسي يعرف دقيق هذه النفوس ستة المتطلعة إلى غير ما خولها الله . وقد صورها في صورة هذا التشبيه ليدلل به على عدم رضاها بما عندها واضطرابها،وأن المظهر لا يدل على مخبرها، فالظاهرة يعجب ،والباطن للحزن يجلب .وفي نفس هذه الخطبة مثل قوله: **(وسترون بعدي ملكاً عضوياً، وملكا عنواً، وأمة شعاعا ،ودما مفتاحاً...)** [١] والتصوير البياني في قوله : **(أمة شعاعاً)**إذ فيه تشبيه بليغ لتفرق الأمة وتشتتها . (إذ إن الشعاع بضم الشين،ضوء الشمس، وقيل الشعاع ،عند انتشار ضوئها) . وقال قيس بن الخطي[٢].

طَعَنْتُ ابنَ ألقيْسِ طَعْنَه ثَائِراً * لَهَاَ نَفَذَ لَوْلا الشّعَاعَ فَاضَاتْهَا**

([١]) محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، مرجع السابق، ص: ١٥٠-١٥١.

([٢]) المرجع نفسه، ج٤، مرجع السابق، ص: ١٥١.

وعند الأصمعي[1].لولا الشعاع بضم الشين ، وقال : هو ضـــوء الـــدم وحمرتـــه وتفرقه، ويروى الشعاع بفتح الشين ، وهو تفرق الدم وغيره ، ومنه حديث أبـــي بكر الصديق رضي الله عنه : **(أمة شعاعاً)** أي متفرقين مختلفين[2].

ولا شك أن الأسلوب التصويري والتشبيهات تضفي على الخطبة بعداً جديـــداً، وثوبا قشيباً وطراً فواحاً من غير المعاني، وخلت الخطب من هذه الصورة التـــي تأخذ الناس إلى أفاق الخيال علي أجنحة المعاني.

الأسلوب ألسـجعي : كان السجع منتشراً في الفترة التي سبقت ظهـــور الإســـلام الأول،جاء الإسلام اختفى السجع إلى حد كبير في الخطب إذ نهى رسول الله ﷺعن السجع والكهان تجنبه الناس، واستمرت هـــذه الحـــال، ولكـــن عنـــدما تجـــددت الخصومات بين الناس التي أذكي نيرانها استخدام السجع بصـــورة واســـعة فـــي المتنافرات والجدل والمناظرات. ومن كلمة له عليه السلام يصف فيها أبو بكر بعد الوفاء **(كتب الله للدين يعسوبا ، أولا حين نفر الناس عنه وآجرا حين فيلو فطرت بعبابها،فنزت ببابها، ودهيت بفضائلها، كنت كالجمـــل لا تحركـــه العواطـــف)**[3]. وقوله هذا **(الشعوب :فحل النحل ،تمثل بهي في سبقه الإسلام عيره ،لان الشعوب يتقدم النحل إذا طارق فتتبعه)** [4].

---

(1) قيس بن الخطي بن عدي الأوسي أبو يزيد، شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهليـــة، أدب الإســـلام وتريث في قبوله، فقتل قبل أن يدخل فيه، شعره جيد، له ديوان شعر، الزركشي، الأعـــلام، ج٥، ص: ٢٠٥، البيت في الديوان بتحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، ط٢، ١٣٨٧هـــ– ١٩٦٧م، دار الصـــادر، بيروت، ص: ٤٦.

(2) أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، المعروف بالأصمعي البالي، ولـــد عـــام ١١٢هـــ، وقيل عام ١١٣هـــ، وكان صاحب اللغة والنحو وإماماً في الأخبار والنوادر والملح والغرائب، وهو من أهل البصرة، وقدم بغداد في أيام هارون الرشيد، وتوفي عام ٢١٦هـــ أو نحـــو ذلـــك، (ابـــن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص: ١٧٠–١٧٥.

(3) ابن المنظور: لسان العرب، ج٧، مرجع السابق، مادة (شجع)، ص: ١٣٨.

(4) الزمخشري: الفاسق في عريبي الحديث، ج٢، مرجع السابق، ص: ١٥٦.

في ذلك بالشعوب وأتباع النحل له تشبيه تمثيل وذلك تشبيه لأنه صورة بصورة. قال الرسولﷺ: (رحم الله عبداً قال خيراً فغنم، واسكت فسلم) قال الثعالبي:[1].الحقد صد القلوب ،والفجاج سبب الحروب[2].

تأثير الإسلام: برز الطابع الإسلامي قوياً واضحاً في الخطابة، نجد في الخطابة السياسية بنفس القدر الذي نجدّ في الخطابة الدينية، وهذا راجع لشدة ارتباط السياسية بالدين، مما جعل الخطب السياسية تزدحم بالمعاني والأفكار والأساليب القرآنية.ويأتي الأثر الإسلامي في الخطابة السياسة من بعض الوجوه منها

استمهال الخطب للآيات القرآن: فقد خطب الإمام في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [3].قال: أبو بكر وأصحابه لما ارتدت العرب جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى روضهم إلى الإسلام[4] افتتن الخطباء بجمال التعبير القرآني فاقتبسوا من معانية وحامت أحيلتهم حول صورة فنسجوا خطبهم على منواله، وكان مجال الخطابة السياسية رحباً لإظهار المقدرة البيانية والذخيرة الثقافية...

الحِكم : هي ظاهرة أخرى من الخطابة السياسية وهي إخراج الكلام مخرج المثل، والحكمة أو تضمين الكلام شيئاً من الأمثال، ليكون أوقع في النفس وآكد للمعني، وهي في الغالب قمع في الخطب ذات عبارات قصيرة، فقد خطب في قوله تعالى:﴿ يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [5].هذا: (الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم) [6] وقد اتصف سيدنا أبو بكر الصديق بهذه الحكمة، فمن حكمته وسداد

([1]) الزمخشري:لمرجع نفسه، نفس الجزء والصفحة.

([2]) هو أبو منصور النيسابوري، والثعالبي نسبة إلى خياطة خلود الثعالب وعملها، وكان واحد عصره في العلم والأدب، وله تأليف كثير منها الفقه اللغة ويتيمة الدهر، وشعر جيد، وتوفي سنة ٤٢٩هـ

([3]) سورة المائدة: الآية (٥٤).

([4]) السيوطي: تاريخ الخلفاء الراشدين، مرجع السابق، ص: ٦٥.

([5]) سورة البقرة: الآية (٢٦٩).

([6]) ابن منظور: لسان العرب، ج٣، مرجع السابق،مادة (حكم)، ص: ٢٧٠.

رأيه إنه جمع الأمة بعد أن تفرقت كلمتها، وتبدد شملها بعد موت رســـول الله ﷺ وذلك ما كان منه في حروب الردة[١].قال الإمام عبد الله بن احمد[٢].

قَالَ تَقْلُت إذْ أَتَيْتَ مِـــرَاراً * قُلْتُ ثَقْلْتُ كاهْـلِي بالَأيَادَي[٣].**

قَالَ طَوَلْتَ قُلْتَ أوْلَيْتُ طُوَلا * قَالَ أبْرَمْتُ قُلْتُ حَبْلَ وَدَادَي[٤].**

حرارة الأسلوب: يتسم الأسلوب الخطابي في ميدان السياسة بالعنف والحرارة في أغلب لهجاتها، وهذا يرجع إلى احتدام الصراع السياسي واستعمال العواطف وقوة الانفعال، وخطب المناظرات التي تعتمد على المنطق ومقارعة الحجة بالحجة لـم يخل من حرارة الأسلوب!!. والخطب السياسية بصفة عامة في الغالـب متهيجـة لأنها تتجه إلى العقل وتخاطب الفكر، فهي تعتمـد أولاً وأخيـراً علـى مخاطبـة العواطف والمشاعر. فكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنـه قـال تعـالى: ﴿ حم*تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [٥].خطب عمر في الناس **فقال:(والذي بعث محمداً بالحق لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات، خشـيت أن يسـال الله عنه آل الخطاب)**.أما بعد: فقد بلغني، فيما قدم عليه قولك: " لعل أمير المـؤمنين والله ما شربتها قط، وإنما هو شعر طفح على لساني، وإني لشاعر، فقـال عمـر: أظن ذلك، ولكن لا تعمل لي على عمل أبداً[٦].

الأسلوب العاطفي:يتم ذلك باستخدام أساليب الاستفهام:التهديد والتهكم والتكـرار كل ما من شأنه أن يثير الانفعالات والعواطف، فهدف الخطيب هو إثارة مشـاعر المستمعين واستمالهم وإقناعهم، والخطيب البارع هو الذي يجيـد اسـتخدام هـذا الأسلوب ويعتمد إليه، والخطباء السياسيون استخدموا هـذا الأسـلوب بـدرجات

---

(١) انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ط دار العلم، ص: ٢٢١ وما بعدها.

(٢) هو أبو عبد الله بن أحمد البغدادي: شاعر فكه على المعاني، مقتدر على المعاني التـي يريـدها، كثيـر الهزل، والفحش في الشعر، وله ديوان كبير، توفي سنة ٣٩١هـ.

(٣) الكاهل: ما بين الكفين.

(٤) طولت: أطلت الإقامة، والطول: التفضل والإحسان، أبرمت من معاينها: أمللت، ومن معانيها أحملت فتل الجبل.

(٥) سورة غافر: الآيات (١-٢).

(٦) أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، ج١، مرجع السابق، ص: ٢٥٠-٢٥١.

متفاوتة.مثل ما كتب به علي بن أبي طالب، كتب عن شعيب، وعن سيف، وعن محمد طلحة، قال: وكتب علي بالفتح على عاملة بالكوفة حين كتب في أمورها وهو يومئذ بمكة.

من عبد الله على أمير المؤمنين، أما بعد فإنا التقينا في النصف من جمادي الآخرة بالخيبة فناء من أفنية البصرة، فأعطاهم اللهم عز وجل سنة المسلمين، وقتل منا ومنهم قتلى كثيرة، وعلياء بنت الهيثم، وسيخان وزيد ابنا صوفا، ومحوج. وكتب عبد الله بن رافع. وكان الرسول زفر بن قيس إلى الكوفة بالبشارة في جمادي الأخيرة[1].

من خلال الأسلوب الخطابي تبرز قوة المعاني والألفاظ، وقوة الحجة والبرهان، وقوة العقل الخصيب. ومن ميزات هذا الأسلوب التكرار واستعمال المترادفات، وضرب الأمثال واختيار الكلمات الجزلة ذات الرنين.

ومن الخطبة العاطفية ، خطبة علي بن أبي طالب[2] رضي الله عنه لما أنار سفيان بن عوف[3] على الأنبار[4] وقتل عاملة عليها: **(هذا أخو غامد قد بلغت خيله الانبهار وقتل حسان البكري[5] وأول حيلكم عن مساكها[6] وقتل منكم رجالاً صالحين).** وقد بلغي أن الرجل كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة[7]، فينزع حجلها[8]، وقبلها[9]، ورعاتها[10]، ثم انصرفوا وافرين ما نال

---

(1) لأبي جعفر محمد بن حرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، مرجع السابق، ص: ٦٠.

(2) علي بن أبي طالب: هو رابع الخلفاء الراشدين، واحد السابقين إلى الإسلام، وابن عم الرسول الله صلى الله علبه وسلم، وصهره وقد اشتهر ببلاغته وشجاعته، وتوفي سنة ٤٠هـ.

(3) سفيان بن عوف الأسد: هو أحد بني عامر، وهي قبيلة باليمن، وقد بعثه معاوية لشن القارة على أطراف العراق.

(4) الأنبار: بلدة على الشاطئ الشرقي للفرات.

(5) حسان البكري: هو عامل علي رضي الله عنه على الانبار.

(6) المصالح جمع مسلحة بالفتح: وهي الثغر حين يخشي تروق العدو.

(7) المعاهدة: الذمية.

(8) الحجل: الخلخال.

(9) القلب بالضم: السوار.

(10) الرعاة: جمع رعته، القرط.

رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم، فلو أن رجلاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان به ملوماً، بل كان عندي جريراً. (**فوا عجبا من حد هؤلاء في باطلهم، وفصلكم عن حقكم. فقبحاً لكم وحين صرتم عرضاً يرمي، يغار عليكم ولا تغيرون، وتفزرون ولا تفذون، ويعصي الله...**) فأنظر كيف تدرج ابن أبي طالب في إثارة شعور سامعيه حتى وصل إلى القمة. وقد اشتهر رجال من العرب محمودة فصاروا فيها إعلاماً فجرى التشبيه بهم فيشبه الوفي بالسؤل(١) والكريم الحاكم، والعادل بمصر(٢) والحليم بالأحنف، والفصيح بسحبات، والخطيب بقس(٣) والشجاع بعمرو بن معد يكرب، والحكيم بلقمان(٤) والذكي بغيان.

ثانيا :الخصائص الفكرية: كان الخلفاء الراشدين رضوان تعالى عليهم بعد وفاته الرسول ﷺ يسعون إلى وحدة صفهم،وخاصة في المسائل السياسية والحكم،هنا في هذه العجالة نذكر بقدر ما أمكننا نماذج من هذا النوع عن طريق التحليل، بغرض بيان أثر سياستهم كل ذلك بإيجاز غير مخل بعرضه ؛لأن العرض من إيراد هذه النماذج تأكيد المبدأ الذي سيقت من أجله. وسياستهم فيمن يخلف رسول الله ﷺ ،ومعلوم أن جماهير الأنصار بعد وفاته الرسول ﷺمباشرة انحازت إلى سقيفة بني ساعد ليبايعون أميراً للمؤمنين منهم، ثم تبعهم المهاجرون فيما بعد وعلى رأسهم أبو بكر وعمر، وأخذ ورد حول هذا الأمر، حتى حسم لأبي بكر ﷺ فبويع أميراً على النحو المعروف(٥).حدث كل هذا رسول الله ﷺ مسجي جسده الظاهري على فراشه، . الثري بعد! مما يدلنا على أهمية خلفاء الراشدين عندهم وضرورتها القصوى في توحيد الصفوف. انه بالرغم مما وقع من خلافات أملته المصلحة العامة، ورغم الخيار أنصار الخلافة إلى أخوانهم، والمهاجرون إلى زعمائهم ما

---

(١) هو السؤل بن حيان اليهودي: يضرب بهي المثل في الوفاء، وهو من الشعراء الجاهلية، توفي سنة ٦٢هـ.

(٢) هو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين واحد السابقين إلى الإسلام والأولين، وأشهر بعدله وتواضعه وزهده، وقد نصر الله الإسلام وعزه.

(٣) هو ابن ساعده الأيادي خطيب العرب قاطبة، ويضرب بهي المثل في البلاغة والحكمة.

(٤) حكيم مشهور أتاه الله الحكمة أي القصابة في القول والعمل.

إحسان عباس: الطبقات ألكبري لابن سعد ، دار الصادر، بيروت، سنة١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م، ج٣، ص: ١٨٢.

التأم الصف، وتوحدت القلوب لاستئناف المسير السياسي. سياستهم ابتداء في قتال ما نص الزكاة: البيعة لأبي بكر رضي الله عنه على نحو ما ذكر، فقد كان أهـل المدينة وما جاورها على عمودهم ومواثيقهم، إلا أن قبائل العرب الأخرى .

الزكاة فاختلفت آراء الصحابة رضوان الله عنه في أمر هؤلاء. فكان أبـو بكر الصديق رضي الله عنه يرى: قتالهم، وعدم التهاون معهم وكان جماعة مـن الخلفاء الراشدين على رأسهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرون: عدم جـواز قتالهم، ما داموا يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله ﷺوظل عمر بـن الخطاب يحاجج أبالبكر في جوار قتالهم قائلاً خطب كثيرة: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالهـا فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها وحسابه على الله)**. إلا أن الرد لمـا جـاء قوماً من أبي بكر الصديق سرعان ما أنشرح له صدر عمر ومن معه. قـال أبـو بكر رداً على عمر: (**والله لأقاتل من فرق بن الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حـق المال، والله لو منعوني، وكانوا يؤذونها رسول الله ﷺ لقاتلهم على منعه)**. قـال عمر بن الخطاب:(**فو الله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال**" **هـذا كانوا رضوان الله تعالى عليهم ولذلك سادوا وملكوا الدنيا باسم الله تعـالى فـإذا أردنا أن تحقق ما حققوه فلنقتدي بهم ولنسير على نهجهم**[1].

قال عمر رضي الله عنه ،بعد أن جمع وأوصاهم وخصوصـاً عثمـان وعلي فقال: (**وليخل هؤلاء القوم في بيت فإذا أجمعوا على رجل فمـن حـالفهم فاضربوا رأسه)**. وفي رواية أخرى أنه قال للأنصار: (**أدخلوهم بيتاً ثلاثـة أيـام فإن استقاموا وإلا فأدخلوا عليهم فأضربوا أعناقهم)**. وفي رواية أخرى أنهم لمـا بدأوا يتشاورون وخشي عليهم من الفتنة قال لهم: (**انهلوا فإن حـدث بـه حـدث فليصل لكم صهيب ثلاثة ليال، ثم أجمعوا أمركم فمن تأمر منكم على غير مشورة من المسلمين فأضربوا عنقه)**[2]. وهذه نقول، وينبغي أن تكون نبراساً نهتدي به،

([1]) الحافظ جلال الدين السيوطي :لباب المنقول في أسباب النزول، مطبوع بهامش القرآن الكـريم، الناشـر، مكتبة ميرزا بمكة المكرمة، ج١٢، ص: ٣٤، حديث رقم (٦٩٢٥).

([2])إحسان عباس: المصدر نفسه، ج٣، ص: ٣٤١، ٣٤٢.

لأنها ما خرجت إلا من مشكاة النبوة، ومن نورها الذي غمرهم فأضاء لهم السبيل، وفتح لهم مغاليق الأمور. ومنها ندرك أهمية الوحدة، ولم الشمل، وتراص الصفوف والوحدة، حتى لو أدي ذلك إلى ضرب الأعناق، ويسعي لشق الصف، وانظر معي كيف أن عمر حفظ لهؤلاء حقهم، وفضلهم؟ ولكنه مع ذلك قدم وحدة المسلمين على أرواحهم إذا كانوا سبباً في ذهابهم. ثم كيف كان هؤلاء عزاء هذا الأمر؟ وكيف غلبوا هذه المعاني والمقصر على حقوقهم؟ ولا أقول حظوظهم لأنهم كانوا، وكان المسلمون من ورائهم يومئذ يرون وهم محقون أن لاحق في هذا الأمر سواهم على وجه الأرض.

خطب السياسة بين الخلفاء الراشدين رضوان الله عنهم مر معنا فيما تقدم من هذا البحث كيف كان الخلفاء الراشدين تتعدد وجهات نظرهم في المسألة الواحدة سواء كان ذلك في العقيدة، أم الفقه، أم قضايا حكم الدول والسياسة، وأشرنا هناك: بأن كل ذلك كان محاطاً بسياسة حجم رفيع، وسعة صدر، وسماحة نفس، بعيداً عن كل ما يؤدي إلى الشقاق والفتن والتباغض. وهنا نخصص الكلام عن طريق نماذج وتحليل هذه السياسة. كان الخلفاء الراشدين يختلفون في بعض المسائل السياسية والاجتهادية بناء على ما نقدم في ذهن كل واحد منهما من دليل، وكان ذلك يحدث كما مر حتى في حياة النبي ﷺ، كما في موضوع وفد بني تميم المتقدم وقصة أساري بدر[1]. كما اختلفت الآراء ،وخصوصاً في مجال النوازل والقضية بعد وفاة النبي ﷺكما حدً بالنسبة للأراضي المفتوحة عنوة، فقد قسمها أبو بكر على الفاتحين بينما وقفها عمر على مصالح المسلمين مع ذلك كان بينهما من الاحترام والإخلال والتقدير[2]. لما حضرت أبا بكر الوفاة أرسل إلى نفر من الخلفاء الراشدين يستشيرهم في شأن إسناد الأمر من بعده لعمر، فاستثار عبد الرحمن بن عوف، وعثمان، وعدداً من المهاجرين والأنصار، فسمع بعض الخلفاء بذلك فدخلوا عليه قال قائلاً منهم: (**ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك لعمر علينا، وقد ترى غلظته؟**) ثم قال أبو بكر: (**أجلسوني، أبا لله تخفوني؟**).

([1])إحسان عباس: مصدر نفسه، ج٣، ص: ٣٤٢.

([2])إحسان عباس: مصدر نفسه، ج٣، ص: ٣٤٤.

خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول: اللهم استخلفت خبر أهلك، أبلغ عني ما قلت لكي من وراءك. ثم دعا عثمان بن عفان فقال: **(اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وعند أول عهد بالآخرة داخلاً فيها أني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فأسمعوا له وأطيعوا وإني لم ألو الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً)** [1].

والله ما رأينا رجلاً أقضي بالقسط ولا أقول بالحق ولا أشهد على المنافقين منك بأمير المؤمنين، فأنت خير الناس بعد رسول الله ﷺ فقال عوف بن مالك كذبتم والله لقد رأينا خيراً منه بعد النبي ﷺ فقال: **(من هو بواف؟ فقال أبو بكر، فقال عمر: صدق الله عوف، وكذبتم والله لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك، وأنا أضل من بعير أهلي)**[2]. وأتاه يوماً قوم فأخبروه قوماً اجتمعوا فضلوه على أبي بكرﷺفغضب وأرسل إليهم فأتي بهم فقال: **(يا شر قوم! يا سرحي يا نشر الحصان! فقالوا: يا أمير المؤمنين لم تقول هذا لنا؟ ما سألنا ؟ فأعاد ذلك عليهم ثلاثة مرات، ثم قال بعد: لم فرقتم بين وبين أبي بكر الصديق؟ فو الذي بيده لوددت أني من الجنة حيث أري فيها أبا بكر مد البصر)**. وقال في هذا المقام أيضاً: " خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، فمن قال غير هذا بعد مقالي هذا فهو مفتر وعليه ما على المفتري" أي حد القذف!!. ورأي الرسولﷺ رجلاً يقول: ان هذا خير الأمة بعد نبيناﷺ فجعل عمر يضرب الرجل بالدرة ويقول: كذب لأبو بكر الأخر! لأبوب كركر خير مني ومن أبي، ومنك ومن أبيك" يلتمس سياسة بين علي وأبي بكر وعمر: كان ما بين علي من جهة وأبي بكر وعمر من جهة أخرى ما بينهم من حب ومودة، وإخلال التقرير، وهذا لا يمنع أن تختلف في السياسة آراؤهم واجتهاداتهم في بعض المسائل الاجتهادية في الميادين المختلفة، وقد يصور بعض الناس قديماً وحديثاً هذا الأمر على خلاف ذلك يدفع بعضاً منهم الغرض والهوى، والتعصب للمذهب، ولكن الناظر المنصف يرى من أول وهلة أن الأمر على الخلاف ذلك يشهد لذلك كتب السنة والأثر، والتاريخ، والسيرة،

---

(1) إحسان عباس: طبقات الكبرى لابن سعد، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ج٣، ص: ١١٩-٢٠٠

(2) محمد يوسف الكانز اروي: حياة الصحابة، دار العلم، بيروت، ج٢، ص: ٤٤٩.

والفقه والتشريع. بلغ علياً رضي الله عنه أن ابن سبأ يفضله على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فهمّ علي بقتله فقيل له: أتقل رجلاً إنما وفضلك فقال: **(لا جـــرم لا يسكانني في بلد أنا فيه)**[1]. عن علقم قال: " خطبنا علي رضي الله عنه فحمد الله وأثني عليه ثم قال:**(إنه بلغني أن أناساً يفضلونني على أبي بكر وعمر، ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه ولكني أكره العقوبة قبل التقدم، فمن قـــال شـــيئاً بعد مقامي هذا فهو مفتر، عليه ما على المفتري خير الناس بعـــد الرســـول الله ﷺأبو بكر وعمر. ثم أحدثنا بعد ذلك أحداثاً يقضي الله فيها ما يشاء)**[2].

([1])محمد يوسف الكانز اروي: المرجع نفسه، ج٢، ص: ٤٤٩.

([2])محمد يوسف الكانز اروي: المرجع نفسه، ج٢، ص: ٤٥١.

الفصل الرابع

الخطابة الاجتماعية في خطب الخلفاء الراشدين

وفية أربعة مباحث:

المبحث الأول: العوامل الاجتماعية

المبحث الثاني : أنواع الخطابة الاجتماعية

المبحث الثالث : موضوعات الخطابة الاجتماعية

المبحث الرابع : خصائص الفنية والفكرية

المبحث الأول

العوامل المؤثرة للخطابة الاجتماعية

إن المؤثرات الاجتماعية لم يكن لها شأن في حياة الفن الخطابي في عصر الخلافة إلا ما كان للمؤثرات السياسية والدينية، وذالك ناجم عن خطورة الأحـــداث السياسية والحركات الدينية التي ملأت حياة الناس، واستأثرت بتفكيرهم ونشاطهم. لأن الخلافة – أفسحت مجالاً للخطابة الاجتماعية التي لا يخلو منها عصـــر مـــا _كان منها اجتماعي ومنها ما هو بسبب السياسة والدين. وما من شك أن الخطابة الاجتماعية شأنها في ذلك شأن الشعر تعكس لنا صورة صادقة أمينـــة لأحـــداث العصر والأحوال المجتمع بها، علي أن شأن الخطابة شأن الشعر . فالخطابة ليست ظاهرة فردية كالشعر، إنما هي ظاهرة اجتماعية ترتقي وتنمـــو بارتقـــاء الحيـــاة الاجتماعية . وما من شك في الحياة الاجتماعية في البيئة الحضرية فـــي عصـــر الخلافة كانت أخصب وأنشط من الحياة في البيئة البدوية، لـــذلك أصـــبحت تلـــك الحواضر مثل الكوفة والبصرة ، ودمشق وغيرها من المدن مواطن نشرها لحيـــاة الفن الخطابي في ذلك، وفي هذه المراكز الحضرية نشأ أشهر الخطباء وأفصـــحهم مما أدي آلي تعداد صور الخطابة وأنواعها، لكن بالرغم من ذلك لم تكن البيئـــات الحضرية ملائمة لاكتساب المهارات البلاغية، ولا سميا قد امتزج العرب بغيـــرهم من الأمم بسبب حركة الفتوح والتجارة، وظلت البيئة البدوية موطن البيان الناصح والفصاحة الفطرية علي أننا نستطيع إجمال أهم المؤثرات الاجتماعية في ألآتي.

أولاً: **البيـئة الحضـرية الجديـدة**: تحقق عصر الخلفاء الراشدين نقلـــه حضـــارة جديدة للمجتمع العربي بعد الانفتاح لكبير على العالم الخارجي ،وترفـــق جمهـــرة العناصر من الأمم الأخرى إلى المجتمع وهـــم يحملـــون حضـــاراتهم وثقافـــاتهم وأنشطتهم ،كما ترفقت القبائل البدوية على المدن،

فتركز الخطباء في المدن وأبدعوا في المناسبات الاجتماعيـــة المتعـــددة ، وكانت الحياة الاجتماعية متطورة بعد تدفق الأموال وانتشار الخطب وظهور منابع الثقافة، فاختلفت أنظار الناس للأشياء ورقت أذواقهم واختفي إلي حد كبير جفـــاء البداوة وخشونتها. والخطابة عموماً ظاهرة اجتماعيـــة ليســـت فرديـــة كالشـــعر،

فالخطابة تنمو وترقى بنمو وارتقاء الحياة الاجتماعية وتزدهر بازدهارها. فنضج الخطابة الاجتماعية في عصر الخلفاء الراشدين بتطور المجتمع، ونشطت بنشاط الحياة، ومالت إلي الفخامة وجمال العبارة تمشياً مع اهتمام الناس وأذواقهم الحضرية.

ثانياً: **الدين الإسلامي**: للدين الإسلامي أثر كبير في حياة العرب والمسلمين في جميع مناحيها، وظل يؤثر في الأدب العربي ببيانه الرائع وتصويره البديع، وبمعانيه وألفاظه الموحية، فتأثر الأدباء وفيهم الخطباء بالدين الإسلامي وما فيه من الآيات القرآنية والحديث والأحكام، ومثل قيم وموقف، لأن الدين عموماً لا ينفصل عن حياة الناس، فامتلأت الخطب الاجتماعية بمعاني القرءان وآياته خاصة في خطب المناسبات الداعية لذلك مثل خطب النكاح والصلح والعزاء والتأبين . وكانت للإسلام أثاره الايجابية في الخطابة الاجتماعية في رقي أسلوبها وجودة صياغتها وإضفاء عنصر الوقار عليها، بل صار الاستشهاد بالآيات القرآنية ضرورة يقتضيها العرف والذوق الناقد ، فقد كان العرب يستحسنون أن يشتمل في يوم الحفل على أي من القرءان الكريم[1].

ثالثاً: **سياسة الخلفاء الراشدين**: السياسة التي انتهجها الخلفاء الراشدون في إدارة شئون البلاد كانت لها أثارها المباشرة في ازدهار الخطابة ورقيها .وكان الخلفاء وولاتهم يقدرون الأدب والأدباء ويطلقون لهم الأموال والجوائز، ويقربون المبدعين منهم ،فانطلق الخطباء المجيدون في إعداد الخطب الجديدة في المدح الوصفي وغيرها من الموضوعات التي كانت تجلب لهم العطايا .وكانت حياة الخلفاء الراشدين والخطباء والولاء والأمراء مليئة بالكرم وسعة العطاء عندما ينزل بهم أصحاب الحاجات، فإنهم كانوا يعطون بلا ميزان متى ما أعجبهم أسلوب المطالبة . فازدهرت لذلك خطب طلب العطاء وهي في الغالب تمزج بالمدح والإرشاد.

---

(١) أبي عثمان (الجاحظ)، البيان والتبيين، ج١، ص: ١١٨.

رابعاً: **الثقافات الأجنبيــة**: تأثرت العرب بالأمم الأخرى وبثقافــاتهم المتنوعــة ونجم عن هذا التأثير صراع حضاري كبير، فقد عمل علــى التفــوق العنصــري العربي الذي كان ينظر إليه نظرة،فسارعوا في دراسة البيــان العربــي والعلــوم المختلفة، لتحقق لهم العمل على منافسة العرب(١) وهذا الاهتمام من قبل الأعــاجم بالعلم والأدب حقق لهم وللأدب نجاحاً كبيراً في ميــادين الخطابــة الاجتماعيــة، فالعرب أنفسهم نافسوا هذه الشعوب ليحتفظوا لأنفسهم بالصدارة وعلو الكعب فــي شتي ضروب الأدب. وعليه فان اختلفت صورة الحياة وقيم الأشياء عن نظائرهــا في الصورة السابقة فضلاً عن تطور الحياة المادية والعقلية، والابتعاد عن البساطة البدوية فكان ذلك من عوامل تطور الخطابة، بفضل الثقافــة الأجنبيــة الاســتفادة العرب من الخبرات والتجارب العلمية.

خامساً: **طبيعة الحياة الاجتماعية** :مجتمع الخلفاء الراشدين مجتمع هجين يضم أعراقاً وثقافات مختلفة، فسادت ظواهر اجتماعية معينة اثر فــي نمــو الخطابــة وازدهارها لاعتمادها على العنصر الخطابي .ونتيجة الاختلاط العــرب بــالأمم الأخرى ولعيشتهم مجتمعين ظهرت حركة الشعوبية (٢) بين العناصر العربية وغير العربية، فسادت بينهم روح المفاخرة والتحدي والمنافسة، تبعتها عصبية البلــدان، فأهل كل بلد يفتخرون ببلدهم، ولم يكن الأمر يتوقف عند هذا الحد، بل أحياناً تقــع مناوشات ويقتتل الناس داخل المدينة الواحدة وتعم الفوضى ويدوم الخصــام بهــذا الحال؛ لأن المجتمع الخلافة تسوده روح الاحترام المتبادل، فهنالك خلل اجتمــاعي يقع في مرجعيته إلى عاتق العصبيات والمفاخرات التي ملأت الخطب. وفي فتــرة الأزمات والخصومات العرقية والدينية تتدخل الدولة لتصلح بــين الفئــات التــي تصطلي بنيران الفتن، مما ساعد هذا على ازدهارها خطب الصلح والإصلاح ذات البين .فقد كان لطبيعة الحياة الاجتماعية في عصر الخلافة أثرها في نمو وازدهار هذه الألوان من الخطابة الاجتماعية.

---

(١)أ/ د.صالح بيلوا:الثقافات الأجنبية، ص: ١٧٥، وما بعدها.

(٢) الشعوبية: تعصب العناصر غير العربية لقومياتها التي تنمي إليها أصلاً من حيث عملت على هدم الثقافة العربية وإحلال ثقافات أخرى محلها. راجع الثقافات الأجنبية، ص: ١٧٥ وما بعدها.

سادساً: **التراث العربي القديم**:للعرب تراث قديم وعظيم في شـتى ضـروب الأدب شعراً وخطباً ووصاية وغيرها، تراث عريق ولد في أحضـان الصـحراء موطن البيان العربي الناصع والسلائف الفطرية المتفتقة، فصار هذا التـراث فـي عصر الخلافة مورداً مهماً من موارد الثقافة والمعرفة ساهم نصـيبه فـي رقـي الخطابة. فعندما بدأ اللحن يتفشى في الألسنة نتيجة اختلاط العرب بالعجم وظهور جيل المولدين، أخذ الناس في التأديب الأبناء وتعليم اللغة العربية السـليمة. علـى الرغم من الفارق الثقافي والحضاري بين بيئة الخلافة الراشدة والبيئات التي نشـأ فيها هذا التراث، فأدب العصر الجاهلي مثل الذي أنتج خلال تلك الحقبة من حيـاة الأمة العربية، كان على مستوى عال من النضوج من الناحيـة اللغـة والمعـاني والصياغة، إما الأفكار فهي ترتبط بمقدار الثقافـة فـي كـل عصـر، والحيـاة الاجتماعية في المجتمعات العربية المختلفة متشابهة ومتداخلة، فما زالـت هنالـك منافرات، الوقادات، والوصاية الاجتماعية، النكـاح ، والمـدح ، طلـب العطـاء وغيرها من المظاهر الاجتماعية، ولذا فان استفادة العرب في العصـر الخلافـة الراشدة ومن تراثهم القديم الذي يتعلق بهذه النواحي كان سهلاً وميسوراً وممكناً.
سابعاً: **الوفـود**:منذ مجيء الإسلام بدأت المراكز البدوية شأنها شيئاً فشيئاً، وبدأت تتولى إدارة الحياة، وبقيام مراكز الثقل الاجتماعية والدينية السياسية والعلمية قـد تركزت في الحواضر بصفة واضحة، وكانت القبائل تبعث بوفودها إلى الأمصـار لأغراض شتى، وكان الخلفاء والأمراء يهتمون بهذه الوفود لما لها من أثـر فـي توجيه الحياة السياسة والاجتماعية .

من خطب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ،فهو جالس تحت منبره ، وعليه عمامة سوداء، وهو يقول :**(انظروا هذه الحكومة ، فمن دعا إليها فاقتلوه وان كان تحت عمامتي هذه! فقال له ...أمرت بها أمس وتنهى عنها اليوم ، فأنت كما قال الأول: أكلك وأنا أعلم ما أنت: فقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقال هذا:**

أصبَحْتُ اذْكرُ أرْحاما وآصِرة * بُدلتُ منها هَوِيَّ الرِّيح بالقَصبِ [١].**

إما والله لو إني حين إمرتكم بما أمرتكم به ،ونهيتكم عما نهيتكم عنه ، حملتكم على المكروه الذي جعل الله عاقبته خيراً إذا كان فيه ، لكانت الوثقى التي لا تقع، ولكن بمن ؟ وإلى من ؟ (أريد أن) أوادي بكم (وأنتم دائي) ؛إني والله بكم كناقش الشوكة بالشوكة ، يا ليت لي بعض قومي وليت لي من بعد خير قومي ، اللهم إن دجلة والفرات نهران أعجمان أصمان أبكمان ،اللهم سلط عليهما بحرك ، وانزع منهما بصرك ؛ ويل للنزعة يا أشطان الركية [٢] (أين الذين) دعوا إلى الإسلام فقبلوه ،وقران فأحسنوه، ونطقوا بالشعر فاحكموه وهيجوا إلى الجهاد فولهوا [٣] (وله) اللقاح (إلى) أولادها ، وسلبوا السيوف إغمادها ضرباً ضرباً،(وأخذوا بأطراف الأرض)زحفاً زحفً، لا تباشرون بالأحياء، ولا يعزون على القتلى ولا يغيرون على العلى[٤].

أولئكَ إخوانِي الذاهبُونَ * فحقٌّ البُكاء لهُم أنْ يطيبا[٥].**

رُزقتُ حبيبا على فاقةٍ * وفارقْت بعد حبيب حبيب!**

ثم نزل تدمع عيناه ؛ فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون على ما صرت إليه !

فقال : نعم إنا لله وإنا إليه راجعون !أقومهم والله غدوة ويرجون إليَّ عشية مثل الظهر الحية، حتى متى ؟وإلى متى ؟حسبي الله ونعم الوكيل ! [٦]

خطب العزاء لأمير المؤمنين رضي الله عنه: **(الحمد لله الأحد الصمد، الواحد المنفرد، الذي لا من شيء كان ولا من شيء خلق إلا وهو خاضع له ؛ قدرة بان بها من الأشياء وبانت الأشياء منه ، فليست له صفة تنال، ولا حد يضرب له فيه الأمثال،كل دون صفته تحبير[٧].اللغات،وضلت هناك تصريف**

---

(١) الآصرة :ما عطفك على غيرك من رحم ، أو قرابة ، أو مصاهرة أو معروف.

(٢) الزكي جمع الركية :البئر لم تطو .وناشطان جمع شطن : الحبل الطريق يستقي به من البئر.

(٣) وله :تحير من شدة الوجد .

(٤) أحمد بن عبد ربه:عقد الفريد ،ج٢؛ ص:١٤١.

(٥) أحمد عبد ربه: عقد الفريد، ج٤، ص:١٤١.

(٦) أحمد بنا عبد ربه / عقد الفريد /مجا٢/ص:١٤٣.

(٧) حبر الشيء :زينه ونمقه.

الصفات وحارت دون ملكوته مــذاهب التفكير،وانقطعــت دون علمــه جوامــع التفسير، وحالت دون غيبه ملكوته مذاهب التفكير، وانقطعت دون علمه جوامــع التفسير، وحالت دون غيبه حجب تاهت في أدنى دونها طامحات العقول ؛ فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن؛ وتعالي الذي ليس له نعــت موجود، ولا وقت محدود؛ وسبحانه كما وصف نفسه ، بالوا صفون لا يبلغــون نعته؛ أحاط بالأشياء كلها علمه وأتقنها صنعه، وذللها أمره ، وأحصاها حفظه ؛ فلا يعزب[١] عنه غيوب الهوى،ولا مكنون ظلم الدجى[٢]، ولا ما فــي الســموات العلى إلى الأرض السابعة السفلى؛ فهو شيء منها حافظ ورقيب، أحاط بها الأحد الحمد الذي لم يلد ولم يولد ،ولم يتغير صروف[٣] إلا زمان، ولا يتكاره[٤] صنع شيء منها كان؛ قال لما شاء أن يكون: كن !فكان؛ ابتدع ما خلــق بــلا مثــال سابق، ولا تعب ولا نصب؛ وكل عالم من بعد جهل يعلم، والله لــم يجهــل ولــم يتعلم؛ أحاط بالأشياء كلها علماً، ولم يزدد بتجربتها خبراً؛علمه بها قبــل كونهــا كعلمه بها بعد تكوينها ؛لم تكونها لتسديد سلطان،ولا خــوف زوال ولا نقصــان ،ولا استعانة على ضد مناوئ،ولا ند متكاثر، ولكن خلائق مرب وبون ، وعبــاد آخرون فسبحان الذي لا يؤوه خلق ما ابتدأ، ولا تدبير ما برا، خلق ما علم ما أراد، ولا يتفكر على حادث أصاب، ولا شبهة دخلت عليه فيما أراد، ولكن قضاء متقن،وعلم محكم وأمر مبرم، وعلى الحفظة الكرام الكاتبين، وصــلي الله علــى أهل السموات وأهل العارضين من المؤمنين) [٥].

يرشد على الصبر والتحلي بما أصابه بقدره الله سبحانه وتعالى ،والنبرة علــى الغافل،وعلموا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة

---

(١) عزب الشيء :بعد وخفي .

(٢) الدجى : سواد الليل وظلمته .

(٣) صروف الدهر : نوائبه ويحدثانه .

(٤) بتكاره :يتعبه.

(٥) أحمد زكي صفوت؛ جمهرة الخطب،ج٢،ص:٥٥.

المبحث الثاني

أنواع الخطب الاجتماعية

ازدهرت الخطابة الاجتماعية في هذا العصر نتيجة لنشأة الحياة الاجتماعية في مجتمع الخلافة الراشدة الذي امتزج فيه العرب بغيرهم من الأمم، وانصـــهرت فيه الثقافات المتعددة، وتغيرت الحياة الاجتماعية البدويـــة ذات الحـــدود الضـــيقة والمفاهيم الساذجة إلى حياة مدنية أوسع مفهوماً وأكثـــر تحضـــراً، اهـــتم النـــاس بمظاهرها الاجتماعية المتعرفة، فكانت الخطابة منساقة وراء الإحداث الاجتماعية. وظلت الخطابة الاجتماعية مزدهرة لتوفر دواعيها وأسباب تطورها، ولكن الخطابة الاجتماعية لم تؤد دوراً كبيراً كالذي أدته الخطابة السياسية فـــي الحيـــاة العامـــة وتوجيه الدولة، ومن أهم أنواع الخطب الاجتماعية في هذا العصر ما يلي :

خطب النكاح : كان عقد النكاح في العصر الجاهلي يتم وقف مراســم الخطابـــة متعارف عليه وبمجيء الإسلام تغير هذا اللون من الخطابـــة، واكتســـب مظهـــراً جديداً يغاير قليلاً المظهر الجاهلي القديم ، وظل هذا المظهر الجديد مسيطراً عليه في العصور التالية ، ومن ذلك أن السنة كانت تقتضي أن يخطب وهو جالس ولم تكن الخطباء في العصر الإسلامي يخطبون جلوسا إلا في خطب النكـــاح ، وقـــد روي الجاحظ قال: **(لم تكن الخطباء تخطب قعوداً إلا في خطبة النكاح)** [(١)].

ومن تلك السنن أيضا يطيل الخطيب خطبتـــه ويقصـــر مـــن يجيبـــه مـــن أهـــل المخطوبة[(٢)].وهذه الإطالة تقتضي الإجادة وإخراج الكلام في مواقعه ، وهذا ممـــا يجعل خطب النكاح من أصعب الخطب، حيث يجد الخطيب مشقة فـــي إعـــدادها وتحبيرها وإخراجها بالصورة اللاحقة المرضية ، فلا بد للخطيـــب مـــن تزكيـــة الخاطب والرفع من شأنه، وربما يجره ذلك أن يمدحه بما ليس فيه ،وهو على كل حال من أصعب المقامات التي يقومها الخطباء ، وها هو الخليفة عمر بن الخطاب الذي أثر عنه الفصاحة والبلاغة في النقد والخطابة يقول : **(تصعدني كـــلام كمـــا**

---

(١)أبي عثمان (الجاحظ): البيان والتبيين، ج١، ص: ١١٨.

(٢)أبي عثمان (الجاحظ):المرجع نفسه، ج١، ص: ١١٩.

تصعدني خطبة النكاح)[1]. واستمرت خطب النكاح في هذا العصر من أصعب الخطب وأشد على الخطباء !! وقد سارت الخطب في هذا العصر على هذه السنن رغم تطور الحياة وازدهارها، وأخذ الناس بأسباب التقدم والرقي في شتى المجالات، إلا أن ذلك لم يمس التقاليد والسنن المعمولة بها في خطب النكاح؛ لأن الزواج في الحقيقة غير قابل للتغير أو تطور إلا بعض المراسم الشكلية المصاحبة له، خبر عمل كتاب الله قال تعالي :﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

والملاحظ في خطب النكاح في هذا العصر أن الخطباء يقومون ويهتمون بإعدادها وإخراجها ويرجع ذلك جملة، الأسباب :أولها : طبيعة الحياة في هذا العصر وما فيها من الترف وحب التأنق والميل إلي الأبهة والاهتمام بالمظاهر، والمشقة التي يلقاها الخطب .

ثانيها : المنافسة الكبيرة بين الخطباء في نيل الشهرة والتفوق، وعظمة المناسبة وجلالها ودقة الموقف الخاطب، وما يستدعي ذلك تزكيته وإظهاره في أبهى صوره، وفي إطار من الثناء والمدح تستطيع حوله أضواء من السيرة الحسنة والتاريخ المجيد[3].

الخطب القضائية:عرف القضاء الخطب والمخاصمات في عصرهم الجاهلي القديم حيث كان يقوم بها زعماء القبائل وحكمائها، ولكنهم لم يعرفوا الخطابة القضائية بصورتها الراقية والمنطقة إلا في العصر الحديث، ومع ذلك كانت الخطابة القضائية تؤدي دورها خلال العصر الجاهلي مروراً بصدر الإسلام... ولم تكن النظم القضائية في هذا العصر تختلف اختلافاً كبيراً عن النظم القضائية في العصور السابقة لها، ولذلك لم تختلف الخطب القضائية عن سابقتها كثيراً سوى في تأثرها بشتى من المنطق والجدل، وهذا راجع لتأثر الثقافات المتعددة.

---

(1)أبي عثمان (الجاحظ)،المرجع السابق، ج١، ص: ١١٧.

(2) سورة النور: الآية (٣٢).

(3)محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ج١١، ص: ٣٤٧.

والصفة البارزة والمميزة للخطابة القضائية في هذا العصر جنوح أغلبها إلى جمال التعبير والتأنق في العبارة وذلك في السجع وغيره من الفنون البلاغية، وهذا الاهتمام بجمال التعبير يرجع للأسباب التالي:

أولها: الخلفاء والولاة يمثلون أعلى السلطة القضائية في البلاد، واعتماد القضاة المهتمين والمتعلمين، على الذكاء والفطرة والمقدرة على واعتماد المتهمين على ذلك أكثر من القضاة.فشهدت هذا العصر ورغم حجم الخصومات العديدة التي اندلعت بين أطراف عدة فقد ظلت خطب الصلح عن التغيير في جوهرها، ومن ثم لم تكن لخطورة الأحداث الاجتماعية وأثرها في التغيير نظم الخطابة بل ساعدت على ازدهارها وتطورها.

ومن الخطب التي قيلت في عقد الصلح القبلي، خطبة الصلح التي عقدت بين قبيلتي ربيعة ومضر[١]، وكان الخلاف بين القبيلتين قديماً دام قرابة مائة عام.

ومن الخطب التي قبلت في الصلح بسبب الخصومات العنصرية تلك التي قيلت في الصلح بين العرب والأتراك حين شجر خلاف بينهم فتدخلت الخلافة وعقد الصلح بينهم وأزيلت أسباب الخلاف[٢].ومن الخصومات الدينية الرهيبة التي دامت لعشرات السنين تلك التي كانت بين أهل السنة والرافضة[٣].وفي الخصومات التي كانت بين كبار رجال السياسة في الدولة كانت تعقد لهم مجالس الصلح[٤].

وفي ميادين القتال والنزاعات، كما للسيف والرمح والنبل دورها في حسم المعارك فإن للخطب أيضاً دورها في حسم المعارك !! [٥].

---

(١)الحفظ بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج١١، ص: ٢٨٥.

(٢)الحفظ بن كثير الدمشقي:البداية والنهاية، ج١١، ص: ٢٨٥.

(٣)الحفظ بن كثير الدمشقي:المرجع نفسه، ج١١، ص: ٢٩٥.

(٤)ابن جرير الطبري: تاريخ الطبري: ج١١، ص: ٣٣٩.

(٥)حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج٣، ص: ٥٣.

خطب التعبئة والعزاء :خطب التعزية والتأبين تقال حين يفقد المجتمع شخصاً من ذوي الوجاهة والمكانة، ولكن يجب أن نفرق بين خطب العزاء وخطب التأبين.

أولاً: خطب العزاء: خطب العزاء يتجه الخطيب بخطبته إلى أهل الفقيد فيعزيهم ويدعوهم إلى الصبر والتجلد للنازلة ويعدد فضائل المتوفىَّ، ويطلب الرحمة والمغفرة.وإذا كان الفقيد أحد الخلفاء يحرص الخطيب على الجمع بين التعزية والتهنئة، فيعزي الخليفة الجديد بفقد سلفه الراحل ويهنيئة بتولي الخلافة وصيرورة الأمر إليه.

ثانياً: خطب التأبين: فإن الخطيب يتجه بخطبته إلى الميت فيعدد فضائله ومناقبه وجميل سجاياه.يكثر في هذه الخطب السجع والاستشهاد بالشعر، كما أن من البلاغة أن وأخذ الخطيب في التعزية ويركز على المعاني وجميل العبارات.

الخطب الوصفية:وتعتمد هذه الخطب على مهارة المتكلم ومعرفة أحوال الناس وتاريخهم، وإلمامه الواسع بالكثير من الأشياء التي تتصل بحياة الناس، كما تعتمد على حضور البديهية والاستعداد الفطري إلى جانب الفصاحة وحسن التعبير.

ومثل هذه الخطب يصعب إعدادها مسبقاً فهي تعتمد على الارتجال والقول على البديهة ! إذ يطلب من الخطيب مثلاً أن يصف جماعة من الناس، أو يصف بعض الأقاليم والبلاد، أو يشرح بعض المفاهيم الاجتماعية، إذا لم يكن الخطيب حاضر البديهة متوفر القرينة واسع الإطلاع، عالماً بأحوال الناس والبلدان.

وتعتبر هذه الخطب من الفنون الخطابية الراقية، حيث يحاول الخطيب أن يبدع ما وسعة الإبداع، ويحاول أن يجيد ما أسعفته الإجادة، فهي اختيار لموهبة الخطيب ومقدرته على ارتجال الخطبة الراقية في الساعة الراهنة، ونحن نعلم ما بلغته المنافسة بين الخطباء في نيل الشهرة وحب الظهور، ونعلم أيضاً ما تجلبه روعة البيان من الجوائز والمكافآت.

خطب الوصاية الاجتماعية:هذه الوصاية شائعة في الأدب العربي منذ العصر الجاهلي حيث كان الآباء والحكماء يصوغون تجاربهم وخبراتهم في الحياة في شكل وصايا وصون بها أبناءهم وذويهم، واستمرت الوصاية الاجتماعية في

العصور التالية، وهي تشمل كثيراً من الحكم والأمثال ثم الآيات القرآنيـــة عنـــدما جاء الإسلام، وتتألف في الغالب من فقرات قصيرة يسهل حفظها، وقـــد تتخللهـــا أحيناً أبيات شعرية ذات دلالة على المعاني. وليست لهذه الخطـــب موضـــوعات محددة تدور حولها، فهي تشتمل على نواحي كثيرة خلقية واجتماعية بمفاهيمهـــا الواسعة، مثل: التحلي بالصبر والحرص على العلم والمعرفة ومعاملة الآخـــرين، والتحذير من أصدقاء السوء، وما إلى ذلك.

وكانت طبيعة الحياة الخلاقة عاملاً مساعداً على نمو هـــذا الضـــرب مـــن الخطب وازدهاره، فقد كان الخلفاء والأمراء يحبون الأدباء ويقربونهم ويجـــرون عليهم الأرزاق، ويقدمون للمبدعين منهم جوائزاً ثمينة، فـــأبوابهم مفتوحـــة فـــي وجوههم مرفوعة الحجب، والخزائن مليئة بالدنانير الذهبية.

خطبة الوفود : هذا النوع نعني به الخطبة التي تلقى في المحافل أمام الوفـــود لأي حدث ومناسبة اجتماعية يجتمع إليه الناس.[1] وخطابة الوفود خطابة قديمـــة منـــذ الجاهلية عرفها العرب واشتهروا بها عند قدومهم علـــى ملـــوكهم ومـــن أشـــهر الخطباء القدامى قس [2].

فإذا ركَبَتَ فِأنَنَي زَيْدَ الفوَارِسَ في الَجَلادِ ***وإذا نَطَقَتَ وإنَنَّي قَيْسِي بِنْ ألسّاعِده الأيادي

وفيه يقول الجاحظ :(**ومن الشعراء والخطباء الأبناء الحكماء قيس بن ســـاعده الأيادي)** [3].وعند مجيء الإسلام كانت تفد وفود كثيرة على رسول اللهﷺ يتقـــدمها خطباء مفاخرين ومبايعين[4] وهنالك الحدث الكبير والكلام الشهير لقس بن ساعده عندما قدم إلى رسول الله ﷺ يتقدم وفد إياد، وهو على حمل بسوق عكاظ. ولاقى موعظة التي يرويها التاريخ.وعند هذا يروي ابن عبد ربه أن ابن عبـــاس قـــال : (قدم وفد إياد على رسول الله ﷺ فقال: أيكم يعرف قس بن ساعد الأيادي ؟ قالوا: كلنا يعرفه. فما فعل ؟ قالوا: هلك : ما أنشأ بسوق عكاظ في الشهر الحرام علـــى

---

(1) منهم الحوفي في الكتابة= في الخطابة وشوقي ضيف في كتابه العصر الإسلامي.

(2) من قبيلة أياد. كان خطيب العرب وحكيمها في الجاهلية.

(3) أبي عثمان عمر (الجاحظ): البيان والتبيين، ج١، ص: ٣٩.

(4) ابن هشام: السير النبوية، ط٩، سنة ١٤٠٠هـــ– ١٩٨٠م، دار البحوث العلمية، الكويت، ص: ٢٩٩، وما بعدها.

حمل له أحد وهو يخطب الناس ويقول؛(**اسمعوا وعوا ، من عاش مـــات، ومـــن مات فات، وكل ما هو آت، إن في السماء لخبراً وإن في الأرض لعبراً، ســـحائب نمور، ونجوم تغور في الفلك يدور)**[1].

خطب المفاخرات:كانت المفاخرة والمنارة بالنفس والقبيلة وبالأهل والولد جزءاً من الحياة القبلية عند العرب في جاهليتهم، وقد أوردت لنا كتب الأدب جوانب عديـــدة من هذه المفاخرات، وعندما أثر الإسلام عمل على القضاء علـــى العصـــبية فـــي نطاقها الضيق والقبيح، وحلت محلها تعاليم الإسلام السمحاء فرشدت هذه العصبية وهذبتها، ولكن الإسلام على الرغم من إخماده لجذور العصبية لم يستطيع القضاء عليها قضاء مبرماً، فظلت كامنة في النفوس كمون النار في الحطب.

خطب التهنئـــة: شملت خطابة الوفود معظم المناسبات التي تحـــدث بـــين الحـــين والآخر إن كانت مناسبة أفراح أو أتراح. فعندما يتوفي خليفة يتولى آخـــر بعـــده. كانت تفت الوفود مع خطبائها للتعزية أو الجمع بينهمـــا. وخطبـــاء تلـــك الوفـــود يتنافسون فيما بينهم ويحاول كل منهم إحراز الغلبة إمام جماعتيه. ومن المواقـــف التي يختال بها الخطيب الجمع بين فرح والحزن في أن واحد نقيضان، لـــذا مثـــل هذا الموقف يتطلب سرعة البديهة وحضور اللباقة. وعندما توفى لم يقدر النـــاس على الجمع بين تعزية وتهنئة الإمام : **(يا أمير المؤمنين أجرك الله على الرزيـــة وبارك الله لك في العطية، فلقد رزئت عظيما،وأعطيت جسيما، فاشكر الله علـــى ما أعطيت. واصبر على ما رزئت، إذا اقضي ،ووفق لصـــالح الأمـــور)** [2] أول خليفة في الإسلام أل إليه الملك بالوراثة فهو إذن أول خليفة تجتمع فيه وفي لحظة واحدة عظمة الخلافة وألم فراق أبيه. وأصبح الناس حيارى أيهنئونه أم يعزونـــه ؟ غير أن هذا الخطيب وفق في مقابلة بين التعزية والتهنئة. روى الجاحظ :إنه لمـــا توفي عبد الملك وجلس الوليد دخل عليه الناس وهم يريدون يهنئونه أو يعزونـــه ، فاقبل غيلان بن مسلمه ألمثقفي فسلم عليه ثم قال: **(يا أمير المؤمنين أصبحت قـــد رزئت خير الإباء وسميت خير الأسماء وأعطيت أفضل الأشياء فعظـــم لله لـــق**

---

(1) ابن عبد ربه:العقد الفريد، ج٤، ص: ١٢٨.

(2)أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، مج١، ص: ٢٥٠.

على الذرية، وأعطاك في ذلك نوافل الأجر،علي الحسن والولايـــة والشـــكر، ثـــم قضى العبد الملك. بخير القضية وأنزل بشـــرف المنـــازل المرضـــية مـــن بعـــد الرعية)[1].

قال : (لم أر مثلها معيبة أر مثلها ثوباً: موت أمير المؤمنين والخلافة بعده. إنـــا لله وإنا إليه لراجعون. فالحمد لله والحمد علي النعمة. انهضوا فبايعوا على بركـــة الله رحمكم الله . فقام إليه عبد الله بن همام

فقال اللهُ أعَطَاَك التَي لا فَـــوْقَهَا ***وقَدْ أرَادَ المْلْحَدونَ عُوقَهاَ

عَنْكَ ويَأبَي اللهُ إلا ســـُـــــوقِهَا ***إليّك حـــَطِي قَلَدوُكَ َطوقَهاَ

خطب الرثاء : إذا كانت الخطابة قد استمرت في نواحي كثيرة من الحيـــاة، فقـــد اشتركت في الشعور إذا حادث الموت بالفجع على الميت وذكر محاسنه ،وهو مـــا يسمي بالرثاء. وهو فرع من فروع المدح يمتدح فيه الميت بذكر محاســـنه ونبيـــل خصاله، كما يصور حالة الراثي ومم يملك من أدوات الكـــلام. وخطـــب الرثـــاء والعزاء تعين على سلوك. ومع أن الرثاء والعزاء بضمها ألم الفقد والفراق الأبدي إلا إننا في العزاء نجد الحث علي الصبر من الحادث ،بينما نجد في الرثاء أنغامـــا حزينة باكية، وأصدقاء القلوب محطة بالفقد .

وخطب الرثاء كثيرة في أدبنا العربي، تتمثل لنا في تطور هذا اللون من الخطابة. وأظن أن الشاعرة الخنساء هي أم الرثاء في الشعر العربي. ولم يكن هذا قاصـــراً علي الثناء، بل للرجال أيضاً دور في ذلك .إلا أن النساء في هذا المجال أشد تأثيراً من الرجال لأنهن أرهف حسا، واقل جلداً وصبراً يقول الإمام ابن قيس القيرواني :(أشجى الناس قلوبنا عند المصيبة واشهد هن جزعا هالك، لما ركب الله عز وجل في طبعهن من خور وضعف العزيمة، وعلى قدر شدة الجذع يكون الرثاء) [2].

تقول الخنساء وهي ترثي أخاها ونزل البكاء وتقول:

أَعْيْنيّ جوداً ولا تجمداً * إلا تبكياً لصخْر النَدي**

فكل ما كان الدمع جارياً كان الحزن الداخلي شديداً وليس كما قال الشاعر.

---

(1)أبي عثمان (الجاحظ):البيان والتبيين، ص: ١١٣.

(2) العمدة، ج٢، طبع مطبعة السعادة، ص: ٢٣.

وشهد عصر الخلافة الراشدة تطوراً بارزاً للنهضة. وكانت الخطب الرثاء مليئـــة. ومن مميزات الأسلوب الخطابي إنه يهدف إلـــي إثـــارة عواطـــف المســـتمعين. ومخاطبة العواطف تحتاج إلي أسلوب عاطفي خاص . ومن أدوات هذا الأســـلوب العاطفي استخدام الأسلوب الإنساني وما يحويه من التعجب واستفهام وأمر والنهي وغيره، وأول من وجد بها الإمام خطبته هذه التعجب في قوله: **(محمدان في يوم واحد !)** ومع أن الفجيعة عظيمه إلا أن الخطيب مستمسك بالصبر فيقوله تعالي : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ*وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [١].

وكانت ثقافة الإمام علي وفهمه لكثير من أحكام الدين وحفظه القرءان هـــو الذي جعله يستشهد في الخطبة ،كما إن ثقافة الأدبية الواسعة جعلته يستشـــهد فـــي خطبته بالكثير من الشعر .

كان تاريخ الأدب العربي قد حفظ لنا اسم الخنساء شاعرة الرثاء مجيـــدة في رثاء أخويها في حرب القادسية، لنا السيدة عائشة رضي الله عنها حين وقفـــت علي قبر أبيها أبي بكر الصديق ترثيه بخطبته [٢] مليئة بالشجو ، فتقول في خطبته :**(إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمك الله أبا بحر[٣] مـــن مجـــن [٤] فـــي جـــنن[٥]، ومدرج[٦] في كفن، فوالدي ابتلانا بفقدك،وابلغنا يوم موتك [٧] لقد عشت حميداً، ومت فقيراً، ولقد كنت عظيم الحلم ، فاضل السلم رفيع العماد وادي الزناد، منيع الحريم سليم الأديم، وإن كنت في المحافل لشريف وعلي الأرامل لمعـــط ، ومـــن الناس لقوينا، وفيهم لقوينا، وأن لمسود، والي الخلفاء لموفد، وان كانوا لقولـــك لمستمعين ولرأيك لمتبعين)**[٨].هذه الخطابة مرثية واصلها الحزن لفراق بصـــدق

---

(١) سورة الرحمن: الآيات (٢٦-٢٧).

(٢)أبي عثمان (الجاحظ): البيان والتبيين، ص: ٣٦٣.

(٣) أبو بحر: كنيه الأحنف.

(٤) مجن: من أجنة أي سترة.

(٥) الجنن: القبر.

(٦) مدرج: معوي.

(٧) أبلغنا يوم موتك: مد عمرنا حتى شهدنا يوم موتك.

(٨)أبي عثمان (الجاحظ): البيان والتبيين، ص: ٣٦٤.

العاطفة وشدة الانفعال وحسن الأداء . وهي الوهلة الأولي تهدئي النفوس الزينة وتصرها بكلام الله القديم في قولها: (إنا لله وإنا إليه راجعون) استجابة لقوله تعالى:﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[1]

إذا كانت الخطابة قد استمرت في نواحي كثيرة الحياة فقد اشتركت في الشعور إذا حادث الموت بالفجع على الميت وذكر محاسنه ،وهو ما يسمي بالرثاء. فرع من الفروع المدح يمتدح فيه الميت بذكر محاسنه ونبل خصاله، كما يصور حالة الراثي ومم يملك من الأدوات الكلام. وخطب الرثاء والعزاء تعين علي سلوك الإمام الإحزان . ومع إن الرثاء والعزاء بضمها الم الفقد والفراق الأيدي إلا إننا في العزاء الحث علي الصبر من الحادث ،بينما نجد في الرثاء أنغاما حزينة باكية ،وأصدقاء القلوب محطة بالفقد .

أبو بكر الصديق أول المسلمين إسلاما واقرب الصديقين ،فيدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجي بثوب فيكشفه عنه ويرثيه بخطبة لم يعرف لها أدبنا مثيلا قبلها اشتملت بالحزن العميق وتسر بلت بالإيمان والاستسلام للقضاء الذي نزل فيقول :(**بأبي أنت وأمي طبت حيا وطبت ميتا، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الأنبياء من النبوة، فعظمت عن الصفة، وجللت عن البكاء، وخصصت مسلات[2]، وعممت حتى صرنا فيك سواء ولو أن موتك كان اختيار أمنك[3]، لجدنا لموتك بالنفوس، ولولا انك بهية عن البكاء لانقدنا عليك ماء الشؤون[4]، فإما لا نستطيع نقيه عنا السلام، اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك،**

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٥٦).

(٢) أي انك فد صرت بموتك مسلات للناس فانك بما اختصصت به من مناقب النبوة قد نزل بك الموت ، فللناس فيك أسوة حسنة.

(٣) يشير أبو بكر إلى قول الرسول (لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم بخير.

(٤) الشأن جمع الشأن وهو المجرى الدمع إلى العين.

فلولا ما خلفت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا وأحفظه فينا) [١].

ولا يكاد ينتهي أبو بكر الصديق من الرثاء الرسول حتى يخرج إلـــى الناس خطيبا فينشلهم من غمرتهم ،ويفيق من سكراتهم ،ويـــردهم إلـــى الصواب بكلام بليغ وأسلوب رصين ،يثبت به إيمانهم**(أيها الناس : مـــن كلن يعبد محمدا فانه محمد قد مات، ومن كان يعبد الله فـــان الله حيـــل ليموت، وأن الله قد تقدم لكم في أمره، فلا تدعوه جزعا، وأن الله قـــد اختار لنبيهما عنده على ما عندكم، وقبضه إلى ثوابه، وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه فمن اخذ يهما عرف، ومن فرق بينهما أنكر، ياءيها الـــذين امنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بمـــوت نبـــيكم ،ولا يفتننكم عن دينكم ،فعاجلوه بالذي تعجزونه، ولا ستنظرونه بكم)** [٢]، هذا كلام أبو بكر الصحابي المؤمن الصديق، يرثي نبيـــه ويعـــظ المســـلمين الأولين ولئن كان من أكثرهم خزنا فسرعان ما صار من أكثرهم إيمانـــاً ووعياً، وتتم البيعة بعد ذالك لأبي بكر على أســـاس مـــن الديمقراطيـــة الإسلامية القائمة على الشورى ، ويسبح خليفة لرســـول الله وأول أميـــر على المؤمنين، فيقوم في الناس خطيبا بمجرد دان تـــتم بيعتـــه ويلقـــي بدستور في الحكم على الناس تسريعاً جديداً يصلح لان يأخـــذ بيـــد أيـــة ضرب الفساد في إطنابها وتأصل العفن في أحشائها مـــن أمـــم القـــرن العشرين .

---

(١)أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج ١، مصدر سابق، ص:٦٦.

(٢) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، مج ١، مصدر سابق، ص:٦٧.

ويقول الخليفة أبو بكر في تواضع وعدل، وفي قوة وحزم، تواضع القوى وعدل الجازم[1]، انظر هذا البحث فصل الخطابة السياسية.

خطب المصاهرات: ضمن خطب المناسبات الاجتماعية هذه، خطب المصـــاهرات. وهي الخطب التي في مناسبة الزواج. وخطبة الزواج من الخطـــب التـــي تجهـــد النفس والخاطر؛ لأن مجال القول فيها ضيق، ومذهب الكلام محصور بين الرغبة والقبول. لذالك قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه :**(ما تصعرني كلام كما تتعدني خطبة النكاح**[2]. وعلي ذلك جرت السنة في خطبة الزواج، إذ إن **(عـــادة العرب حين يصهرون أن يقدم قبيل الخاطب علي أهل الخطـــوب إليهم،يلتمســـون منهم الصهر والسنن، ويطلبون رغبتهم ويجـــدون مهـــورهم، ويـــذكرون مـــن فضائلهم ما يكافئ فضائل القوم الذين يودون مصاهرتهم. وكثير ما يكون في هذا المقام مجالاً ضيقاً أو فسيحاً لخطب الخطباء ، وبلاغة البلغاء ،حطي يصل إلي ما يريدون بحسن العبارة ،ولطف السبل ،والتلطف في الطلب .وقد يرد أهل المـــرأة عليم بما يناسب المقام من ملاقاة الكلام بالكلام)** [3].

ولكن تبدو الخطب الزواج اليوم لم تأخذ نفس المسير بين خطـــب الخاطـــب وخطبة الخطوب إليه ،بل يقف الذي يقيم عقد الزواج بين الطرفين وهو في الغالب المأذون قبل عقد القرآن، وعند التأكد من القبول بين الطرفين المأذون يلقي خطبـــة الزواج موضحاً أهمية الزواج وفضائله .وهو في الغالب يدعم خطبته بشيء مـــن القرآن الكريم أو ببعض أقوال الصحابة رضي الله عنهم في الزواج والحث عليه، وفي الغالب الناس من أشهر خطب زواج في أدبنا العربي ،خطبة علي بـــن أبـــي طالب في زواج النبي ﷺ بالسيدة خديجة[4]. وهنالك عديد من الخطب النكاح فـــي عصر الخلافة سنستعرض بعضاً منها. خطبة عثمان فقال :**(أقرب قريـــب خطـــب أحب حبيب،لا أستطيع له رداً).**

---

(1) د/مصطفى السعه:الأدب موكب الحضارة الإسلامية ،مرجع السابق،ص:١٨٨.

(2)أبي عثمان (الجاحظ): البيان والتبيين، ص: ١١٧.

(3) محمد عبد الغني حسن: الخطب والمواعظ، ص: ٦٢.

(4) انظر: الحجار القرآن للأثقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، طبعة دار المعارف، سنة ١٩٦٣م، ص: ١٥٣.

خطب أهل البصرة على عمر رضي الله عنه: فقال :(**يا أمير المؤمنين إن المفتاح الخير بيد الله. وقد أتت وفود أهل العراق، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر، نزلوا الأمم الخالية. والملوك الجبارة. ومنازل كسرى وقيصر. فهم من المياه العذبة، والجنان الخصبة في مثل)**[١]وحدقة البصير:(**وتأتيكم ثمارهم غضة قبل تنقير وإنا نزلنا بأرض شاشة** [٢]. **طرف في فلاة وطرف في ملح أجاج)**[٣]**جانب منها منابت للقصب. وجانب سبخة** [٤] **شاشة .ليخف ترابها. ولانبت مرعاها تأتين منافعها في مثل مرعى النعامة .يخرج الرجل الضعيف منا. يستعذب**[٥]**.الماء من الفر سخي.وتخرج المرأة بمثل ذلك**[٦] **ولدها ترني العنزة، تخاف عليه العدو والسبع، فإن لا ترفع خسيستا**[٧] **وتنفس ركيتنا**[٨] **وتجبر فاقتنا. وتزد في عيالنا عيالا،وفي رجالنا رجلا درهمنا**[٩] **وتكبر قفزنا وتأمر لنا بحفز نهر نستعذب بماء هلكنا)**[١٠]

ويحاول أن يصل عواطفهم فيهزها .ثم إلي إراداتهم لتنهض وتنفذ ما استجابت له العاطفة . ولذلك قد نجح في خطبته لنجاح عمر رضي الله عنه،بعدالة قضيته وبالتالي استمالته للمستمعين فحقق له أمله :(**وما الإقناع إلا صرف وذهاب الجمهور إلى تقبل ما قال: وما استمالة الكاسب تأييد هذا الجمهور للقضية المعروضة. واستجابته لما منه)** وخاطب الإمام الخليفة قائلاً:(**يا أمير المؤمنين ،ولم تقل: يا عمر،تقدير له،ثم تذكيراً بمسليه الإمارة وما تفرضه علي صاحبها**

---

(١) الحولاء: جلدة خضراء فيها ماء تخرج مع الولد عند ولادته، السليى: الجلد فيها الولد والمراد: الخصب والخضرة، وكرة الماء.

(٢) نشأشة: ترشح الماء. يقال نش الغرير ينشيء نشيشاً أخذ ماؤه في (النضوب).

(٣) أجاج: مر.

(٤) سبخة : ملحة (والسيخة النشاشة) وهو ما يظهر من ماء السباخ فينش فيها حتى يعود ملحا.

(٥) يطلب الماء العذب: الحاجة.

(٦) ترنق: تديم النظر.

(٧) الجسيسة: الحال السيئة.

(٨) الكريسة: الحال المقلوبة.

(٩) أي تقلبه إلى دينار أصغر: والمراد زيادة المعونة.

(١٠) محمد بن عبد ربه :العقد الفريد: ج١، ص: ١١٦.

من تحقيق الأمة). ثم استهل الخطبة يرجع كل خير إلي الله وحـــدة:**(إن مفـــاتيح الخير إلي الله)** وبذلك تجنب النفاق مع حاجته الملحة إلي تحقيق رغبته .وأين هذا من الشعراء بالقوافي في التصوير والتقدير الممدوح إلي حد جوابه قول بعضهم :

مَا شئت لما شَاَءتْ الأَقْدَار * فَاَحْكمَ فَأَنْتُ اَلواحِدُ الْقُهارُ .**

واخْفَتْ أهْل الِشرْكِ حتى إنَّه ***لَتَخَافُكِ النُطْفَ التِّي لَمّ تُخلقِ.

وإذا كان العدل مفتاح شخصية الخليفة . فقد أراد الخطيب بحكمة أن يحرك عمـــر إلي ما يريد. ويمكن هذا المعني في عقله يصوغه في أسلوب جميل أخاذ،يشـــتمل علي صور من البيان ، من شانها كسب عقل المستمع ليتخذ قـــراره بعـــد ذلـــك، وتسعف؟ لباقته حين يتجه إلي قلب عمر بعد عقله فيهزه بقوة،وذلك حين يعـــرض صورة الرجل الضعيف يبحث عن الماء.وليس هذا فحسب، بل تخرج المرأة كذلك في حاله من التمزق بين وليدها الذي تخاف عليه، وحاجتها إلي الماء حفاظاً علـــى حياته وحياتها .ويبلغ الحديث مداه فتعلوا النبرة. وتظهر الحاجة لتحسين الأوضاع فراراً من العواقب الوخيمة التي قد تكون ضياع الناس جميعاً،وهنا تبلـــغ الخطبـــة أجلها ،وتحقق غرضها باستجابة عمر رضي الله عنه وإعجابه بالأحنف بن قـــيس واضحاً إياه بالسيد ...يعتز بها . ويعتز كل خطيب ملك ناصية القول ...وخاطـــب في الناس عقولهم وقلوبهم ... في وعاء من البيان يصل بالقائل إلى ما يريد.

من الخطب القضائية :اختصم الإمام وزوجته أمام زياد بن أبيه في ابن كـــان لهما . فقالت الزوجة : أصلح الله الأمير. (هذا أبي: كان بطي وعاءه. وحجـــري فناءه وثدي سقاء. أكلؤه أحفظه وأرعاه إذ أنام وأحفظه إذا قام .فلم أزل بذلك سبعة أعوام .حتى إذا استوفى خصاله فطامة، وكملت خصاله. وصلبت أوصاله، وأملت نفعه) فقال أبو الأسود الدولي:**(أصلحك الله:هذا أبـــي حملتـــه قبـــل إن تحملـــه. ووضعته قبل إن،فقالت الزوجة صدقت أصلحك الله: حمله خفاً، وحملتـــه ثقـــلاً، ووضعته شهوة .ووضعته كرها .فقال له زياد: أردد على المرأة ولـــدها. فهـــي أحق به منك ودعني من سجعك)** نلاحظ استخدام الزوج والزوجة سلاح البيـــان وصولا إلي الحق،وللبيان سحر التي قد تطمس أحيانا معالم الحق. ببهرجة حديثـــة علي ما ليس له، وقد حدد رسول الله ﷺ من خداع القول ومن الخطباء الفتنة الذين

يسحرون ملكة البيان لديهم لإبطال الحق،وقد حاول كل من الطرفين هنا عــرض حجته بلباقة وذكاء وقوة أسلوب،إلي جانب الحجج المتقارعة يلعــب الاســتعطاف دوره مثل هذا القول:(**أصلح الله الأمير أصلحك الله وحين تشــير الزوجــة إلــى ضعفها، ومن ثم حاجتها الملحة إلي عون وندها،ثم ما كان مــن لجوئهــا إلــي القاضي ليقف إلي جانبها في محنتها،زوج يلوح بقوته وحيلته.وقد حاول الــزوج إن يوشي حديث بطلاء من السجع بفتح بها الطريق إلى القلب مركزاً بذلك على الجانب العاطفي)**[1] لكن كان أكثر وعياً وإنصافاً حيث استجابة للمرأة معتنقاً بوجهة نظرها ...ضارباً قصصاً عن هذا الطلاء البياني من قبل الزوج ... وذلك كقولــه :(**على المرأة ولدها .فهي أحق به ودعني من سجعك**)! ويلفت النظــر هنــا أن كلا الطرفين تجنب الكلام الخارج، واللفظة النابية لتكون الحجــة وحــدها فصــل الخطاب في القضية. فقال :(**حبلاً من حبال الله، مد ما شاء أن يمده، ثــم قطعــه حين شاء أن يقطعه، وكان قبله وهو خير ممن بعده، (ولا أرقيه عند ربــه وقــد صار إليه**)[2] فإن يعف عنه فبرحمته، وإن يعاقبه فبدينه. قل وقد وليــت الأمــر بعده، ولست اعتور من الجهل ولا استقل بطلب العلم. وعلى رسلكم !إذا كــره الله أمراً غيره. وبهذا الإسناد إن الإمام خطب أهل مصر حين هاجروا فقال مهم :(يــا أهل مصر، خف على ألسنتكم مدح الحق ولا تفعلونه، وذم الباطل وأنــتم تأتونــه كالحمار يحمل أسفاراً أثقله حمله ولم ينفعه. واني والله لا أداوي ... بالســيف مــا أكفيت بالسوط، ولا ابلغ السوط ما كفتني الدرة، ولا إبطي.

عَنْ الَأْوَلي إنْ لَمْ تَصلَْحُوا عَنْ الأُخْرْىَ ***نَاَجزا بِنَاجزُ وَمْنَ حَزَر كَمَنْ يُشرْ[3]

فقعدوا قل ويقول من قبل أن يقال فعل يفعل، فان هزا اليوم الذي ليس فيه عقــاب، ولا بعده عتاب . **(ومن الخطب الوصاية الاجتماعية)**:خطبة فقال:(**أيها النــاس، حافظوا فروجكم وخذوا النفس بضميرها ، فإنها** [4] **شيء إذا أعطيت، وأعصــى**

(1) الدكتور، محمد علي المحجوب: الخطابة في مركبة الدعوة، ص: ٤٠٤.

(2) أحمد بن عبد ربه:العقد الفريد، ج٢، ص: ١٧٢.

(3) هذه الجملة بين النجمتين وردت في العقد الفريد، ج٢، ص: ١٩٥.

(4) أسلوك: أضعف من ساك الرحل إذا مشي مشياً ضعيفاً.

بشيء إذا سئلت . وإني رأيت الصبر عن الله أيسر من الصبر على عذاب الله).
خطب فقال :(إن الدار دار غرور ومنزل باطل، تضحك باكياً وتبكي ضاحكاً وتخفف أمنا وتؤمن خافياً، وتفقر مثرباً وتثري مقتراً، له غزارة لعابة أهلها !اتخذوا كتاب الله إماماً، واجعلوه لكم قايضاً، انه ناسخ لما كان قبله ولم ينسخه كتاب بعده، اعلم عباد الله أن هذا القرءان يعلو كيد الشيطان لما يعلو ضوء الصبح إذا تنفس، ظلام الليل إذا تعسعس[1].

وخطب الإمام علي كرم الله وجهه حين تزوّج بالسيدة فاطمة رضي الله عنها فقال: (الحمد الله الذي قرب من حامديه، ودنا من سائليه، ووعد بالجنة من يتقيه، وقطع بالنار عدد من يعصي، وأحمده بجميع محامده وأياديه، وأشكره شكر من يعلم أنه خالقه وباريه، ومصوره ومنشيه، ومميتة ومحييه، ومقززيه ومنجيه، ومثيبيه ومجازيه، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تبلغه، وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله صلاة تزلفه وتدينه، وتعليه، وتشرفه وتجتبيه.

أما بعد: فإن اجتماعنا مما قدره الله تعالى ورضيه، والنكاح أمر ما أمر الله به وأذن فيه، وهذا محمد ﷺ قد زوجنيِّ فاطمة ابنته على صداق أربعمائة درهم وثمانين درهماً، ورضيت به، وكفي بالله شهيداً) [2].

خطب سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ،أخرج ابن عساكر عن موسى بن عقبة أن أبا بكر الصديق كان يخطب فيقول: **(الحمد الله رب العالمين، أحمده وستعينه، ونسأله الكرامة فيما بعد الموت فانه قد دنا أجلي وأجلكم، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً وسراجاً ومنيراً، لينذر من كان حياً ويحق القول علي الكافرين. من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد ضل ضلالاً مبيناً. أوصيكم بتقوى الله، والاعتصام، بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم به، فإن جوامع هدي الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم، فإنه من يطع الله وأولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدى الذي عليه من الحق، وإياكم**

---

(1) العقد الفريد، ج٢، ص: ١٧٤.

(2) أحمد زكي صفوت، خطب جمهرة العرب، ج٣، ص:٣٦١.

إتباع الهوى، فقد أفلح من حفظ نفسه عن الهوى والطمع والغضب، وإياكم والفخر، وما فخرمن خلق من تراب، ثم إلى التراب يعود ثم يأكله الدود، ثم هو حي وغداً ميت؟! واصبروا فإن العمل كلمة بالصبر، واحذروا، والحذر ينفع، واعملوا والعمل يقبل واحذروا ما حذركم الله من عذابه، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته وافهموا وتفهموا، واتقوا الله وتوقوا، فإن الله قد بين لكم ما أهلك من كان قبلكم، وما نجى به من نجي قبلكم، قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه، وما يجب من الأعمال وما يكره، فإني لا ألوم نفسي، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله، واعلموا إنكم ما أخلصتم الله من أعمالكم فربكم أطعتم ، وحظكم حفظتم واغتظتم، وما تطوعتم به لدينكم فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفوا لسلفكم، وتعطوا حين فقركم وحاجتكم إليها ثم تفكروا عباد الله في إخوانكم وصحابتكم الذين مضوا، وقد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه، وحلوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت.إن الله ليس له شريك وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه سوء إلا بطاعته وإتباع أمره، فإنه لا خير في خير بعده النار، ولا شر في شر بعده الجنة.أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، وصلوا على نبيكم صلي الله عليه وسلم، السلام عليكم ورحمه الله وبركاته[1].

خطب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يوم الجابية، ذكر في كنز العمال عن موسى بن العقبة قال: هذه الخطبة لأمير المؤمنين يوم الجابية، فقال: (أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه، والذي بطاعته يكرم أولياءه ومعصيته يضل أعداؤه فليس لهالك هلك معذرة في فعل ضلالة حسبها هدى،ولا في ترك الحق حسبه ضلالة. وأن أحق ما تعهد الراعي من رعيته أن يتعاهد هم بما لله عليه من وظائف دينهم الذي هداهم الله له، وإنما علينا إن نأمركم بما أمركم الله به من طاعته، وننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته، وأن نقيم فيكم أمر الله عز وجل في قريب الناس وبعيدهم، ولا نبالي على من مال للحق، وقد علمت

([1]) لابن العباس المبرد ،الكامل،ج ٣،ص:٢١١.

أقواماً يتمنون في دينهم فيقولون: نحن نصلي مع المصلين، ونجاهد مع المجاهدين، وننتحل الهجرة، وكل ذلك يفعله أقوام لا يحمدونه بحقه، وأن الإيمان ليس بالتحلي، وأن للصلاة وقتا اشترط الله فلا تصلح إلا به فوقت صلاة الفجر المرء ليله، ويحرم على الصائم طعامه وشرابه، فأتوها حفظها من القرآن. ووقت صلاة الظهر إذا كان القيظ ، فحين تزيغ عن الفلك حتى يكون ظلك مثلك، وذلك حين يهجر المهجر فإذا كان الشتاء حين تزيغ عن الفلك حتى ، مع شروط الله في الوضوء والركوع والسجود، ذلك لئلا ينام عن الصلاة. ووقت صلاة العصر والشمس بيضاء نقية قبل إن تصفر قدر ما يسير الراكب الثقال فرسخين قبل غروب الشمس. وصلاة المغرب حين تغرب الشمس ويفطر الصائم، وتذهب حمرة الأفق إلي ثلث الليل. فمن رقد قبل ذالك فلا ارقد الله عينيه، هذه مواقيت الصلاة. ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً﴾ [١]. (ويقول الرجل قد هاجرت، ولم يهاجر، إن المهاجرين الذين هجروا السيئات.

ويقول أقوام: جاهدنا: وإن الجهاد في سبيل الله مجاهدة العدو واجتناب الحرام.

وقد يقاتل قوم يحسنون القتال: لا يريدون بذلك الأجر ولا الذكر،وكل امرئ على ما قاتل عليه.إن الرجل ليقاتل بطبيعته من الشجاعة، فينجي من يعرف ومن لا يعرف، وإن الرجل ليجبن بطبيعته، فيسلم أباه وأمه، وأن الكلب لبهر من وراء أهله.وأعلموا حرام يجتنب فيه أذى المسلمين كما يمنع الرجل من لذته من الطعام والشراب والنساء، فذلك الصيام التام وإيتاء الزكاة التي فرضتها الرسولﷺ طيبة بها أنفسهم فلا يرون عليها برا.

فأفهموا ما توعظون به، فإن من حرب دينه وإن السعيد من وعظ بغيره وأن الشقي من شقي في بطن أمه، وأن شر الأمور مبدعاتها. وأن الاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في بدعة

([١]) سورة النساء: الآية(١٠٣).

المبحث الثالث

موضوعات الخطب الاجتماعية

جاء أمر من الله أن تكون الخطابة جهراً واجتماعياً بعد أن كان فردياً وسرياً، قال تعالى:﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [١]. وقال جل شأنه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [٢].بعد نزول الآيتين بدأ الخطاب الإسلامي يأخذ منحاً آخر، فاتجه إلى الاجتماعية.

فصعد النبي صلى الله عليه وسلم على جبل الصفا تنفيذاً لأمر الله له بالبلاغ، فنادي بأعلى صوته **(يا صباحاه)** قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (يا بَنيِّ عبد المطلب يا بنيِّ كعب أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أصدقتموني؟) قالوا ما جربنا عليك كذباً، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديدٌ) فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا[٣].

إن المتأمل للنص يجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ الوسائل والمنابر التي كانت تستخدمها قريش، إذا أرادت أن تخاطب الناس بأمر جلل، أو خطر قادم عليهم، فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذات الأمر، واستخدم ذات العبارة الخطابية التي كانت قريش تستخدمها (يا صباحاه) فاجتمع الخلفاء له والناس فنادي عليهم بأسماء عشائرهم، ثم وضع لهم عقب ذلك فحوى الخطابة (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد).

فكون النبيِّ صلى الله عليه وسلم وخلفائه استخدم منبر قريش ففي ذلك درس لنا، فيمكن أن نستخدم ونستغل ذات منابر المخاطبين التي يستخدمونها في خطاباتهم، لأن ذلك أوقع في نفوسهم، وأبلغ في إيصال الخطب إليهم، ومنابر الخطابة المعادية في عصر الخلافة هذه متعددة فهل نَحْنُ على استعداد لاستغلالها لإيصال خطابات الإسلام، وثمة درس آخر يمكن الوقوف عنده، يتمثل في كونه صلى الله عليه وسلم لم يقف عرياناً كما كانت تفعل قريش، وبناء على ذلك يكون

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٣) محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ، ص٩٤. (متفق عليه).

الرسولﷺ قد جرد تلك الوسيلة من الحرمة، وأبقي على جانب الإباحة من حيث المنبر (الصفا) ومن حيث العبارة (وصباحاه). وعليه يمكننا أن نستخدم وسائل المخاطبين بشرط ألا تكون تلك الوسيلة حراماً. وإن كان فيها شيء من الحرام جردناه منها، وإن كان ذلك ممكناً، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الوسيلة. وأيضاً نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم خاطب المخاطبين بقوله: **(أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح الجبل)** ففي ذلك أمران أولاً: تهيئة المخاطبين أن الموضوع الذي تضمنته الخطبة أمر جلل ليس بالسهل، وثانيهما: إقامة الحجة عليهم بعد أن أخذ منهم إقراراً بالإجماع على صدقه، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن الخطاب الذي سألقيه عليكم صدق ولا كذب فيه، حق لا تشوبه شائبة.

أسس المعاملات الاجتماعية:

إن الأمر إعلان وجوهر الدعوة مرتبط بالأمر وبالصبر والصفح عن المشركين والإعراض عنهم، يعنيِّ إلغاء الصدام معهم وتجنبه ما أمكن ذلك. إذ أن خط الخطابة الإسلامي مع المشركين في هذه المرحلة هو خط الإعراض عن أذاهم. فإعلان الدعوة ماضٍ من جهة لا يتوقف النازل على المسلمين، سواء أكان الأذى مادياً أم معنوياً. لكن الصبر على الأذى والإعراض عن المشركين باق فلا مواجهة مادية، ولا مقاومة مسلحة، ولا انتقاماً وثأراً لإهانة، إنها مرحلة كف اليد والاكتفاء بالتبليغ، ولابد أن تكون الخطابة بينة واضحة لا لجلجة فيها ولا غموض.

(ارتقت الخطابة في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ارتفاعاً واضحاً، وصارت سلاحاً قوياً يلجا إليه الخليفة وخصمه ،يثيران بها الأنصار ويحفزان النفوس إلى الغارة والحرب . فإن المسلمين لم يقفوا موقفا يحتاج إلى كثرة الخطابة ...) [1].

خطب الإمام علي كرم الله وجهه عندما بيع على خلافة المسلمين، فأورد عدداً من سيق الأمر الدالة على فعل الخير والناهية عن فعل الشر، بعض أن أصبح الحلال بين الحرام فقال:**(إن الله عز وجل أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير**

---

(1) أحمد أحمد بدوي، النقد والأدب، ط٤، ١٩٦٠م، مكتبة النهضة مصر، بالعجالة، ص:٢٦.

والشر، فخذوا الخير ودعوا الشر، الفرائض أدوها إلى الله سبحانه وتعالى يؤدكم إلى الجنة. إن الله حرم حرماً غير مجهولة، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى السلم إلا بما يجب. بادروا إلى أمر العامة، وخاصة، فإن الناس إمامكم وأن ما خلفكم الساعة تحدوكم، تخففوا تلحقوا، فإنما تنتظر الناس أخراكم اتقوا الله عبادة في عباده وبلاده ،إنكم مسئولون حتى عند البقاع والبهائم، وأطيعوا الله عز وجل وألا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوه، وإذا رأيتم الشر فدعوه) [1].

تكشف هذه الخطبة عن المنهج وفلسفة الإمام علي رضي الله عنه في الحكم مستمدة من القيم والدين وذلك للتأثير والإقناع ، فأمر الناس بالاضطلاع بشؤون بعضهم بعضاً، وأن الموت يلاحقهم، وقد وصف الذنوب والآثام بالأحمال التي يجب تخفيفها. فأسلوب الإمام يمتاز بالقوة، والجزالة، وفيه شعور بالصدق، ومضاء العزيمة، كما يظهر فيه فهمه العميق لمعاني القرءان والسنة .

ولذا يجب الانتباه الآن في عصرنا الراهن لما يحدث من حملة بعض الخطابة الإسلامية، الذين يحاولون تمييع الدعوة، وتضييع معالمها بحجة مسايرة المشركين، ومراعاة ظروفهم وتأليف قلوبهم، وهم يعايشون أهل الكتاب، فهؤلاء يتعرضون معهم لقضية الإيمان بالله ويلمسونها لمساً خفيفاً حيث لا يجرح مشاعرهم، فلا يذكرون كلمة الإسلام حتى لا يتهمون بالتعصب، ولا يذكرون القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا يغضب أهل الكتاب منهم. وجميع الدول الإسلامية، التي بها أقليات دينية تنهج هذا المنهج في وسائل إعلامها المرئي والمسموع والمقروء، ويسمون هذا دعوة الحكمة والموعظة الحسنة.

إن الإعراض عن المشركين لا يعنيِّ بحال ألا نوجه إليهم الخطابة الإسلامية، بل إن الإعراض عن المشركين يعنيِّ فكرتين في آن واحد[2]:

---

(1)ابن جرير(الطبري): تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ط٤، ١٩٦٣م، دار المعارف بمصر، ج٤، ص:٤٣٦.

(2) منير القضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، طبعة مكتبة المنار، الأردن، ط٦، ١٤١١هـ، ص٤٤.

الفكرة الأولى: السير بالدعوة والخطابة الإسلامية وإيضاح معالم الإسلام دون نظر لغضب الخصوم، أو مراعاة مشاعرهم وآرائهم تجاه الإسلام.

الفكرة الثانية: عدم مواجهة آذاهم المادي والمعنوي، في حالة ضعف الدعوة الداعية، ومحاولتهم تخريج أو النيل من حامل الخطابة الإسلامية أو الاستهزاء به. لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (1).قوله عز وجل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾(2).

الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل القضاء مستقلاً وعين الصحابِّي الجليل أبو موسى الأشعري قاضياً، ويعتبر الخطاب الذي وجهه إليه عمر بن الخطاب مرجعاً إلى يومنا هذا في البينة لمن ادعى أو أنكر. فقال: (.. **واليمين لمن أنكر على من أنك، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحل حراماً، ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك، وهديت فيه لرشدك، أن ترجع إلى الحق فإن الحقَّ قديم، ومراجعة الحقَّ خير من التمادي في الباطل، الفهم فيما تلجلج**(3) **في صدرك مما ليس في كتاب الله ولا سنة النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ثم اعرف الأشباه والأمثال فقص الأمور عند ذلك بنظائرها، أعمد إلى أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق، واجعل لمن ادَّعى حقاً غائباً أو بينة)** (4).

مراجعة الأحكام بعد إصدارها وإصلاح ما عسى أن يكون قد تعدى الحق التوفيق بين المتخاصمين بالصلح هي أساس حكم السريعة الإسلامية(5).

يجب على القاضي إذا حكم حكماً ورأى أنه يجافي الحق أن يراجع نفسه ويحكم بما يراه صواباً، لأن العودة إلى الحق خير من التمادي في الباطل، وإذا تردد القاضي في أمر ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، فعليه أن يحكم عقله

---

(1) سورة القصص، الآية: ٥٥.

(2) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(3) تلجلج: تردَّد من كلامه.

(4) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص:٨٢.

(5)أبي عثمان (الجاحظ): البيان والتبيين، ج٢، ص٧٩.

ويلجأ إلى قياس هذا الأمر بنظائر مما ورد فيه الحكم الشرعي السليم. وإذا أدَّعى أحد أن له حقاً غير موجود الآن أو أن البينة التي يستند إليها غائبة عنه فعل القاضي أن يضرب له أجلاً لإحضار حقِّه أو إثبات بينة وإلا حكم عليه فإن هذا يبعد الشكّ ويفتح البصيرة، وينفي التهمة.

ومن خطبه علي رضي الله عنه: المرأة وزينة الحياة: **(إن النساء هن زينة الحياة والفساد فيها)** كان المجتمع القديم يحرم على المرأة أن تساهم مع الرجل في كثير من شؤون الحياة، ويفرض عليها ألواناً من تحريات، ويسمح لها بما يتلاءم مع طبعها كالزينة وجر الذيول، ولكن في بيتها وساحة منزلها، ومضت الأيام، وتغير الزمان، اقتضت المرأة **(حقوقها)** من الرجل.. وتطورت الزينة مع الزمن حتى صارت علماً، فخبراء الأزياء والملابس وكعوب الأحذية، وآخرون لصف الشعور، ورجال للتدليك والماكياج، وتمرينات من أجل الرشاقة ونحافة الخصور، وهكذا ظهرت المرأة في عصر الخلافة عصر النور والحرية على طبيعتها من الاهتمام بزينة الحياة الدنيا، وتجاوزت من أجلها كل الحدود، إلى التجاوز، فلا يصدق على النساء في عصر الخلافة، لأنهن لا يخضخضن ولا يخفن من كبير وخطير[1].

ورد في خطبة أبيكر الصديق رضي الله عنه: **(لا يدع قومٌ الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم بالبلاء، وأطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)**[2]. قول الرسول صلى الله عليه وسلم: **(ما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بذل)**[3].

الخطب الاجتماعية مليئة بالعديد من الموضوعات المتنوعة لكثرة المناسبات الداعية إليها. والأحداث الاجتماعية في هذا العصر منها ما هو اجتماعي خالص، ومنها ما هو ناجم عن الأحداث السياسية والدينية التي كان لها الفضل على حياة

---

(1)ابن أبي الحديد:شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٢٥.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص٣١٢.

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء الراشدين، ص٣٤٠.

الناس، وكانت الأمصار مزدحمة بالحياة والحركة، وتفتحت أبواب الثقافة والمعرفة على مصارعها مما أفسحت المجال لازدهار الأغراض التي تقال فيها الخطب، فنشاط الخطابة الاجتماعية مرتبطة بنشاط الحياة الاجتماعية نفسها وما حولها من المؤثرات. طلب النكاح من أبرز الموضوعات التي تناولتها الخطابة الاجتماعية، ليس في هذا العصر فحسب بل في العصور السابقة، إذ أن النكاح سنة من سنن الحياة والدين الحنيف الذي شرعه الله للمسلمين، فكان تمسكهم به عظيماً وحرصهم عليه كبيراً .

ففي خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن **(فضل الإسلام)** كثير من الكلمات والآيات القرآنية، فقال: **(له الملك وله الحمد يحي ويميت، وهو حيٌ لا يموت، يعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير)**[1]. وأيضاً يقول: **(أرسله بالهدى ودين الحق لظهره على الدين كله ولو كره المشركون، إلى الناس كافة، ألف بين قلوبكم أيها المؤمنون فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم...)**. ظلت المفاخرات والمنافرات والمباهيات من الموضوعات التي تحظى باهتمام الخطب في هذا العصر، وكانت طبيعة الحياة الاجتماعية تساعد على ازدهار هذه الموضوعات، فهنالك والعصبية القبلية التي تبعتها عصبية البلدان، وتبلورت في صراع عظيم بين العرب والعجم عرف في التاريخ بالشعوبية، فساد من العصبية والمنافسة في شتى المجالات، وحتى الفقهاء والعلماء والأحزاب، والمذاهب لم تخل من عصبيات التشيع والمناصرة، كما كانت المفاخرات تحدث بين خطباء الوفود في مجالس الخلفاء والأمراء، ومن ناحية أخرى حرص الخلفاء على الوفود التي تأتي من خارج الدولة، فانتشرت المباهاة والمفاخرات في العديد من الخطب الاجتماعية مثلاً قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد مقتل أبي عبيد بن مسعود الثقفي[2]. في حرب الفرس التي يقول فيها: **(إن الله عزَّ وجل قد جمع على**

([1]) محمد عبد ربه، العقد الفريد، ط١، ج٤، ص١٥١.

([2]) أبو عبيدة بن مسعود الثقفي صاحب المنبر، استشهد في يوم الجسر في حربه مع الفرس، ابن حجر، الإصابة، ط١، ١٩٧٦م، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، م٦، ج١١، ص٢٤٩.

الإسلام أهله، فألف بين قلوبهم، وجعلهم فيه إخوانا، والمسلمين فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شيء من شيء أصاب غيره..)[١].

قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [٢].

لا يخلو مجتمع من المجتمعات على مر الأزمان من وجود الظلم والاعتداء على الآخرين، ولا تخلو المجتمعات كذلك من وجود العدل ولو في أضيق نطاق، وقد يغلب الظلم والعدوان على العدل أو يطغى عليه كما كان يحدث في المجتمعات الجاهلية. أي مجتمع لا يخلو من الشواذ في انتشار الجرائم بأنواعها، بصورة أوسع نطاقاً، وقد انتشرت المظالم وجار كثير من الحكام في أحكامهم، وكثر من قبلهم أخذ الرشاوى والعبث بالحقوق ومصادرة الأموال والأملاك ظلماً، فضلاً عن جرائم قطع الطريق، فكثرت تبعاً لذلك خطب المظالم وطلب العدالة، وكان لظلم القضاء في هذا مساعداً على ازدهار هذه الموضوعات، إذ أن المتظلم أو الشاكي لابد أن يسرد شكواه ومظلمته بنفسه وشفاهة أمام القاضي يطلب العدالة والقصاص، فكان كل شاكي يصوغ شكواه في خطبة يلقيها أمام من يرجو عنده العدل والإنصاف. كما أنه ليست هنالك جهة قضائية واحدة تفصل في القضايا وترد المظالم فهناك القضاة المعروفون، وهنالك مجالس الخلفاء والسلاطين، فكلهم يفصلون في القضايا التي ترد إليهم، وكان كثير من المتظلمين يحرصون على الإجادة طلباً للاستحسان وبلوغ الغاية وروعة البيان وسطوع الحجة أثرهما في سير القضية في... على بن أبي طالب رضي الله عنه والذي يقول: (**... وإن أتاكم وقد أصابكم أو فرح فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تستكينوا فإنكم الأعلون، وإنها دار الله وهو فاتحها عليكم تصديقاً منا لقول النبيَّ صلى الله عليه وسلم فاصبروا إن الله مع الصابرين)**[٣].

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٤٨١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ط١، ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، مجلد١، ص١٥٠.

﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ* إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[1]. وفي بعض الموضوعات التي نجدها في الخطب الاجتماعية تلقي في مجالس الحكم ودور القضاء حيث كان المتهمون يحضرون أمام القضاء ليدلون بأقوالهم ويدافعون عن أنفسهم ويبرئوا ساحاتهم من التهم الموجهة إليهم، وهذا الدفاع يكون عبر خطبة بليغة وبحضور الشاكي أو المتظلم مما تجعل المحاكمة أشبه بالمناظرة بين الخصمين، فتتجلي في هذه الخطب قوة الحجة وعذوبة المنطق، حيث يسعى كل طرف لإثبات الحق بجانبه ذلك ما جاء في خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: **(الدنيا دارٌ لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء، وهي حلوة خضراء..)**[2]. وقوله: **(حلوة خضراء)** مقتبس من قول الرسولﷺ : **(إن الدنيا حلوة خضرةً وإن الله مستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون)**[3].

أما أسس المعاملات الاجتماعية هي مجموعة من الأغراض التي تتجلى في الخطب والوصايا الاجتماعية، وأحياناً في خطب توجيه اللوم أو العتاب أو الصلح. وتوصية الآباء أبناءهم أو ذويهم وحدث بكثرة في خطب العصر السابق، إذ يحرص الآباء والحكماء على ترويض أبنائهم بخلاصة تجاربهم في الحياة، يحاولون أن يضعوا لهم أفضل الأسس للتعامل مع الآخرين، كما كان الخلفاء يوصون ولاتهم بالرعية خيراً.

وخطباء إصلاح ذات البين يضمنون خطبهم النهج السليم لإعادة الأمن والطمأنينة وكيفية التعايش السلميَّ بين الأفراد والمجتمعات، وعليه فقد كانت خطب الوصايا الاجتماعية وخطب المصالحة هي عبارة عن دعوة للتواصل وطرد الأحقاد، والحرص على المكارم والتحلي بالصفات النبيلة وكيفية التعامل مع

---

(1) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٩-١٤٠.

(2) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٧٢.

(3) ابن الحديد، المرجع السابق، ص٢٧٣. والحديث رقم ٢١٩١ في السنن للترمذي، ج٤، كتاب الفتن، ص٤٨٣.

الآخرين على اختلاف مستوياتهم، جاء في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو ينهي عن الفتنة فقال: **(فإن أَقَل يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت يقولون جزع من الموت، هيهات بعد القيا والتي ...)**[١].

وأيضاً من الموضوعات التي تدور حولها الخطب التي تلقى في المناسبات التأبين والوفيات والاحتفالات بالأفراح كالأعراس والميلاد ومنصب كبير ونحو ذلك. ومن جانب آخر من الموضوعات: الصفات والنعوت وخواص الأشياء التي قد يعرفها الناس ولكن إذا تناولها الأدباء بريشتهم اللفظية ولونوها بأساليبهم الزاهية ووضعوها في إطار من الخطب المحكمة أثارت الدهشة والإعجاب واستمع إليها الناس وكأنهم يعرفونها لأول مرة. ولذا وصى الملوك والأمراء، ووصف البلدان والأحاسيس، وغيرها من الأشياء وإبراز خصائصها من الموضوعات التي تناولها الخطباء. ظل المدح من الأعراض الأصلية في الأدب العربيِّ عبر تاريخه الطويل الحافل، واتخذ العديد من الشعراء من المدح وسيلة للتكسب وكانت تجلب لهم الأموال والقصور والعيان، وكلما أجاد أحدهم المدح نال المدير من الهبات فضلاً عن ذيوع صيته في الآفاق وأمير المؤمنين عليٌّ كرم الله وجهه خاصة كما يقول السيوطي[٢]: (أحد من جمع القرآن وعرضه على النبيِّ صلى الله عليه وسلم)[٣]. ويقول ابن الحديد[٤]: (وأما قراءته للقرآن والاشتغال به، فهو المنظور إليه في هذا الباب، اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يكن غيره يحفظه ثم هو أول من جمعه)[٥].

خطب سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه:

أخرج ابن جرير الطبري من طريق سيف بن بدر بن عثمان عن عمه قال: بايع أهل الشورى عثمان، خرج وهو أشد كآبة، فأتى منبر الرسولﷺ فخطب

---

(١) الإمام محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٤٨.

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، الزركلي، الإعلام، ج٣، ص٣٠١.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٥٥.

(٤) هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد.

(٥) شرح نهج البلاغة، ج١، ص٩.

الناس، فحمد الله ثم قال: (**إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار ، فبادروا آجـــالكم بخير ما تقدرون عليه، فقد أتيتم صبحتم ، أمسيتم ألا وأن الدنيا وأخواتهـــا قـــد طويت على الغرور**) واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فإن لا يغفل عـــنكم أين أبناء الدنيا وأخوىنها الذين أثاروها وعمروها وتمتعوا بها طـــويلاً؟ تلفظـــتم؟ أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب الله مثلاً والـــذي هو خير، فقال الله عز وجل (**وأضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلنـــاه مـــن السماء فأختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تزوره الريـــاح وكـــان الله علـــى شيء مقتدرا**) [1].

(من خطب سيدنا عمر، أصبحا يحرضـــان النـــاس علـــى طلـــب الـــدين بزعمهما' ولقد علم أني لم أخالف رسول الله ﷺ قط، ولم أعصه في أمر، بنفسي في المواطن التي ينكص: أحجم عنه، فيها للإبطال وترعد فيها الفرائض: وهـــي جمع فريضة، وهي الخمه بين الجنب والكتف لاختزال، بنجـــدة اكـــر منـــى الله سبحانه وتعالى، بها وله الحمد، ولقد قبض الرسول ﷺ، وان رأسه لفي حجري، ولقد وليت غسله بيدي وحدي تقلبه المقربون معي، الله ما اختلفت امة قط بعـــد نبيها، إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا ما شاء الله) [2].

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول:(الحمد الله الذي لا يبرم ما نقض، ولا ينقض ما أبرم، لو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمـــة، ولا من خلقه، ولا تنازع البشر في شيء من أمره، ولا جحد المفصـــول ذا الفضـــل فضله، وقد ساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار، حتى لفت بيننا فـــي هـــذا الموضـــوع، ولو شاء لجعل النقمة، ولكان منه النصر، حتى يكذب الله الظالم، ويعلم المحـــق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال، والآخرة دار الجزاء والقرار،(إلا إنكم تلاقون العدو غداً إن شاء الله ، فأطيلوا الليلة القيام، وأكثـــروا تـــلاوة القـــرآن، واسألوا الله الصبر والنصر، والقوهم بالحد والحزم ،وكونوا صادقين) [3].

---

(1) الإمام عبد ربه، شرح نهج البلاغة ،ج٢،ص:٤٩

(2) شرح ابن أبي الحديد ، ج١،ص:٤٨١.

(3)محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص:٧.

خطب الإمام علي كرم الله وجهه في أصحابه متوكئاً على قوسه، وقد جمع أصحاب الرسول ﷺ عنده فهم يلون، كأنه أحب أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:(إما بعد: فإن الخيلاء: الكبر، من التجبر، وأن نخوة : الافتخار والتعظيم، من التكبر، وأن الشيطان عدو حاضر، يعدهم الباطل. إلا إن المسلم أخوا المسلم، فلا تنابذوا، ولا تخاذلوا، إلا أن شرائع الدين واحة، وسبله قاصدة: استقامة الطريق.من أخذ بها الحق : أدرك رضاء الله وثوابه، وإلى جهاد عدوه، والشدة في الأمر، و مرضاته، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام شهر رمضان وتوفير الفيء على أهله. إلا وإن من أعجب)[1].

يتحلى خطبة الإمام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،ويرشد الناس بالتعلم الأركان الإسلام والعمل بها.

---

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ج٢، ص:٣٤٥.

المبحث الرابع

الخصائص الفنية والفكرية في الخطابة الاجتماعية

أولاً: الأسلوب: هو الطريقة الذي يُعبر به الأديبُ عن نفسه في تناوله للموضوع. والأسلوب هو فن من الكلام يكون قصصاً أو حواراً، تشبيهاً، أو مجازاً أو كناية..

وهذا العنصر اللفظي يشمل النص الأدبي الذي يتخذه الأديب وسيلة للإقناع[1]. إذ أن قوة الصياغة اللغوية بهذه النصوص يتمتع أسلوبها بنفس الخصائص الموسيقية والبيانية التي يتمتع بها الأسلوب عندما كانت الخطابة تؤدي إلى نقص الوظيفة الشعرية وهي إثارة النفوس وحفز الهمم وتحريك الجماهير[2].

والخطيب عندما يعبر بالصورة المتخيلة عن المعنى الذهني الذي يقصده وحالته النفسية، فإن صورته تظهر وقد استوت لها كل عناصر التحليل وذلك عن طريق الألفاظ التي يستخدمها، والمعاني التي يقصدها والأنغام التي يختارها([3]). **(وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور)**[4]. وقد أدرك تلك القيمة للاستعارة الناقد الفذ عبد القاهر الجرجاني باهتمام بالغ فهي عنده: **(أمر ميداناً، وأشد افتناناً وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً وأوسع سعة وأبعد غوراً في أن تجمع شعبها وشعوبها وتحسن فنونها وضروبها)**[5]. ولكننا نستطيع من وجهة أخرى أن نكشف وظيفة متميزة من تغيير الفكر ذلك أن نظام الاستعارات يكشف على الدوام علاقات جديدة بين الأشياء[6]. هنا قول الإمام وهو يخاطب أهل البصرة: **(فادعوا الله الصلاح لأئمتكم فإنهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون ومتى**

([1]) أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب البلاغية، مكتبة النهضة المصرية، ص٤١.

([2]) د. محمد مندور، الأدب وفنونه، ص١٦٩.

([3]) سيد قطب :في كتاب التصوير الفني في القرءان الكريم ص:٣٣.

([4]) سيد قطب: التصوير الفنِّي في القراءات، طبعة دار الشروق، القاهرة، ص٣٣.

([5]) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، شرح وتحقيق عبد المنعم محمد خفاجيٍّ، ط٣، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م، ط مكتبة القاهرة، ص١٣٦.

([6]) د. مصطفى ناصف: الصور الأدبية، ط الأندلس للطباعة والنشر، ص١٤٧.

يصلحوا تصلحوا، ولا تشربوا قلوبكم بغضَهُم فيشتدّ لــذلك غــيظكم)[١]. صــور الاستعارة التي استعرضناها وقبلها الصور التشبيه، نرى أن الاستعارة أقوى مــن التشبيه، ويرجع السر الجمالي للاستعارة في أنها تبرز المعنى المعنوي في صورة حسية ملموسة نابضة بالحياة والحركة، ويمتع فيها الإنسان سمعه وبصره، وتغزي النفس في الجوانب المتعددة. التخيل والتصوير: وهو الإلمــام بــالعلوم البلاغيــة **(البيان، المعاني، البديع)** والفن والقدرة يظهر التجاوب مع الأدوات الجمالية بــين الأديب والمتلقي من حيث العرض والقبول والإحسان بأثر الفائدة معاً؛ لأن البلاغة ما تبلغ المعنىَّ قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنــه فــي نفســك مــع صــورة مقبولة)[٢].

وعلم البيان[٣] أثر واضح في تأدية المعاني بصورة مختلفة **(ومن دراســة علم البيان أن المعنىَّ الواحد يستطاع أداؤه بأساليب عدة، وطرائق مختلفة، وأنه قد يوضع في صورة رائعة من صور التشبيه أو الاستعارة أو المجاز العقلــي أو كناية)**[٤]. ومن الكنايات المعبَّرة أيضاً قول الإمام: **(إنا والله لا نموت تخفا، ولكن مقصاً بالرماح وموتاً تحت ظلال السيوف)**[٥].

وللبديع أيضاً دور فاعل في معرفة الوجود والمزايا التي بواسطتها يكتسب الكلام جمالاً وقبولاً **(وعلم البديع يعرف به وجود تحسين الكــلام بعــد رعايــة تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة)**[٦]. وتزداد قوته عندما يجتمع الجناس مع الطباق مع المقابلة وذلك في خطب الإمام الواعظ في قولــه: **(أيهــا النــاس اعملوا لله رغبة ورهبة، فإنكم نبات نعمته وصيد نعمته، ولا تعرس لكم الآمال إلا**

---

(١)الجاحظ: البيان والتبيين، ص٢٤٤.

(٢) أبو الهلال العسكري: الصناعتين (الكناية والشعر)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد الفضل إبــراهيم، ط١، سنة ١٣٧١هـ–١٩٥٢م، طبعة عيسي البابي وشركاءه، ص١٠.

(٣) علم البيان هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضــوح الدلالــة عليــه، الخطيــب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، طبع مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، بمصر، ص١٢٠.

(٤) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص٣٥٦.

(٥) عبد ربه :العقد الفريد، ج٤، ص١١٠.

(٦) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص١٩٢.

ما تجتنبه الأجيال...)[1]. ومجمل القول: إن خاصية التخيل والتصوير هي عماد الأسلوب الفنّي، فهي بمثابة قوة التأثير، والخطيب ينفعل كثيراً بالمؤثرات الحسية والخيالية.

الألفاظ والمعاني: **(من مميزات الأسلوب الخطابي حسن اختيار الألفاظ التي تؤدي إلى المعنّى المراد دون لبس أو غموض، وفوق ذلك كله مدارس تدريس اللغة والنحو والحديث والفقه وعلى رأسها مدرستا الكوفة والبصرة، وكانت هذه المجالس تضم المسلم واليهودي والنصراني والمجوسي.. فصاحة اللسان)** ولا شك من يتصدى للكلام إمام هؤلاء ينبغي وضوح العبارة، والقدرة على الإفهام[2].

فالخطبة وعباراتها بحسب المقام الذي يقال فيه، فخطب التهديد والوعيد والحروب وإخضاع التمرين كلها تمتاز بقوة العبارة، وفخامة التعبير واستعمال الكلمات الشديدة الغليظة، أما حالة السلم والهدوء التي لا تعدو الخطبة فيها أن تكون نصيحة، فلا داعي لهذه الشدَّة، ويكفي استعمال الألفاظ المألوفة الرقيقة[3].

الخطب التي تخص المناسبات الاجتماعية المختلفة تأتي الألفاظ والعبارات حسب الغرض. منها خطب التهنئة والتعزية والرثاء والمصاهرات، في كل موقف مطلوب الخطيب أن يتحلي بربابطة **(رابط الجأش، وساكن الجوارح، وقليل اللحظ متخير اللفظ لا يكلم سيد الأمة، ولا يغفل ذلك حتى يصادف حليماً أو فيلسوفاً)**[4].

قام الإمام فحمد الله وأثني عليه **(أصلح الله أمير المؤمنين إنا قد أصبحنا في زمان مختلفةٌ أهواؤه، قد أحوذيت علينا سيشاؤه[5]، وقد طويت[1] علينا**

([1]) احمد زكي صفوت:جمهرة خطب العرب، ج٢، ص٤٦٤.

([2]) قدامة بن جعفر، نقد النشر، ط٣، ١٣٥٧هـ-١٩٨٣م، ط لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة، ص٥.

([3]) د. عبد الجليل عبد الشلبيِّ، الخطابة وإعداد الخطيب، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، طبعة دار الشروق، ص٢٥.

([4])لجاحظ: البيان والتبيين،ج٢ ص٦٤.

([5]) سيساء الحق، أبي علي حرة، والعرب تصديه مثلاً لشدة الأمر، قال الشاعر:

لقد حملت قيس بن عيلان حربنا ** على يابس السيساء محدوب الظهر

يقول حملناهم على مركب صعب كسيساء الحمار، أبي حملناهم على ما يثبت على مثله

أدواؤه)[2]. ثم يبذل الجهد في إيجاد الصلة بين الألفاظ التي يستخدمها والمعاني التي يقصدها. إن اللفظ ليس بمنعزل عن المعنىً، ولا المعنىً بمنعزل عن اللفظ في تشكيل الصورة من الصور بل كل منهم متمم للآخر. ومن ذلك قيل **(إن الأسلوب ليس هو المعنى وحده، ولا اللفظ وحده، إنما هو مركب فنيً من عناصر مختلفة، هي الأفكار والعواطف، ثم الألفاظ المركبة، والمحسنات المختلفة)**[3].

أسلوب السجع والتوازن: هو لون من ألوان الأداء يزيد به الكلام جمالاً وحسناً، ويضَفيِّ إليه رونقاً وطلاوة[4]. ثم ناقش أبو الهلال العسكري مسألة السجع: **(لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسن منه إذا سلم من التكلف وبرئ من العيوب)**[5]. وقد ذكر في بداية فصل الخطابة الاجتماعية، في خطابة الوفود قدوم وفد أياد على الرسول ﷺ، وخطبة قس بن ساعده الأيادي التي عمدت بالسجع والترنيم في قوله: **(اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبراً، سحائب تمور والنجوم تفور، في فلك يدور...)**[6]. وكيف أن الرسول ﷺ أعجبه كلام قس وأشاد به واستمر الحال كذلك في العصور الإسلامية اللاحقة: **(وقد كان خطباء يتكلمون عن الخلفاء الراشدين فتلون في تلك الخطب أسجاع كثيرة فلم ينهوا أحداً)**[7].

(السجع لم يكن ظاهرة ملازمة لأسلوب الخطاب في عهد النبوة، وإنما كان الخطباء يصدرون عن بلاغتهم الفطرية، ويتركون معانيهم تقودهم إلى الألفاظ المناسبة فإذا وقع في كلامهم سجع فهو من قبيل الطبع والفطرة لا من

---

(1) أقطوطب: على وزن أفعوعل وهي من قطب، وقطب القوم: اجتمعوا وقطب بين عيينة جمع والمراد من المعنىً اجتمعت وتراكمت علينا أدواؤه.

(2) جمهرة قطب العرب، ج ٢، ص٢٢٥.

(3) أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، ط٢، طبع ونشر علم الكتب، ص٧٦.

(4) جاء في تعريف أن السجع هو:(تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد) الخطيب القزوينيِّ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص٢٢٢.

(5)الجاحظ: البيان والتبيين، ص١٥٥.

(6) ابن عبد ربه:العقد الفريد، ج٤، ص١٢٨.

(7)الجاحظ: البيان والتبيين، ص١٥٥.

قبيل الصنعة والتكلف)[1]. ومنها أيضاً خطب التهنئة والتعزية . عرفنا هذه الكلمات وما فيها من أنغام موسيقية وإيقاعات موزونة قد نزلت برداً وسلاماً وخففت الكثير من ألم الفقد. وأيضاً النموذج من مجالس الخلفاء عنْد المفاضلة بين فرسان النقائض جرير والفرزدق والأخطل[2].

فالسجع جاء مناسباً تماماً للموقف والمعانيِّ المستهدفة. وقد عني أصحابها والرنين سواء عن طريق السجع غير المستتكرة وعن طريق الازدواج والتوازن، لاسيما بتقسيم العبارة إلى جمل متوازنة في القصر والطول دون صنعة مفتعلة ومقصودة. هذا بخلاف ما ذهب إليه المختار بن عبيد الثقفيِّ[3]. والذي كانت فيه شعوذة جعلته يتأثر في خطابته بكهنة الجاهلية ويتعمد محاكاتهم ليحيط شخصه وكلامه بهالة من القدسية الدينية.

ولذا كان يسترسل هذا النوع من السجع ويوشي فقراته برموز الإيمان واللفظ الغريب على شاكلة قوله، وقد بلغه أن جماعة ارتابوا في كونه مبعوث ابن الحنفية وقد توجهوا إليه ليقفوا الأمر: **(إن نفيراً منكم ارتابوا وتحيروا وخابوا، فإن هم أصابوا، اقبلوا وأنابوا**[4]**، وإن هم كبوا وهابوا أترضوا وأجابوا**[5] **فقد ثبروا**[6] **وحابوا)**[7].

وخطب الإمام قال: **(يا أمير المؤمنين، إنها كثيرة الصّخب دائمة الدرب، مهينة للأهل، مؤذية للبعل، مسيئة إلى الجار مظهرة للضار، إن رأت خيراً كتمته، وإن رأت شراً أذاعته)** وقالت الزوجة: **(يا أمير المؤمنين ما علمته إلا**

---

(1) عبد الحكيم بلع، النشر الفنيَّ وأثر الجاحظ، ص١١٨.

(2) جمهرة خطب العرب، ج، ص٣٤٤-٣٤٥.

(3) وكان المختار خارجياً ثم صار زيدياً ثم صار شيعياً، وهو مؤسس الفرقة الكيسانية المشهورة في تاريخ الشعية كان من أهل الدهاة لسناً فصيحاً. جمع الشيعة حوله وكان يزعم أنه يوحى إليه، فلما انتشر ذلك في كتب أهل الكوفة إلى مصعب بن البير خرج إليه مصعب وقتله وقتل أصحابه، المبرد الكامل، ج، ص١٦٧.

(4) أناب الرجل إلى الله، رجع إليه بالتوبة.

(5) انجابوا: انشقوا عنا.

(6) ثبروا: هلكوا.

(7) جابوا: اتموا: تاريخ الطبرى، المجلد٤، ص٤٩٣.

جهولاً، ملحاً بخيلاً، إن قال فشرَّ قائل، وإن سكت فذو دخائل ليث حين يؤمن، وثعلب حين يخاف، شحيح حين يضاف، إن ذكر الجود أنقمع لما يعرف من قصر رثائه، ولؤم آبائه، ضيفه جائع، وجاره ضائع، لا يحفظ جاراً، ولا يحمي) إيقاع السجع متواصل.

وقد أشار الجاحظ قال: (ومما مرحوا به الإيجاز والكلام الذي هو كالوحي، والإشارة في قول: أبي داود بن جرير الأيادي:

يَرْمُونَ بالخُطَبِ الطِّوالِ وتَارَةً ** وحَيِّ المُلاَحَظَ خِيفَةَ الرَقَبَاءِ[1]

والتكرار المعنوي وسيلة من وسائل الإطناب إذ أن الخطيب –أحياناً– يعبرَّ عن المعنى الواحد بطرق مختلفة لتمكين ذلك المعنىَّ في النفس، فقد يلجأ بعض الخطباء إلى ترداد عباراته توكيداً للمعنىَّ الذي يريده، وتقديراً له السامع. وإلا هو يحلو في الخطابة كما يحلو في الكتابة، ومقامات الكلام هي التي تحدد الترداد على قدر أحوال المستمعين، وعلى قدر ما يحتمله المقام من المقال[2].

ومن أمثلة ذلك قول الإمام يهدد أهل العراق فقال: **(أيها الناس من أعياه داؤه فعندي دواؤه، ومن استطال أجله فعلىَّ أن أعجله، ومن ثقل عليه رأسه عنه ثقله، ومن استطال ماضي عمره قصرت عليه باقية)**[3].

فهذه العبارة كلها بمعنى واحد، إلا أن التعبير مختلف، وأيضاً خطبة سيدنا عمر التي استعرضنا في الخطابة الدينية. وأن الخطيب قد سلك أسلوباً مناسباً للخطابة وهو أسلوب الإطناب بالجمل المتزاوجة والمترادفة في قوله: **(لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سدى).**

وبفضل هذه الترادفات بين الجمل والمعاني تتحقق الفائدة من الإطناب؛ لأن الإطناب هو إيضاح بعد الإفهام ليثري في صورتين مختلفتين، إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام لتشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل

---

(1) البيان والتبيين، ص٩٦.

(2) محمد عبد الغني حسن، الخطب والمواعظ، ص٣٥.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، المجلد١، ص٢٢٠.

والإيضاح[1]، ويعتمد الخطيب في توليد صور عديدة من معنىً واحد ليكسب صورة الحيوية والنماء. ولكن أحياناً قد يكون هناك تكرار في ألفاظ. **(فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل. فإذا تكرر اللفظ والمعنىِّ جميعاً فذلك الخذلان بعينه)**[2].

الاستشهاد بالشعر:

فهو الأصل من الأصول الثقافية، وهو الحضارة عند العرب ديوانهم وتاريخ حياتهم، إن الخيال في الشعر قد يكون أكثر ألواناً وأبعد آفاقاً من الخطابة؛ لأن الخطيب في حالات كثيرة مرتجل لشكل خطابته

وقد يَسْتشهد الخطيب في خطبته بشيء من الشعر فيذكر شطراً من البيت، أو يذكر بيتاً، ليزين كلامه ويزخرفه، ذلك أن للشعر موسيقيا تعجب السامعين وتثير شعورهم وعواطفهم، والاستشهاد بالشعر فيه قوة وَسَنَدٌ لكلام الخطيب بشتى من الشعر لإثارة سامعيه في النفوس بعيد المدى **(لهذا قد يحلي الخطيب خطبته بشيء من الشعر لإثارة سامعيه، وإيقاظ عواطفهم، كما قد يستعمل أسلوباً شعرياً يقدم أيضاً على الخيال والعاطفة ولكن قوام الخطبة وكيانها يقوم على الإقناع والاستمالة)**[3].

وإذا كان الفرق بين الشعر والنثر يكمن في التشكيل الظاهري لكل منهما من حيث تقييد الشعر بالوزن والقافية والموسيقيا والنثر خلاف ذلك –إلا أن هم الخطابة تتناول المسائل الجادة وتقوم على الحقائق الملموسة لأن الاستشهاد بالشعر– حتى أواخر القرن الثالث الهجري لم يكن كثيراً عند الخطباء إلا أنه – على نُدرته كان وارداً عند بعضهم.

---

(1) الخطب للقزوينيِّ، الإيضاح في علوم البلاغة، ص١١١.

(2) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق دكتور محمد قزقزان، طبعة دار المعرفة بيروت، ص٦٨٣.

(3) الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ط١، ١٤٠١هـ–١٩٨١م، طبعة دار الشروق، ص١٥.

إنَّ أبا بَكْرٍ هو الغيث إذ * لمَ يَشْمِلِ الأرْضَ سحابٌ وَمَاءُ**[١].

وعبد الله بن الزبير عندما حاصره الإمام بمكة قال في خطبته بهذين البيتين:

أبَيَ لابَنَ سُلْمَى أنَّهُ غَيِّر خَالَد ** مَلَاقي المُنَايا أيُّ صَرْفِ تيّماً

فَلَسْتُ بِمبْتاعِ الحياة بسبَّة ** ولا مَرْتقٍ من خَشّيَة المَوْت سُلَّما[٢].

وبعد أن قال هذين البيتين أصابه حجر فصك جبينه فأدماه فقال:

ولَسنا علىَ الأعْقَابَ تُدّمَي لقومْنَا ** ولَكَن عَلَى أعَقَابَنَا تقطر الدِمَارُ[٣].

وعبد الله بن الزبير فارس قريش الذي صمد أمام الموت.

والأبيات التي قالها عامرة بالكنايات التي تكنيِّ عن ثباته وشجاعته واستقباله الموت بصدر رحب.

والنساء أيضاً يتأثرن بالشعر ويستشهدن به في خطبهن وأقوالهنِّ. علي بن أبي طالب في صفين وناصرته قالت وهي تفتخر بأخيها وتذكُر ببيت الخنساء المأثور في أخيها صخر:

وإنّ صَخْراً لتأتَم الهَدَاة به ** كَأنَه عَلَمُ فِي رَأسَه نَارُ[٤].

إلى جانب رثاء الشهداء، كان هنالك رثاء الخلفاء، لأن فقد خليفة المسلمين لم يكن أمراً سهلاً، وخاصة الخلفاء الراشدين، فهذا عمر بن الخطاب رثته حفيدته عاتقة بنت زيد بن عمر بن الخطاب قائله:

عَيْنِ الجَوىِ يعْبَرةٍ ونَحَيَب[٥] ** **لا تَلمنيِّ عَلَى الإمام النَّحيب**[٦].

فَجَعَتَني المَنَونُ بالفَارِس المعّلَمَ[٧] ** **يَومَ الهياج تلبيب**[٨]

---

(١) البيت للشاعر خفاف بن نديه ابن عم الخنساء كان فارساً مقداماً، توفي أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) محمد بن جرير الطبري:تاريخ الطبري، مج٧، ص٢٠٤.

(٣) نفس المصدر، والصفحة.

(٤) انظر هذا البحث.

(٥) النِّحيب: البكاء بصوت مرتفع.

(٦) النحيبُ: الفاضل على غيره.

(٧) المعلم: الفارس الشجاع.

(٨) التلبيب: القتال.

عَصَمْةَ النَاسَ والْمُعِينَ علَىَ الدّهَرَ ** وَغَيَـــــثَ المَنتَـــــابَ[1] والْحَـــــرُوْبِ[2]

في الأبيات السابقة تطلب من عينها أن تسكب الدَّمع غزيراً، وتنوح علـــى ذلك الإمام الذّي فضل على الناس في الذمة. إنَّ الموت فجعني فجيعة أليمة بأخـــذه ذلك الإمام الفارس، الذي يهابه الناس يوم تشب الحرب التي تلخم فيها الصفوف.

لقد كان عمر عاصماً للناس من الفقر والمجاعة، وكان معينـــاً لهـــم علـــى الضِّراء، وكان من يقصده من المحتاجين والفقراء.

الاستشهاد بالقصة:

القصة فرع من فروع النثر وضرب من ضروب الكتابة. وقد عنيـــت بهـــا الأمم في الأزمان كلها. في الأدب العربي وآداب الأمم الإسلامية أنواع شتى منها. وعنى القرآن الكريم بالقصص فذكر منها قصص الأنبياء، وكقصة سيدنا يوســـف ذكرت في سورة كاملة سميت باسمه وجاء في أولها: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَـنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [3].

واهتم المسلمون من بعده بتفسير قصص القرآن وهو ما يعرف بالقصص الدينية.

وللقصة –من حيث أنها نتائج أدبي– مزايا كثيرة أهمها أنها تشوق القـــارئ وتضطره لمتابعة حوادثها.

والقصة هي الأداة المرنة من جهة، وقوية التأثير من جهة أخـــرى. وهـــي مقبولة قبولاً حسناً لدى الخاصة والعامة على السواء.

وتنقسم القصة إلى عدة أقسام حسب مقدارها من الطول والقصر والنـــوع. وقد يغلب أحياناً طابع القصة على أسلوب الخطبة. والخطيب يجـــنح إلـــى هـــذا الأسلوب لأن القصة تعينه على إفهام السامعين ما يريد.

تتناول نموذجاً من خطبة الإمام عام حجة وهو على منبر فقال: **(يا معشر قريش مثلنا أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين، فنزل في ظل الشجرة تحـــت**

([1]) المنتاب: المحتاج الذي يقصده الناس للعطاء.

([2]) المحروب: من أفقرته الأيام ماله.

([3]) سورة يوسف، الآية: ٣.

صفاه، فلما دنا الرّواح خرجت إليهما من تحت)[1] حية تحمل ديناراً، فألقته إليهما، فقالا: إن هذا لمن كنز.. فقال لها: يا هذه إني والله ما رضيت ما أصـــابك، ولقـــد بهت أخي عن ذلك، فهل لك أن نجمـــل الله بيننـــا أن لا تضـــريني ولا أضـــرك وترجعين إلى ما كنت، فهلك عليه؟ قالت الحية: لا، قال: ولم ذلك؟ قالـــت: إنـــي لأعلم أن نفسك لا تطيب لي أبداً، وأنت ترى قبر أخيك، ونفسي لا تطيب لك أبداً، وأنا أذكر هذه الشيخ[2]، وأنشدهم شعر النابغة الجدي: فقال: أري قبـــراً مقـــابلي، وضربة فأس فوق رأسي فاغرة فيا معشر قريش ولكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان فظاً مضيقاً عليكم، فسمعتم له وأطعتم، ثم وليكم عثمان فكـــان ســـهلاً، فعدوتم فقتلتموه، وبعثنا عليكم مسلماً، هذه الخطبة لأهل المدينة عندما رفضوا قبول عطائه، لقد ساق لهم هذه القصة.. في ختام خطبته قال: **(فنحن نعلـــم يـــا معشـــر قريش أنكم لا تحبوننا أبداً وأنتم تذكرون يوم الحرة، ونحن لا نحبكم أبداً ونحـــن نذكر قتل عثمان)**. والقصة كانت واقعية أم خيالية في النهايـــة توضـــع لضـــرب الأمثال والاعتبار. تلك هي أبرز السمات الفنية التي شملتها الخطابة الاجتماعية.

التشبيه: ومن التشبيهات الجميلة التي وردت في خطبة علي بن طالب رضـــي الله عنه، لما بويع بالخلافة بالمدينة:**(إلا وإن الخطايا خيل شمس** [3]**.حمل عليها أهلها وخلعت لجمها فتفحمت بهم في النار ، إلا وإن التقى مطايا ذلل** [4]**.حمل عليهـــا أهلها وأعطوا أزمتها فأورتهم الجنة)** [5].

فشبه الخطايا بالخيل الجموحة التي لا يسهل انقيادها وتمنع أظهرها من إن تركب، فأعطى صورة للخطايا بهذه الخيل الصعبة التي تتفحم بصاحبها في المهالك، فالذي يرتكب الخطايا والمعاصي لاشك أنها تورده النار، فمثاله مثال الذي يركب فرساً جامحاً غير ملجم فإنه يقتحم به المهالك التي ترديه، وعكس هذه الصورة، صورة

---

(١) الصفاة: الحجر الصلد الضخم.

(٢) راجع مجمع الأمثال للميداني، جل، ص٦١، في المثل (كيف أعاودك وهذا أثر فأسك).

(٣) الشمس:جمع شموس: وهو النفور الذي لا يستقر، ويمنع ظهوره (لسان العرب، ج٧، مادة (الشمس) ص:١٩٣-١٩٤.

(٤) ذلل: جمع ذلوا : وهو السهل الين من الدواب (لسان العرب ،ج ٥ مادة (ذلل) –ص:٥٥.

(٥)ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ج١، ص:٩١.

التقوى فإنها مثل المطايا سهلة الركوب القادة لراكبها حتى توصله بر الأمان.وقد ضرب بهذه الصورة أمثلة للخطايا والذنوب التي تهلك أصحابها وتوردهم النار، والتقوى والعمل الصالح الذي ينجحان أصحابهما ويوردانهم الجنة، فالنار مثوى المخطئين المذنبين، والجنة دار المتقين الصالحين.

الاستعارة: ومن جاء في خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قوله:(**...حيث تلتقون ولا دليل**) [١].

ففي قوله هذا استعارة تصريحيه، حيث شبه حالهم في عدم الاهتداء إلى الطريق القويم، بحال من لا دليل له يهديه سواء السبيل، وبحال من يحتقر ليخرج الماء لكنه لا يهتدي إلى مكان الماء، فيظل تائهاً حائراً في أمره. فيقول لأصحابه:(**فعلت من إرشادكم وأمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر ما يجب على مثلي، فوقفت لكم على جادة الحق ومنهجه حيث ترق الضلال كثيرة مختلفة من سائر جهاتي، وأنتم تائهون فيها تلتقون ولا دليل لكم، وتحتفون لتجدوا ماء تنقعون به غلتكم فلا تظفرون بالماء**) [٢].

وتجد الاستعارة التمثلية وذلك في قوله:(...اليوم توقفنا على سبيل الحق والباطل من وثق بماء لم يظمأ) [٣].

الكناية: ما جاء في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام بالكوفة فقال:(**اللهم إني قد مللتم وملوني، وسئمتهم وسئموني، فسقط عليهم فتى تثقيف الأذيال المنان يلبس فروتها ويأكل خضرتها**) [٤].

أي يلبس الدفء اللين من ثيابها، ويأكل الطير الناعم من طعامها تنعماً وإترافاً فضرب الفرو، والخضرة لذلك مثلا[٥].

---

(١) ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ج١، ص٧٠.

(٢) أبن أبى الحديد ، نهج البلاغة ،ج١، ص٧١.

(٣) أبن أبى الحديد ،نهج البلاغة ،ج١،ص٧٢.

(٤) الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث، ج٣، ص١١٠.

(٥) الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث، ج٣، ص١١٠.

والضمير للدنيا، وهو كناية عن صفة التمتع والتنعم والترف فإطلاق الفــرق مــن الثياب، والخضرة الناعم من الطعام ، إطلاق هذه الألفاظ أريد منــه لازم معنــاه. والكناية في الأصل لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعني[1]. من حكمة أبي بكر رضي الله عنه قال: **(صنائع المعروف تقي مصارع الســوء)** ومن حكم عمر رضي الله عنه: قال: **(من كتم سره، كان الخيار بيده)** ومن حكــم عثمان رضي الله عنه قال: **(ما ينزع الله بالسلطان أكثر ممــا ينــزع بــالقرآن)** وأيضاً: **(تاجروا الله بالصدقة تربحوا)**. من حكم علي رضي الله عنه قال: **(رأي الشيخ خير من شهد الظلام)**[2]. قال: **(استعن عمن شئت تكن نظريه، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره)** قال: **(من طلــب مــا لا يعنيه فاته ما يعنيه)**[3].

ثانياً: الخصائص الفكرية: هذه الأفكار تدور حول إيجاد أفضل الســبل لتحقيــق أهداف الخطبة وأعراضها، ووجود الأفكار في الخطبة وتسلسلها على نحو منطقي، وانسياب المعاني عبرها تجعل الخطبة متكاملة ومؤثرة في النفوس، أمــا النتــائج المترتبة عليها فهي متروكة للظروف وما يحيط بها من مؤثرات، وكل موضوعات الخطب الاجتماعية التي قدمت في هذا الفصل كانت تسيطر عليها فكرة واحدة هي إثارة العواطف، فقد ركزت الخطب الاجتماعية في عصر الخلافة علــى الناحيــة العاطفية. فخطب النكاح تقوم على فكرة تزكية الخاطب والرفع من شأنه ومدحــه ولو بما ليس فيه، وإغراء أهل الخطوبة للقبول به.

خطب علي بن أبي طالب يبين فيها أصل الزوجة ونسبها وقال: **(الحمد لله الــذي جعلنا من زرية إبراهيم، وذرية إسماعيل وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوبــاً، وجعلنا الحكام على الناس. ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يــوزان بــه فتي في قريش إلا رجح عليه، براً وفضلاً، وكرماً وعقلاً، ومجداً ونبلاً)** [4].

---

(١) انظر الخطيب القز يني ، التلخيص في علوم البلاغة ،ص٣٣٧.

(٢) المعنى، أطلب رأي الشيوخ الذين حنكتهم التجارب فتفاد، ولا تطلب ملازمة ذوي الأوجه الفراء فتصطاد.

(٣) الدكتور محمد علي محجوب، الخطابة في مركبة الدعوة، تحقيق الدكتور محمود محمد عمارة، القــاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص٣٧٠.

(٤) أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ج١، ص:١٠.

خطبة أمير المؤمنين في رثاء فاطمة، روى علي بن الحسين عن أبيه الحسين عليه السلام قال: **(لما مرضت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصت إلى علي أن يكتم أمرها ويخفي خبرها ولا يؤذن أحداً بمرضها ففعل ذلك، وكان يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس على استسرار بذلك كما وصت به، فلما حضرتها الوفاة وصت أمير المؤمنين أن يتولى أمرها ويدفنها ليلاً ويعفي قبرها، فتولى ذلك أمير المؤمنين دفنها وعفى موضع قبرها، فلما نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن، فأرسل دموعه على خديه وحول وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليك يا رسول الله منّي والسلام عليك من أبنتك وحبيبتك وقرّة عينك وزائرتك والبائية في الثرى ببقعتك، المختار الله لها سرعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري وضعف عن سيّدة النساء تجلدي، إلاّ أن في التأين لي بسنتك والحزن الذي حل بي لفراقك موضع تعزّ، ولقد وسّدتك في ملحد قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدري ومغمضتك بيدي وتوليت أمرك بنفسي، نعم وفي كتاب الله أنعم القبول، وإنّا لله وإنا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة واختلست الزهراء فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله، أما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار الله لي دارك التي فيها مقيم كمد مقيح وهم مهيج سرعان ما فرق بيننا وإلي الله أشكو، وستنبئك ابنتك بتظارف أمتك علي وعلى هضمها حقها فاستخبارها الحال فكم من غليل معتل بصدرها، لم تجد إلى بثه سبيلاً وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين، سلام عليك يا رسول الله، سلام مودع لا سئم ولا قال، فإن انصرف فلا عرف ملالة وإن أقم فلا عن سوء ظناً بما وعد الله الصابرين، والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المتولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاماً والتلبّث عنده معقوفاً، ولأعول أعواذل الثكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سراً ويهضم حقها قهراً وتمنع جهراً، ولم يطل العهد ولن يخلق منك الذكر، فإلى الله يا رسول**

الله المشتكى وفيك أجمل العـزاء، فصـلوات الله عليهـا وعليـك ورحمـة الله وبركاته[1].

وخطب المدح تقوم على فكرة تلميع الممدوح ونعته بالصفات المحببة إليـه وقد يبالغ الخطيب في ذلك، ولكن سواء بالغ الخطيب أم لم يبالغ، وسواء صدق أم كذب فإنه يطمع من وراء ذلك إلى نيل رضا الممدوح بالسعادة، والرضا هو مـا يجعله الخطيب ويجزل له العطاء، وإحساس الحضور والعامة بروعة الخطبة هـو الذي تدفعهم للإعجاب بالخطيب وخطبته ورفعهم لشأنه.

وفي الخطب القضائية نجد في كثير من الأحيان ميراث العدالة معلقاً علـى ألسنة الفصحاء والبلغاء من قبل المتهمين والمتظلمين، والقرار النهائي في قضـية يستند إلى إقناع القاضي وهذه القناعة تأتي موافقة لهواه وميوله.

وخطب إصلاح ذات البين تقوم على فكرة التأثير في عواطـف أطـراف النزاع وإقناعهم بأهمية التعايش السلمي ونبذ أسباب الخلاف والتفرقة، ومـن هنـا كانت السنة في خطب الصلح تقتضي الإطناب حتى يتمكن الخطيب من اسـتمالة عواطف أطراف النزاع على حسب براعة الخطيب. وبالفعل فقد كانـت خطـب المصالحة تؤدي إلى المصلح في أغلب الأحيان، بل حتى الجيوش المتقاتلـة فـي الميادين. وفي خطب الاسترحام وطلب العفو يتجه الخطيـب إلـى عاطفـة مـن يسترحمه ليثير مشاعر العطف والرحمة فيه، حتى يرق له ويسلك في ذلك الطرق والأساليب التي تضمن له ميل عاطفة المخاطب.

---

(1) ابن عبد ربه،عقد الفريد، ج٤، ص٤٥.

الخاتمة:

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات وأحمده حمداً يوافي نعمـــه ، ويـــدفع نقمه ويكافئ مزيد ه وأشكره أن سدد وأعان حتى تم هذا البحث ، وفق ما خطـــط له من المنهج ، وأسأله أن يقبل هذا الجهد المتواضع بقبول حسن،ويتجاوز عما فيه من خطأ وتقصير ، وأن يجعله ضمن الحسنات المقبولة ، وأن ينفعنا به وينفـــع كل من ساهم فيه ، وكل من اطلع عليه .

بعد أن استعرضنا الخطابة في عصر الخلفاء الراشدين بالعديـــد مـــن أنواعهـــا المختلفة ،ومؤثراتها ،وموضوعاتها ، وخصائصها الفنية والفكرية ،نكون قد وصلنا إلى المستوى الرفيع من الخطابة العربية في ذلك العصر العربي . قد لمسنا الدور الفعال الذي لعبته تلك الخطابة في حياة الأدب العربي على مر الأزمـــان. نتيجـــة التطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والديني الذي طرأً على الحياة العربية في جميع مقوماتها.وشهدت تلك البيئة مشاكل سياســـية وأحزابـــاً تتجـــادل وعصبيات تتنازل نزاعاً حول السلطة العليا ، ونزاعاً من أجل النفوذ .وفي الختام أودا أن أشير إلى النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث خلال متابعته لهـــذا البحث.

أولا:النتائج

١: خطب الخلفاء الراشدين باختلاف أنواعها أغلبيتهـا الاقتبـاس مـن القـرءان الكريم،ويدعو الناس إلى التوحيد والبناة ،وإرشاد الناس من الأعمال الشر ،ويـدع والى التكافل الاجتماعي.

٢:كانت أغراض الخطابة في هذا العصر تبليغ الدعوة جعل، ومنهجهـا الحـديث مصدر الثاني باختلاف دواعيها وأسبابها، وطبيعة كل نوع منها حسـب الموقـف والعرض.فالخطابة السياسية تجمل في أسلوبها طابعاً أقرب إلى البداوة سواء فـي ألفاظها أو معانيها أو تراكيبها.

٣:كانت الخطابة الحربية قريبة في منهجها من مـنهج الخطابـة السياسـية فـي الاتزان، والحث على القتال . والقرءان يثبت حق الجهاد والاستشهاد في سبيل الله.

٤:كانت الخطابة الدينية أقل تأثراً بهذه الروح البدوية لأن القرءان قد رقق الألفاظ وهذبها كثيراً من جفاء الأسلوب البدوي.

ثانيا: التوصيات: -

١: الاهتمام بالخطب عموماً وفصاحة البيان خصوصاً وذلك لأن التعمق فيه يفـتح أبواب المعرفة، فعلى الباحثين الخوض في هذا البحر الواسع.

٢:على الباحثين أن يكملوا ما طرقته حتى تعم الفائدة، حيـث إن الخطـب غنيـة بجمال الأسلوب وسحره الأخاذ.

٣: الباحثين شرح الخطب؛ لأنها تفتح أبواب العلم والمعرفة . .

٤: من الدولة أن تهتم بخطب الخلفاء؛ لأنها وسيلة تواصل بين الناس، وعمل بـين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان وخالقه.

ولعلي بهذا أكون قد استعرضت أهم القضايا التي أثرتها ، وما تم من مناقشـة لموضوعاتها . أرجو أن أكون قد وفقت للصواب والسداد ، والشـكر لله سـبحانه وتعالى على ما أمدني ابد بعونه، واصبغ عليٌ من نعمه ، فلـه الحمـد والشـكر والصلاة والسلام على نبينا محمد صلي الله عليه وسلم _ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

.٢٠	(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً)	المائدة	٤٨	٢٦
.٢١	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ)	المائدة	٥٤	١٣٥
.٢٢	(وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ)	المائدة	٩٢	٤٥
.٢٣	(وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)	الأنعام	٧١	٢٦
.٢٤	(وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَـذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ)	الأنعام	١٣٦	١٩
.٢٥	(قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللّهُ)	الأنعام	١٤٠	١٨
.٢٦	(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ)	الأعراف	١٩٩	١٨
.٢٧	(يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ)	التوبة	٣٥	١١٢
.٢٨	(وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ)	التوبة	١٠٠	٩٣،أ
.٢٩	(إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ)	التوبة	١١١	١١١
.٣٠	(فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ)	التوبة	١٢٢	٣١
.٣١	(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)	يوسف	٣	١٩١
.٣٢	(فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم)	يونس	٢٣	٨١
.٣٣	(الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ)	إبراهيم	٣	١١٢
.٣٤	(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)	الحجر	٩٤	١٧٠
.٣٥	(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ)	القصص	٥٥	١٧٣
.٣٦	(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ)	النحل	١٢٥	٢٧
.٣٧	(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)	الإسراء	٢٤	ب
.٣٨	(وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)	طه	١١٤	٣١
.٣٩	(إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ)	الأنبياء	٩٠	٥٧
.٤٠	(وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا	الأنبياء	٩١	٣٢

	وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ)			
٤١.	(كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً)	الأنبياء	١٠٤	٣٠
٤٢.	(وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَـادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ)	النور	٣٢	١٥٣
٤٣.	(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَـإِن تَوَلَّـوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ)	النور	٥٤	٤٥
٤٤.	(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْـدِهِ لِيَكُـونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً)	الفرقان	١	٦٣
٤٥.	(أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ)	الفرقان	٤٤	٣١
٤٦.	(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً)	الفرقان	٦٣	١٧٣،١٨
٤٧.	(وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)	الشعراء	٢١٤	١٧٠
٤٨.	(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)	الأحزاب	٥٦	٧٧
٤٩.	(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً)	سبأ	٢٨	٢٦
٥٠.	(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء)	فاطر	٢٨	٣١
٥١.	(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ)	الزمر	٩	٣١
٥٢.	(وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ)	الزمر	٥٤	٢٦
٥٣.	(حم*تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)	غافر	١-٢	١٣٦
٥٤.	(وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)	الشورى	٣٨	٢٨
٥٥.	(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)	الذاريات	٥٦	٨١
٥٦.	(هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ)	الواقعة	٥٦	٥٦

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الحديث النبوي الشريف

١. إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، (د.ن)، (د.ت).

٢. ابن رشدا: تلخيص الخطابة، الكويت، وكالة المطبوعات، (د.ت).

٣. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وأدابه، تحقيق الدكتور محمد قرقزان، طبع دار المعرفة بيروت، لبنان.

٤. ابن هشام: سير النبوة ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، دار المعارف، القاهرة، ج٤.

٥. ابن وهب كاتب: البرهان في جودة البيان، دار المريخ، ط٦، ١٩٨٥م.

٦. أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، (ابن كثير)، البداية والنهاية، القاهرة، دار الريان للتراث، ط٢، ١٩٨٨م.

٧. أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٥، (د.ن).

٨. أبو عثمان عمر بن بحر (الجاحظ): البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٤، (د.ت).

٩. أبو هلال العسكري (الصناعتين): الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد الجباوي، ومحمد فضل إبراهيم، ط١، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م، طبعة عيسي البابي وشركاؤه.

١٠. أحمد أحمد بدوي: النقد والأدب، ط٤، ١٩٦٠م، مكتبة النهضة، مصر، بالصجالة.

١١. أحمد أحمد غلوسن: علم الخطابة، ط١، طبعة دار الجيل بالقاهرة.

١٢. أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، ط٧، مطبعة السعادة، الأسلوب، دراسة البلاغة والتحليل وأصول الاساليب البلاغية، طبع مكتبة النهضة المصرية، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، الطبعة الخامسة، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة.

١٣. احمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المغاني والبيان والبديع.

١٤. أحمد بن علي (القشقلندي): صبحي الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، (د.ط)، (د.ت).

١٥. أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، القاهرة، دار الفكر، (د.ط)، (د.ت).

١٦. أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية العليا، ط٢٤، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د.ط).
١٧. أحمد حسن الزيات: دفاع عد البلاغة، ط٢، طبع ونشر عالم الكتب.
١٨. أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ط١، ١٣٥٢هـ- ١٩٣٣م، مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر.
١٩. أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، بيروت، المكتبة المعصمية، (د.ط)، (د.ت).
٢٠. أحمد محمد الجوفي: فن الخطابة، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٤، ١٩٧٢م.
٢١. أحمد مصطفي المراغي: علوم البلاغة، (المعاني- البيان- البديع)، نهضة مصر للطباعة والنشر، أدب السياسة في عصر الخلفاء.
٢٢. أرسطو طاليس: الخطابة، ترجمة أمين سلامة، (د.ن)، (د.ت).
٢٣. إيليا حاوي: فن الخطابة وتطوره عند العرب، لبنان، دار الثقافة، (د. ط)، (د.ن).
٢٤. الباغلاني: المجاز القرآني، تحقيق السيد احمد صقر، طبعة دار المعارف، سنة ١٩٦٣م.
٢٥. البشير مجذوب: حول مفهوم المثل الغني عند العرب القدامى، تونس، دار العربية للكتاب، (د. ط)، ١٩٨٢م.
٢٦. توفيق الواعي: الخطابة وإعداد الخطيب.
٢٧. جابر عبد الحميد، أحمد خيري كاظم: مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار النشر، القاهرة، دار النهضة العربية، (د.ط)، ١٩٩٢م.
٢٨. الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق المحامي فوزي عطوي، طبع الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، لبنان.
٢٩. جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ابن منظور): لسان العرب، القاهرة، الدار المصرية، للتأليف والترجمة، (د.ن).
٣٠. الحافظ بن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، ج١٠-١٣، مطبعة المعارف، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م، وج١١-١٢، طبعة المعارف، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.
٣١. الحافظ جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، مطبعة دار الفكر، بيروت، (د.ط).
٣٢. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي والديني، ج٢-٤، مطبعة دار الجيل، بيروت، ط١٣، ١٩٩١م، ج٣، ط٧، القاهرة ١٩٦٥م.

٣٣. الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، طبعة مكتبة ومطبعة محمد علي صـبيح وأولاده بمصر.
٣٤. زكريا عبد الرحمن صيام: الأدب العربي في العصر الجـاهلي وصـدر الإسـلام، دار النصر للطباعة الإسلامية، (د.ر)، ١٩٧٨م.
٣٥. سعد حسين منصور: القيم الخلقية في الخطابة العربية، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ط١، (د.ت).
٣٦. السيد أحمد صفر: المجاز القرآني، طبعة دار المعارف سنة ١٩٦٧م.
٣٧. سيد قطب: التصوير الفني في القراءات، طبعة دار الشروق، القاهرة.
٣٨. الشريف المرتضي: أمالي المرتضي، طبعة القاهرة، ١٩٠٧م.
٣٩. شهاب الدين أحمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تقديم الأستاذ خليل شرف الـدين، مطبعـة ومكتبة الهلال، (د.ط)، وتحقيق الدكتور: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيـروت ١٩٩٧م.
٤٠. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط٥، مطبعة دار المعارف، مصر، (د.ط).
٤١. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ط٥، مطبعة دار المعـارف، مصر، (د.ط).
٤٢. شوقي ضيف: عصر الإسلام، القاهرة، دار المعارف، ج١، سنة ١٩٨٦ن.
٤٣. صالح آدم بيلو: الثقافات الأجنبية قي العصر العباسي الثاني، ط١، مكة المكرمة ١٩٨٨م.
٤٤. طه حسين: من حديث شعر ونثر، ط١، سنة ١٩٣٦م، طبعة الصاوي بالقاهرة.
٤٥. عبد الجليل عبد سبلي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار النشر، مجمع البحوث العلمية سابقاً، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، جميع الحقوق محفوظة.
٤٦. عبد الحكم بلبع: النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، طبعة مكتبة الانجلو المصرية.
٤٧. عبد الحميد إبراهيم شيحة: مدخل إلى دراسة الأدب الجاهلي القاهرة، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، (د.ط).
٤٨. عبد العزيز عتيق: تاريخ البلاغة، دار النهضة، لبنان، بيروت، (د.ت).
٤٩. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، شرح وتحقيق عبد المنعم محمـد فعـاجي، ط٢، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م، طبعة مكتبة القاهرة.

٥٠. عبد الله بن مسلم بن قتيبه: عيون الأخبار، مطبعة دار الكتب، مصر ١٩٢٥م.
٥١. علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب، ط١، ٢٠٠٠م، مطبعة دار الفكر، بيروت، تحقيق: سعد محمد اللحام، ومطبعة مصر ١٣٤٦هـ.
٥٢. علي محمد حسن الصواري: التاريخ العربي للعصرين الجاهلي والإسلامي الأول، مصر، مطبعة دار الجهاد، ط١، ١٩٨٢م.
٥٣. عمر القطي طي: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، جمعها وتبويبها ودراستها، تونس، مؤسسات عبد الكريم عبد الله، ط١، ١٩٩٠م.
٥٤. عمر فروغ: تاريخ الأدب العربي، بيروت، سنة ١٠٨٥، ج١، ١٩٩٧م.
٥٥. عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م.
٥٦. قدامة بن جعفر: النقد والنثر، ط١، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنثر، القاهرة.
٥٧. القلقشندي: صبح الأعشي.
٥٨. لويس سيخ: علم الخطابة، (د.ن)، (د.ط). (د.ت).
٥٩. مالك بن أنس: موطأ الإمام مالك: مطبعة دار الحديث، القاهرة، (د.ط).
٦٠. محمد أبو زهرة: الخطابة، القاهرة، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت).
٦١. محمد أبو زهرة: خاتم النبيين، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).
٦٢. محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، مطبعة بولاق، مصر ١٣١٤هـ، ومطبعة بيت الأفكار الدولية للنشر ١٤١٩هـ.
٦٣. محمد بن جرير الطبرى: تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبرى، ط١، مطبعة دار الفكر ١٩٨٧م، ط٤، دار المعارف، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط).
٦٤. محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر (الطبري): تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل، مصر، دار المعارف، (د.ط)، ١٩٨٣م.
٦٥. محمد طاهر رويس: الخطابة في صدر الإسلام.
٦٦. محمد عبد الغني حسن: الخطب والمواعظ، مطبعة دار المعارف، بمصر ١٩٦٨م.
٦٧. محمد عبد الغني حسن: خطب ومواعظ، ط٢، طبع ونشر دار المعارف بمصر.
٦٨. محمد عبد الغني: الخطيب المواعظ، مصر، دار المعارف، ط١، ١٩٥٥م.

٦٩. محمد عبد المنعم الخفاجي، عبد العزيز شريف: التفسـير الإسـلامي للسـيرة النبويـة، بيروت، دار الجيل، ط١، سنة ١٩٩٢.
٧٠. محمد علي المحجوب: الخطابة في مركب الدعوة، تحقيق: محمود محمد عمارة، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٧١. محمد قطب: جاهلية القرن العشرين، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٩٦٤م.
٧٢. محي الدين محمد بن يعقوب (الفيروز أبادي): القاموس المحيط، بيـروت، دار الجيـل، ط٢، (د.ت).
٧٣. مسلم بن الحجاج بن مسلم: صحيح مسلم، مطبعة دار السلام للنشر والتوزيع، الريـاض، الطبعة الأولي ١٤١٩هـ.
٧٤. مصطفي السباعي: تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).
٧٥. مصطفي السباعي: عظماؤنا في التاريخ، (د.ن،، (د. ط)، (د.ت).
٧٦. مصطفي ناصف: الصورة الأدبية، طبعة دار الأندلس للطباعة والنشر.
٧٧. مصلح السيد بيومي: الخطابة في الإسـلام، القـاهرة، دار الطباعـة المحمديـة، ط١، ١٩٨٤م.
٧٨. وليم ديفيد سون: النفعيون، ترجمة محمد إبراهيم زكي، مصر، دار الثقافة، وزارة التربية والتعليم، سلسلة الألف كتاب رقم (٢٣)، (د.ت).
٧٩. ياقوت بن عبد الله الحموي: المعجم للبلـدان، بيـروت، دار بيـروت للطباعـة، (د.ط) ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، ج٤.

فهرس الموضوعات